

أبحاث في تاريخ

# الدولة العثمانية

إفتراءات وحقائق

الجزء 2

إعداد

الدكتور خالد عبد القادر الجندي



أبحاث في تاريخ

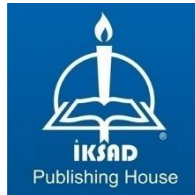
# الدولة العثمانية

إفتراءات وحقائق

الجزء 2

إعداد

الدكتور خالد عبد القادر الجندي



Copyright © 2020 by iksad publishing house

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of

brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law. Institution of Economic Development and Social

Researches Publications®

(The Licence Number of Publicator: 2014/31220)

TURKEY TR: +90 342 606 06 75

USA: +1 631 685 0 853

E mail: [iksadyayinevi@gmail.com](mailto:iksadyayinevi@gmail.com)

[www.iksadyayinevi.com](http://www.iksadyayinevi.com)

It is responsibility of the author to abide by the publishing ethics rules.

Iksad Publications – 2020©

**ISBN: 978-625-7139-35-9**

Cover Design: İbrahim KAYA

September / 2020

Ankara / Turkey

Size = 16 x 24 cm

## مقدّمة

كثيرة هي الدراسات حول تاريخ الدولة العثمانية، إذ أن هذه الدراسات لم تعطِ الدولة حقّها. فقد حاول الكثيرون من الباحثين والمؤرخين أن يشوهوا ويزوروا ويحرّفوا تاريخ هذه الدولة العظيمة، وقد إشتراك - وللأسف - في ذلك بعض الباحثين العرب والأتراك (مسلمين ومسيحيين). وقد وصل التحريف والتزوير بأن وصفوا الدولة العثمانية بالتخلّف والجهل، حتّى وصل الأمر بأحدهم بأن إتهم الدولة العثمانية بأنها لم تعرف عالماً أو فنّاناً، ووصل الأمر أيضاً بهذا المؤرخ بأن وصف الدولة العثمانية بأنها كانت تولي القضاء والإفتاء لأشخاص لا يعرفون القراءة والكتابة.

لذلك بعد أن فندت الكثير من مزاعم هؤلاء الباحثين حول التاريخ الحقيقي للدولة العثمانية بمجموعة من الأبحاث، والتي ألقيتها في عدد من المؤتمرات الدولية والمحلية، فجمعتها في كتاب تحت عنوان "أبحاث في تاريخ الدولة العثمانية - إفتراءات وحقائق" الجزء الأول، آليت على نفسي أن أجمع أيضاً بعض من أبحاثي في الجزء الثاني، حيث ركّزت فيه عن التعليم في الدولة العثمانية من خلال المصادر الأساسية والتي تعرف بـ "الأرشيف العثماني".

إذ كان أكثر من شارك في تشويه وتحريف تاريخ الدولة العثمانية إعتدوا بدراستهم على مصادر ومراجع مشبوهة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التقيّم عن المصادر الأساسية "الأرشيف العثماني"، لأنه إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها، وحيث لا وثائق لا وجود للتاريخ. لذلك أدعوا جميع الباحثين والمؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الدولة العثمانية أن يعيدوا النظر في أبحاثهم وأن يعطوا هذه الدولة حقّها في كل المجالات والميادين من خلال إعتادهم على الأصول (أي الوثائق العثمانية)، لأن أي دارس للتاريخ لأي دولة لا تصح كتابته لتاريخها دون العودة إلى مصادر أساسية موثوقة.

لقد ضم الجزء الثاني من كتاب "أبحاث في تاريخ الدولة العثمانية - إفتراءات وحقائق" بمجمله عن التعليم، وقد يجد القارئ مدى التشابه الكبير بين الأبحاث، لكن يجب أن لا ننسى أن هذه الأبحاث ألفت في عدة مؤتمرات، فالتشابه نابع من العناوين التي فرضته المؤتمرات.

وقد جاء الجزء الثاني مؤلّف من ستة أبحاث:

**المبحث الأول:** "الوثائق التاريخية ومدى مصداقيتها - الأرشيف العثماني - التعليم في ولاية بيروت  
أمودجاً"

وقد شرحت بهذا البحث عن أهمية الوثيقة التاريخية ومدى إرتباطها بكتابة التاريخ، حيث لا وثائق لا يوجد تاريخ. وتحدثت عن أهمية الأرشيف العثماني، لكشف الكثير من الحقائق. وأخذت التعليم في ولاية بيروت أمودجاً، حيث عرضت من خلال الوثائق العثمانية للمدارس التي أنشئت في هذه الولاية من خلال الوثائق.

**المبحث الثاني:** "التعليم العثماني في بلاد الشام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني - ولاية بيروت  
أمودجاً"

تحدثت في هذا البحث عن كيفية التعليم في الدولة العثمانية وولاياتها قبل عهد التنظيمات وبعد عهد التنظيمات كيف أصبح التعليم؟ حيث كادت الإرساليات الأجنبية تستفرد بساحة التعليم، فخافت الدولة من ضياع أطفال المسلمين حيث نزلت إلى ساحة التعليم وبدأت بالإكثار من تأسيس المدارس، إذ بلغ التعليم أزهى عصوره في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

**المبحث الثالث:** "التعليم العثماني في بلاد الشام ودوره في الحفاظ على الهوية"

تطرق في هذا البحث كيف أن الدول الأوروبية إستفادت من الإمتيازات الممنوحة لها حيث أخذت بتأسيس العديد من الإرساليات الأجنبية بغية ضياع هوية الأطفال المسلمين، بتلقينهم تعاليم تتعارض مع معتقداتهم ودياناتهم، قبل أن تنتبه الدولة العثمانية إلى هذا الموضوع، إذ أخذت بإصدار العديد من القرارات للحد من تغلغل هذه الإرساليات في المجتمعات الإسلامية، وتأسيس للعديد من المدارس الإسلامية والحكومية، إذ أخذت بهذه الطريقة في الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للمسلمين.

**المبحث الرابع:** "دور البعثات التبشيرية في إيقاظ القومية العربية"

تحدثت في هذا المبحث كيف أن الدول الأوروبية أرادت تفتيت الدول العثمانية من داخلها، فتغلغلوا فيها عبر الإرساليات التبشيرية (التعليم - الطب - الجمعيات الخيرية) وأخذوا ينفثوا سمومهم

بين الأهالي ويعملوا على إحياء القومية العربية عبر تلقين الطلاب دروس الحقد والكره للدولة العثمانية، وعلى الرغم من محاولات الدولة العثمانية من الحد من إنتشار هذه الإرساليات، إلا أن محاولات لم تقلح حيث استطاعت هذه الإرساليات من الوصول إلى هدفها.

**المبحث الخامس:** "النشاطات العلمية في القدس العثمانية - المدارس نشأتها وتطورها"

بيّنتُ في هذا المبحث المدارس التي أسستها الدولة العثمانية بكل مراحلها في القدس.

**المبحث السادس:** "التاريخ الاقتصادي لولاية بيروت 1887-1918م"

شرحتُ في هذا المبحث مراحل إنشاء ولاية بيروت والظروف التي رافقت هذا التأسيس من تدخل الدول الأوروبية، وركزتُ على أهم المزروعات والصناعات والصادرات والواردات، والطرق وأهمية إنشائها لتحسين الاقتصاد، وتأسيس خط حديد بيروت - دمشق، وطرابلس - حمص، وإنشاء

خط تراموي بيروت وتحسين مرفئ **بيروت**.



المبحث الأول

"الوثائق التاريخية ومدى مصداقيتها"

"الأرشفة العثمانية"

"التعليم في ولاية بيروت (نموذجاً)"





إذا كانت العولمة قد بدأت في القرن الماضي كمفهوم اقتصادي يقوم على مبدأ توحيد الأسواق ورفع الحواجز والقيود أمام الشركات الاقتصادية العملاقة المتعددة الجنسيات، والسماح بسيولة السلع والبضائع عبر أرجاء المعمورة، فإن أثرها سرعان ما إمتد إلى الفضاءات السياسية والاجتماعية والثقافية، وهذا الفضاء الأخير هو الذي يعنينا في هذه الورقة بإعتبار أن جعل التاريخ يُعد أحد واجهاته الأساسية. فما هي إمكانات تأثير العولمة الثقافية في مجال التاريخ العربي؟ لا يختلف إثنان في أنّ الواجهة الثقافية أخطر الواجهات المعرضة لرياح التغيير التي تفرضها العولمة، نظراً لما أصبحت تمارسه الثقافات الأجنبية من تأثير واضح على الثقافات المحليّة وما يتمخض عن ذلك من سيولة في الأفكار والأيدولوجيات، وإنتشار سريع ومدّش للمعلومات عبر الصور السمعية والبصرية والوسائل الإلكترونية مع ظهور الإنترنت.

في ظل هذه المتغيرات ذات الإيقاع السريع، أصبح من المتوقع أن يتأثر التاريخ العربي ومعه الهوية التاريخية العربية لإختراق خطير إذ لم يتم رسم منهج قادر على الجمع بين التصديّ للعولمة وإيجاد منافذ سليمة للتفاعل معها في الوقت نفسه بوعي وتبصّر. ومن هنا تبدأ مهمة المؤرّخ العربي ودوره في مواجهة أخطار التحولات التي قد تصيب التاريخ العربي من جراء وهيمنة العولمة، كما ينعكس دوره أيضاً في إيجاد صيغ علميّة ومعقولة للتعامل معها. وفي سياق هذه الثنائية في المواجهة والتفاعل، لا بد من تحليل الظرفية التي يتحرّك منها

المؤرّخ العربي والأرضيّة التي تشكّل منطلقه، وفي هذا المنحى يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

1- إن تحديات العولمة للتاريخ العربي جاءت في وقت لم يُصَفِ المؤرّخ العربي

معركته بعد مع مخلفات التاريخ الاستعماري الذي يزخر بالتحريفات، وينطق

بمنظور المحتل. فالمعركة لا تزال مشتتة بين النظريات التي طبخها المؤرخين

الغربيين، ومحاولات المؤرخين العرب دحضها وإبراز قصورها، لكن نقطة النهاية

لم توضع بعد. ولذلك يمكن القول إنّ تحديات العولمة تأتي في وقت لا يزال

المؤرّخ العربي يعاني من الإنهاك<sup>7</sup>نتيجة معاركته للتاريخ الاستعماري، وهي بذلك

تفتح ضده جبهة ثانية عن طريق فرض تاريخ كوني يسعى إلى تجاوز الهوية العربية وإلغاء خصوصيتها.

- 2- ومع الأسف، إن التاريخ الاستعماري نجح في اختراق جوانب من المنظومة الحضارية العربية، وهو ما يؤكد وقوع بعض المؤرخين العرب أحياناً عن غير قصد في مسلكيات توجهاته فكراً ولغةً. معنى ذلك أن المؤرخ العربي يدخل المعترك مع أو ضد العولمة في وقت أصبح الاختراق الثقافي واقعاً ملموساً، وأصبح الاستلاب الفكري نغمة متواترة ومألوفة تتم تحت سمع ونظر العالم العربي.
- 3- إن المؤرخ العربي في مواجهة العولمة يخوض معركة غير متكافئة نهائياً، فأرباب النظام الجديد نجحوا في تجييش كل الوسائل الإعلامية المرئية والمقروءة وكافة أشكال الاتصالات الالكترونية والفضائيات القادرة على غزو العقول وتدميرها، والرسائل والصور الكفيلة باختراق المسافات البعيدة لخدمة توجهاتهم، ناهيك عن الامكانات المادية الضخمة. في حين لا يزال المجتمع العربي يعيش على النمطية التقليدية والإرهاب الفكري والانقسام على مستوى الخطاب السياسي والثقافي، والتخلف الاقتصادي، ولا يزال قابعاً في مستوى الهامش المستهلك. المنتوج الآخر ثقافياً، لا يختلف إثنان ولا يزال المؤرخ العربي ينتمي إلى عالم لا يزال يعيش أوضاعاً القهري، ولم يفلح بعد في بلورة مشروع حضاري عربي، كما أنه لا يزال يعيش صراعاً مع ذاته لتحقيق هويته ونظرته للمستقبل<sup>1</sup>.
- 5- وأخيراً، فإن مهمة المؤرخ العربي تجاه تحديات العولمة تأتي في وقت حرج للغاية، عرف إبانها العالم العربي - ولا يزال - إنقساماً حاداً بعد الأزمات العديدة - ولا تزال - التي عصفت بالوطن العربي.

---

1 ( عبد الله الدائم: "العالم ومستقبل الثقافة العربية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 222، 1997م، ص:29.

إن ثقافة العولمة التي تقوم على تفوق التقنيات تحاول أن تسخر هذا التفوق لإبراز ذاتها وإقصاء الآخر مما يعني ذلك إقصاء تاريخه وهويته فتصبح التكنولوجيا أداة قهر ومحاوله من الأمة المصنعة لطمس تاريخ باقي الأمم بما ينطوي عليه التقدّم التكنولوجي من زيادة النمطية في عملية الإنتاج علماً بأن النمطية نقيض التميز<sup>2</sup>. نحن الآن في عصر تتطور فيها العلوم والتكنولوجيا بسرعة فائقة، هذا التطور يجعل المجتمعات تتطور بدورها وتجعل الناس يتوقعون طرق جديدة للتعامل فيما بينها ومع الهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية. ولكي تبقى هذه الهيئات والمؤسسات متجاوبة مع التطورات التكنولوجية الهائلة ومع التغيرات المتعددة في المناخ الإقتصادي العالمي والمتطلبات المالية ومع احتياجات المؤرخين يجب على الحكومات والشركات إيجاد سبل جديدة وحديثة للتعامل مع هيئاتها ومؤسساتها عبر قنوات وصيغ أكثر إنفتاحاً وجودة والتي تتم من خلال الاعتماد على الحلول الإلكترونية الهائلة في طبيعة الأعمال التوثيقية وآفاق العمل الرحبة التي أفرزتها التغيرات الحديثة ومع التزايد المستمر في حجم المؤسسات وما تملكه من مستندات ووثائق كثيرة في شتى المجالات، ورغبة هذه المؤسسات في تنظيم بياناتها بطرق آلية حديثة مما يوفر عليها الكثير من الوقت والجهد ويضمن لها الحفاظ على هذه البيانات، ظهرت الحاجة لوجود نظام متكامل يتولى القيام بجميع العمليات الخاصة بالتعامل مع الوثائق آلياً، مثل الأرشفة والفهرسة والتلخيص والبحث والاسترجاع. يطلق عليه الأرشفة الالكترونية والتي تعد من أهم الأدوات التي تحافظ على سلامة الوثائق وتحولها إلى بيانات ومعلومات مفيدة وبالتالي تتحول هذه المعلومات إلى معرفة تساعدنا على تحسين أداء مؤسساتنا والخدمات التي تقدّمها إلى المؤرخين<sup>3</sup>.

---

2 ( جلال أمين: "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث"، مجلة المستقبل العربي، العدد 234، 1998م، ص:62.

3 ( محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مجلة فكر ونقد، العدد 6، شباط 1998م، ص:8.

## 2- تعريف التاريخ:

يذكر المؤرخ الإنكليزي "أرثر مارفيك" في كتابه المسمى "طبيعة التاريخ" إن التبرير الأساسي لدراسة التاريخ هو أنها ضرورية فهي تسد حاجة غريزية إنسانية أساسية، وتعنى بحاجة أصلية من حاجات البشر الذين يعيشون في المجتمع، فالتاريخ يقوم للإنسان والجماعة البشرية بوظيفة فعلية بمعنى أن يسد حاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبة في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافتها<sup>4</sup>. وعرفه آخرون بأنه علم يبحث في كل الأحداث، والوقائع التي قام بها الإنسان منذ أن وجد في الماضي، وكان هدفه هو معرفة الإنسان بنفسه، أي أن يعرف طبيعته كإنسان ويرى "كولنجوود" في كتابه "فكرة التاريخ": "أن معرفتك بنفسك معناها معرفة ما تستطيع أن تفعل"<sup>5</sup>. إن قيمة التاريخ ترجع إلى أنه يحيط بنا علماء بأعمال الإنسان بالماضي، وقد اختلف الباحثون في أصل كلمة "تاريخ"، فذهب البعض إلى أنه لفظ عربي خالص، فيما ذهب آخرون إلى أنه لفظ فارسي، وذهب فريق ثالث إلى أن أصل الكلمة عربي<sup>6</sup>.

ولمّا كان التاريخ مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، ونستلهم من خلاله مستقبلها، كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً وهداياً لهم في حاضرهم ومستقبلهم. فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيا بوجوده وتموت بإنعدامه. ونظراً لأهمية التاريخ في حياة الأمم، فقد لجأ أعداء هذه الأمة إلى تاريخها، لتفريق جمعها، وتشثيت أمرها، والتقليل من شأنها فأدخلوا فيه ما

---

4 ( حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، القاهرة، 1984م، ص:32.  
5 ( كولنجوود: فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961م، ص:7.  
6 ( عبد المنعم الجميعي: منهج البحث التاريخ "دراسات وبحوث"، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1992م، ص:8.

أفسد كثيراً من الحقائق، وقلب كثيراً من الوقائع، وكتبوا تاريخاً يوافق أغراضهم، ويخدم مآربهم، ويحقق ما يصبون إليه.

وللتاريخ أهمية عظيمة في بناء الأمم، والمحافظة على هويتها وشخصيتها بل وعلى قوتها وقدرتها على الشموخ والاستطالة والاستمرار، فهو جذور الأمة التي تضرب في الأعماق، فلا تعصف بها الأنواء، ولا تزلزلها الأعاصير، وهو ذاكرة الأمة، وبه تعي الأمة ماضيها، وتفسر حاضرها وتستشرف مستقبلها.

والتاريخ ليس هو الحوادث وهو تفسير هذه الحوادث واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة إمتداد الكائن الحي في الزمان والمكان<sup>7</sup>.

والتاريخ ليس علم الماضي، فحسب، بل هو علم الحاضر، والمستقبل، في واقع الأمر وحقيقته، فالأمة التي تستطيع البقاء هي الأمة التي لها ضمير تاريخي، ومعرفة التاريخ وعشق له، فقد قال شوقي:

مثل القوم أضاعوا تاريخهم  
كلقيط يمشي في الحي إنتسابا

ويشير "محمد قطب" إلى الغاية التي من أجلها يدرس التاريخ ليس مجرد أفاصيص تحكى، ولا هو تسجيل للوقائع والأحداث، إنما يدرس التاريخ للعبرة، ويدرس للتربية، تربية الأجيال، وقد قال الله تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"<sup>8</sup>.

لقد أصبح التوجه نحو التاريخ والتعامل معه كمعطى ثقافي، أو كمورد من أهم موارد التشكيل الثقافي، لأنه يعتبر إلى حد بعيد من ضرورات الخصوصية الثقافية، وعلى الأخص في عصر العولمة، ومحاولات طمس الهوية وتذويب الخصوصيات وفرض ثقافة وتاريخ الغالب باسم التطبيع.

7 ( جلال أمين: مرجع سابق، ص:70.

8 ( سورة يوسف: الآية:111.

### 3- الوثائق: تعريف الوثائق:

منذ أن خلق الله آدم وأسكنه الأرض هو وذريته، وهو يمشي في مناكبها ويأكل من خيراتها، وكل يوم يمر عليه يكتشف من حقائق الكون شيئاً جديداً ويتعلم من خبرات الحياة قسماً لم يكن معروفاً من قبل مستخدماً في ذلك ما وهبه الله من العقل الجبار والذاكرة الهائلة التي تستوعب الإنسان ومعرفته.

وسرعان ما اكتشف الإنسان أن واجبه لا يقف عند حد التعليم واكتساب الخبرات لنفسه فقط، بل يتعدى ذلك إلى ضرورة نقل خبراته ومعرفته إلى أبنائه وإلى الأجيال من بعده لذلك كان لزاماً عليه أن يبتكر ما يعرف بالذاكرة الخارجية لأن ذاكرة الإنسان تنتهي بانتهائه، فضلاً عن كونها تتأثر بما يعتريه، أي الإنسان من انفعالات نفسية واضطرابات صحية وبيولوجية. وتتمثل الذاكرة الخارجية فيما يستخدمه الإنسان من وسائل يسجل عليها معلوماته

وبياناته التي يجمعها خلال مشاهداته اليومية والتي يحصل عليها من نتاج تفكيره الخلاق وتجاربه على مر الأيام، ولقد وجد الإنسان نفسه مضطراً لكي يبتكر من وسائل التسجيل وأساليبه ما يكفل استيعاب الإضطراد المستمر في المعلومات والبيانات التي تتراكم مع كل لحظة يمر بها الإنسان أو التي تكفل حماية رصيد المعلومات من الضياع أو التلف، وتكفل أيضاً إمكانية استرجاع أي المعلومة منها في الوقت المناسب وبالقدر المناسب وبالشكل المناسب وهذا ما يعني به الوثائق. لا يعرف كيف يحييها وينفخ من الروح فيها"

لقد ظهر الاهتمام في الوقت الحاضر - بصورة ملفته - بموضوع الوثائق والتاريخ ونمط العلاقة بينهما، فبعد أن كانت علاقة قائمة على إستلهاام الرواية للمقولات التاريخية بوصفها مسلمة يضمنها الروائي في خطابه السردي من دون الدخول في عمقها، لما لها من أهمية على

المنظومة الفكرية، فقد شهدت هذه العلاقة تحولاً أساسياً، إنطلاقاً من مفهوم إرتباط التاريخ بالقوة (9) محمود عباس حموده: المفهوم العلمي للوثائق والتوثيق، حولية كلية الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة قطر، العدد الأول، 1979م، ص: 227-228.

أي السلطة المنتجة له، إنطلاقاً من مفهوم (أن التاريخ يصنعه الأقوياء )، وتزامناً مع خطاب الحداثة البعدية المتمثل برفض اليقينات والقول بنسبية الحقائق، فأصبح التاريخ موضوع إنتهاك التخيلي، فجمع الراوي المادة التاريخية والوثائق في سرد روائي ويشبع البعد الفني على الزمن التاريخي وبعده عن التاريخ فتظهر رواية بإطار تاريخياً ورواية تخيل تاريخي، لا تتفق بالضرورة مع مقولات التاريخي وقد استعمل الوثائق التاريخية على تنوعها وفاقاً لهذه الآلية السردية<sup>10</sup> يجدر بنا بداية الوقوف على معنى الوثيقة في اللغة، وقد وردت عند ابن منظور في (وثق الشيء بالضم، وثاقه فهو وثيق أي صار وثيقاً والأنثى وثيقة ... والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثائق<sup>11</sup>. أما الوثيقة التاريخية في الاصطلاح فقد ورد تعريفها بأنها (كل أثر مكتوب أو محفور أو منقوش)<sup>12</sup>. تعني لفظة وثيقة "Document" ورقة أو مجموعة أوراق "Codex" أو مجلد أو سجلات "Registers"، فالوثيقة التي تقوم بها هيئة أو مؤسسة رسمية أو غير رسمية. فالوثائق التي تم توليدها أثناء قيام المؤسسة أو الهيئة بنشاطها ما هي إلا تعبير حقيقي عن الوسائل أو الخطط المرسومة كافة من قبل تلك المؤسسة للوصول إلى تحقيق الأهداف التي تسعى إليها، وعليه فإن الوثائق المنتجة من قبل المؤسسة رسمية أو غير رسمية ما هي إلا تعبير عن وجودها ومزاولتها لنشاطها في واقع الأمر، ولهذا فإن تراكم الوثائق يتم بشكل طبيعي على البيانات والمعلومات الخاصة بتلك المؤسسة أو الهيئة في المجتمع، وعليه يمكن إضافة: "إن الوثيقة عبارة عن سجل مدون سواء كان رسمياً أو غير رسمي"<sup>13</sup>. وقد اتخذت الوثيقة مكانة خاصة، وأهمية كبيرة لدى المؤرخين لكونها تعد الأساس من بين مصادر التاريخ المعتمدة في توثيق أحداث الماضي، أي (المصدر الأصلي الذي يعتمد عليه الباحث التاريخي، أو المادة الخام

10 ( كو لنجود: فكرة التاريخ، مرجع سابق، ص:10.

11 ( ابن منظور: معجم لسان العرب، مادة وثق، ص:371.

12 ( شوقي الجمل: علم التاريخ نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، 1987م، ط2، ص:54.

13 ( فهد إبراهيم العسكر: التوثيق الإداري في المملكة السعودية، الرياض، ص:82.



التي يصوغ منها نسيجة)<sup>14</sup>، فلا بديل عن الوثائق وحيث لا توجد وثائق لا يوجد تاريخ<sup>15</sup>. فكتابات كل منهما تعتمد كل الإعتماد على النص المكتوب. وأهم مصادر التاريخ هي : الوثائق التي تشمل المراسلات والمخاطبات السياسية أو التعليمات والاتفاقات والمعاهدات، والأوراق التي لدى التجار، أو الأفراد أو القادة، ومن المصادر أيضاً الرسوم والصور إذا أنه كان الوصف الكتابي مقيداً فإن الرسوم والصور والتمثيل أيضاً تمنح مفاهيم أوضح عن الحياة وفي العصر الحديث تعد الصور الفوتوغرافية نوعاً مهماً في الوثائق<sup>16</sup>. تعد الوثائق المكتوبة هي المصدر الأول لأي بحث تاريخي بل هي شاهد عيان للذي ينقل تفاصيل الحدث التاريخي بزمانه ومكانه وأشخاصه وجزئياته، فالوثيقة هي تسجيل ثابت للحدث ساعة حدوثه بما يحفظ تفصيلات الموضوع وتحميها من عوامل الزيادة أو النقصان الذي يطرأ نتيجة لتبدل الأفكار والتوجهات وتأويلات المتأخرين وتحريفاتهم، أما قصداً نتيجة الأهواء الشخصية أو بدون قصد نتيجة الجهل أو نتيجة النسيان الذي هو من طبيعة النفس البشرية وقد نبه القرآن الكريم إلى أهمية الكتابة والتوثيق في حياة الإنسان في عدة مواضع منها قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ... إلى قوله تعالى: "ولا تساموا أن تكتبوا صغيراً أو كبيراً إلى أجله ولكم أسخط عند الله، وأقوم للشهادة التي يعتمد عليها الباحثون عن الحقيقة، ففيها نجد كل شئئ نجهله عن القرون الماضية، وهو ما أكدت عليه الكثير من الوثائق التي حصلنا عليها، أن أهم ما يعوق وصول الوثائق التاريخية إلينا هو :

- 
- 14 ( المرجع نفسه: ص91.  
15 ( لانجلوا وسينوبوس: النقد التاريخي (المدخل إلى الدراسات التاريخية)، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1981م، ط4، ص:5.  
16 ( قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م، ط1، ص:90.  
17 ( سورة البقرة: الآية 282.

الأول: عدم تفهم الناس لأهمية الوثائق، فالكثير من الناس يمتلك وثائق ولكن لجهلهم وتفكيرهم القاصر فإنهم يحجمون عن إطلاعنا عليها، فالبعض منهم يعتقد أن إظهار الوثيقة سيسبب أمراً غير محمود العواقب، كأن يكون من بعضها خلافات قبلية أو ماشابه.

الثاني: عدم وجود الدعم المادي المعنوي للباحثين، وهذا الأمر جعل البحوث لبعض المؤرخين تقتصر على جوانب معينة فقط لعدم مقدرتهم على الحصول على قدر أكبر من الوثائق، والتي نعتقد في ظل الدعم المادي سواء من أصحاب رؤوس الأموال أو من الجهات الحكومية ذات الشأن.

ويعرّف السيد " هلري جنكسون" الوثائق بأنها : " الوثائق التي أنشئت أثناء تأدية أي عمل من أي نوع وكانت جزءاً من هذا العمل" ويرى أنها قد تكون ورقة أو صورة فوتوغرافية، أو قد تكون خريطة ما، ولا تقتصر على الأعمال الحكومية بل قد تكون وثائق لجمعيات أو لأشخاص أو لهيئات غير حكومية<sup>18</sup>. وبالتالي فإن هذا النوع من الوثائق يطلق على الوثائق المكتوبة الرسمية، وشبه الرسمية، وتحتوي على مايسمى العمل النظامي للجهات الحكومية أو شبه الحكومية، كقرار، أو تعميم، أو إحداث نظام جديد، وغيرها مما يحفل به العمل الحكومي اليومي، أو تحديد واقعية معينة مثل : الزواج، البيع، الميلاد، الوفاة، وذكوك الملكية، ووصايا الميراث، وبيع وشراء وغيرها<sup>19</sup>.

وتأتي أهمية الوثائق من القول المأثور " لاتاريخ بدون وثائق" بل يذهب بوستر " إلى القول بأن البحث عن الوثائق والعناية بها بالحفظ والصيانة الدورية مرتبط ارتباطاً بالحس الوطني فالوثائق أحد المصادر التاريخية المهمة لأي مجتمع أو لأي جزء منه<sup>20</sup>.

---

18 ( محمد أحمد حسين: الوثائق التاريخية، مطبعة جامعة القاهرة، 1954م، ص:67.  
19 ( للإطلاع أكثر راجع سجلات المحكمة الشرعية في كلية الآداب - طرابلس - لبنان.  
20 ( فائز موسى البدراني الحربي: وثائق من خيبر (840هـ - 1370م)، الرياض، 1432هـ، ص:165.

إنطلاقاً من الأهمية التي تحتلها الوثيقة التاريخية بأنواعها المختلفة، آن لنا أن نتحاور في كيفية التعامل معها ومدى التسليم بمحتواها، وهو ما يمثل المرحلة الأولى من هذه الكيفية لأن الرؤية للوثيقة التاريخية - لو أتيت لنا تقسيمها - قد مرّت بمرحلتين: الأولى: مرحلة التاريخ التقليدي أي خلال القرن التاسع عشر وما قبله. الثانية: مرحلة التاريخ الجديد التي بدأت مع بدايات القرن العشرين.

وخلال المرحلة الأولى، كان المؤرخ أو الباحث التاريخي يواجه صعوبة بالغة في جمع الوثائق التاريخية المتعلقة بالحدث التاريخي، وكانت كثيرة ما تذهب جهود المؤرخين سدى لعدم وفرة الوثائق، إذ أنّ أماكن وجودها لم تكن متاحة للباحث التاريخي، والحصول عليها وترجمتها باهظ الثمن. لأنها كانت متفرقة بين الأديرة وقصور الأمراء والملوك أو المكتبات الخاصة وهي أماكن تكاد تكون محرماً لا يباح<sup>21</sup>. ومع مطلع القرن العشرين أصبحت آلية العمل الوثائقية معرض جدلٍ وانتقاد، من قبل جيل جديد من المؤرخين، أمثال "مارك بلوخ" و"لوسيان فافر"، الذين شرعوا بطرح أفكار جديدة في ميدان الدراسة التاريخية، وتوسيعاً في حقل الوثيقة التاريخية. وهذا التطور كان في خضم التجديد الذي شمل العلوم الإنسانية، فظهر التاريخ الجديد الذي من أوائل رواده "هنري بار" صاحب تسمية "التاريخ الجديد" عام 1930م<sup>22</sup>. فالوثيقة في نظر أصحاب "التاريخ الجديد" ليست بريئة<sup>23</sup>.

---

21 ( لانجوا وسينوبوس: مرجع سابق، ص:42.  
22 ( جاك لوغوف: التاريخ الجديد، مجموعة باحثين، ترجمة وتقديم محمد طاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007م، ص117.  
23 ( المرجع نفسه، ص:29.

فمن خلال البحث في الأعماق، تظهر التناقضات التي تواجه الباحث بحسب "فوك" من خلال "طرح الوثيقة موضوع سؤال"<sup>24</sup>. فقد كانت التساؤلات للوثيقة التي تمثل ضالة المؤرخ لا تتعدى محاولة معرفة ما تقوله إن كان حقيقة، أو مزيفة، بغية إعادة بناء الماضي لأنها حوت من لاذ بالصمت، الذي نستبين منه معالم التاريخ إنطلاقاً مما تقوله الوثائق أو تشير إليه، أما موقف التاريخ الآن تجاه الوثيقة، فإنه لا يكفي بتأويل الوثيقة ومعرفة مدى صدقها، وقيمتها التعبيرية وقد بدأ المنهج التاريخ يعتمد أسلوب التفكير العلمي القائم على التحليل الملموس للوقائع، ومساءلة الوثيقة التاريخية ليس فقط عما تريد قوله ولكن عن ما لا تريد البوح به، ولعل أهم ميزة تميز هذا الاتجاه هي انتقال المؤرخ من مستوى المعرفة الجاهزة التي تقدمها الوثيقة الرسمية إلى مستوى أرقى يقوم على نقد كل ما هو جاهز ومعطى مسبقاً، لأن الواقعة التاريخية الواحدة يمكن أن تكتب على أوجه مختلفة وبحسب "فوكو" أصبحت علاقة المنهج الجديد مع الوثيقة تقوم على (فحصها أما ريكور فإنه لا يستلم للوثيقة بما تقوله أو تدعي فالوثيقة تخيب أو تسأل، وتوضع من الداخل وتدبرها فهو ينظمها ويحزؤها ويرتبها ويقسمها إلى مستويات)<sup>25</sup>.

فلا توجد وثيقة إلا بعد وضعها موضع السؤال والاستجواب، ولا يكون السؤال إلا من خلال مشروع تفسير وهو مرحلة الفهم، والتي يعد "ريكو" التأويل أحد أهم مكوناتها، إذ يرى "ريكو" أن الباحث يأتي إلى الأرشيف (حاملاً العديد من الأسئلة). وهو يعترف أن "مارك بلوخ" هو من نبه لخطورة الفكر القائلة، إن المؤرخ يجمع الوثائق ويقرأها، ويتأكد من صحتها ثم يستعملها، (فالوثائق لا تتكلم إلا إذا طلبنا منها أن تحقق أي تجعل فرضية ما صحيحة)<sup>27</sup>.

24 ( ميشال فوكو: حفريات، ترجمة سالم يغوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005، ص:8.

25 ( ميشال فوكو: مرجع سابق، ص:8-9.

26 ( بول ريكور: الذاكرة والتاريخ والنسيان، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2009، ط1، ص:277.

27 ( نفس المرجع، ص:270.

## أهمية الوثائق في كتابة التاريخ:

إن دراسة التاريخ منهج ورؤية بعيدة تلخصها في النهاية وثائق وأسانيد تضم في سطورها حقائق وتكشف عن أمور وموضوعات تتجدد مع البحث العلمي على الدوام، وتفتح أمام العيون أبواباً للإجتهاد والدراسة والتحليل وفقاً للظروف والعوامل التاريخية التي استوجبتها تلك الوثائق في مرحلة زمنية معينة. إنَّ الوثائق إذا ما توافرت وأتيح لها الظهور تظل مصدراً حقيقياً لكتابة التاريخ والبحث فيه، فلا تاريخ بلا وثائق ومن دون شواهد أو أدلة مؤكدة. منذ زمن ليس بالبعيد، وحتى الآن، ومع نشوء المدارس التاريخية الحديثة وتطورها لم يعد التاريخ حكايات وقصص تروى، أو أساطير خارقة، أو مواقف ساخرة يتندر بها. التاريخ أصبح ذاكرة للشعوب ومادة علمية غزيرة تحتاج في التعامل معها إلى أمانة متناهية لا يتقنها سوى المؤرخين والباحثين المخلصين؛ وما دام التاريخ والوثيقة لا يفصلان ويلتصقان في نقطة واحدة، فهي التاريخ نفسه. البحث العلمي، وكما تستخدم في الكيمياء والفيزياء عناصر "الفلزات"، والمواد الكيماوية الخاصة بالتجربة العلمية، تستخدم في الدراسة التاريخية مادة خام أولية وهامة للبحث العلمي، وهي المصدر التاريخي (الوثيقة). تلك المادة الخام التي توفرت في دراسة التاريخ الحديث أكثر من أي فرع من فروع التاريخ الأخرى، فالتاريخ الحديث يمتاز بكثرة مصادره وتنوعها بشكل يدعو إلى الحيرة. فالكتب والدوريات التي تتحدث في هذا الفرع من فروع التاريخ تطبع بالآلاف كل عام، وتتناول موضوعات تاريخية بمختلف اللغات. لذلك يجب على المؤرخ أو الباحث الواعي متابعة تلك المؤلفات التي تتناول فترة بحثه<sup>28</sup>. وبما أن البحث الذي لا يقوم على المصادر الاصلية الوثائق بحث ضعيف لا يرقى إلى

المستوى العلمي المطلوب وبما أن العثور على الوثائق الاصلية المتعلقة بموضوع البحث كالعثور

---

28) أحمد زكريا الشلق: محاضرات في منهج البحث التاريخي، سلسلة محاضرات ألقيت على طلبية السنة التمهيدية للماجستير (2001-2002م)، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ.

على كثر فالوثائق التاريخية تعد من أهم المصادر التاريخية والوثائق بمثابة الوقود الذي يحتاج إليه المحرك لتأدية وظيفته بالنسبة للكتابة التاريخية وهي أيضا لب التاريخ والمصدر الأول للكتابة التاريخية وبغياها يصعب على المؤرخ كتابة التاريخ الصحيح لأنه لا يستطيع التعرف على الماضي مباشرة إلا من خلال الآثار التي خلفها وراه<sup>29</sup>. لذلك عدت الوثائق مصدرها لأنها لو نشرت لأفادت كثيراً في حل كثير من ألغاز التاريخ وحقائقه والتي لا تزال مبهمة إلى الوقت الحالي . تحتل الوثيقة التاريخية، باعتبارها من مخلفات الماضي، وضعا مركزياً بل استراتيجياً في كتابة التاريخ .وإذا كان الامر كذلك، فماذا نعني بالوثيقة التاريخية في إطار المنهج التاريخي

؟؟

يؤكد "مارو" أن المؤرخ هو من يصوغ إشكاليات فقط ويبنى فرضيات ومن يتوفر على برنامج عملي يمكنه من إبراز وثائق عديدة وأكثر موثوقية وأكثر كشافاً<sup>30</sup>. انه الاستكشاف الوثائقي هكذا فبعد صياغة المؤرخ للإشكالية يشرع في البحث عن الوثائق وهي مرحلة شاقة وحاسمة في آن واحد وعلى العموم فللاستكشاف مصدران: شهود العيان الذين يعاصرون حدثاً ما وهنا يكون الاعتماد اساساً على المرويات الشفهية والثاني المجاميع الوثائقية المتوفرة في الأرشيفات والمكتبات<sup>31</sup>.

ويؤكد لانجلو وسينوبوس: "التاريخ يصنع من وثائق. فالوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم" و"حيث لا وثائق لا تاريخ"<sup>32</sup>. "ويقول "برانكة": "أن التاريخ هو تصوير ما حدث بالضبط" ويقول " فوستيل دو كولايخ": "انه لا تاريخ بدون نصوص" فهو "علم لا يتخيل بل يرى

---

29 ) عبد المنعم الجميبي: مرجع سابق، ص:41.  
30 ) H.I.Marrou: De la connaissance historique, éditions du seuile, 1973, p:69.

31 ) لانجلو وسينوبوس: مرجع سابق، ص:4.

32 ) لانجلو وسينوبوس: مرجع سابق، ص:5.

وهو نظير لكل علم ينظر إلى الاحداث ويحللها ويقارن بينها ويحقق الروابط القائمة بينها، والمؤرخ يبحث عن الحدث ويدركه بدراسة النصوص بإمعان ودقة والطريقة واحدة في كل علم مؤسس على الملاحظة الدقيقة<sup>33</sup>.

ويتحدث "مارو" عن المنهجية التاريخية فيقول: "ينبغي أن يستخلص المؤرخ الحقيقة التاريخية من الوثيقة، ولكن الأخير لا تثبت بشكل قطعي حدوث الواقعة، إذ أن النقد لا يمكن أن يحدد إلا المصادقية التي تستحقها شهادة الوثيقة .... ولكن إذا تمكنا من تجميع شواهد عديدة.... فإن احتمال حقيقة حدوث الواقعة كبيراً وينتهي بالوصول إلى المعرفة اليقينية"<sup>34</sup>.

فالمؤرخ يتعامل مع الوثيقة، باعتبارها مادة أولية لبناء المعرفة التاريخية، من خلال عملية النقد التاريخي، خطوتين أساسيتين هما: النقد الخارجي والنقد الباطني. نَمِيز في النقد الخارجي بين الثقة والمصدر حيث ينظر إلى هوية الشاهد وتحديد طابع الوثيقة، وذلك من خلال عمليات إجرائية معروفة عند المؤرخ المحترف، وبين نقد التحصيل الذي يشمل حتى النصوص غير الأصلية. أما النقد الباطني فيتضمن خطوتين هما: الخطوة الأولى: التأويل، ويستهدف مضمون الوثيقة بالضبط عن طريق التجرد ومن الأحكام المسبقة واستحضار وثائق أخرى في نفس الموضوع والاستعانة بعلوم أخرى، والخطوة الثانية: النقد السلبي الذي يستهدف كشف الحقائق وتمييزها عن الأحداث التي تختلط بعمليات ذهنية أو قناعات فكرية ومذهبية. ويستعين المؤرخ في نقد الوثيقة بعلوم متنوعة تسمى عادة علوماً مساعدة، وعموماً هناك ثلاثة علوم أساسية هي: علم الخطوط، اللغة وعلم الوثائق<sup>35</sup> والتاريخية<sup>36</sup> وتشعبها وتناولها جوانب الحياة المختلفة إلى تراكم المعرفة التاريخية واختلاف وجهات النظر حولها<sup>36</sup>. واستجابة لهذه التطورات، أكّدت الكثير من

---

33 ( شاکر مصطفى: التاريخ هل هو علم؟ عالم الفكر، 1947م، ص:188.  
34) H.I.Marrou: Op.cit, pp:122-123.

35 ( لانجلوا وسينوبوس: مرجع سابق، ص:8.

36 ( أحمد بدر: تفسير التاريخ، عالم الفكر، العدد 29، 2001م، ص:40.

الدراسات الحديثة أهمية تطوير طرائق تدريس التاريخ لننتقل من الاهتمام باستظهار المعلومات وحفظها إلى التركيز على تنمية مهارات التفكير الناقد وتطويرها لدى المتعلمين، للوقوف على حقيقة الحدث التاريخي وفهمه من جهة، وفهم الحاجز المتولد عنه من جهة أخرى واستخلاص الدروس والعبر<sup>37</sup>.  
إذ لم يعد مقبولاً من المتعلم مجرد استظهار النص التاريخي وحفظه، ومعرفة ماذا حدث

في الماضي، وإنما لماذا حدث؟ وكيف حدث؟ وما نتائج ذلك؟ وهل حدث هذا بالفعل؟ ومما ساعد على تبني استخدام الوثائق التاريخية في البحث التاريخي اعتبار كثير من الباحثين لها ملازمة لتعليم التاريخ وتعلمه، إذ يعتقد هؤلاء أن من الصعوبة بمكان تحقيق هذه الأهداف، وتنمية مهارات المتعلم العملية بإغفال استخدام الوثائق التاريخية في البحث التاريخي من أفضل وسائل تنمية مهارات التفكير الناقد وتعزيزها لدى المتعلمين، إذ تعمل على إحياء الحدث التاريخي، وبعثه من جديد، فيعيش المتعلم الحدث كأنه حقيقة واقعة أمامه<sup>39</sup>. وعليه تدرك بنية المعرفة التاريخية. وتكشف العلاقات بين الأحداث التاريخية و ظواهرها، وتبين شبكة مفاهيمية لهم إلى حد كبير في فهم الأحداث التاريخية، وتطورها الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

إن وصول المتعلم إلى الحقيقة التاريخية باستخدام الوثائق التاريخية يعزز عملية التعليم لديه، ويثير دافعيته، ويتيح له فرصة الإستمرار في معرفة المزيد من حقائق التاريخ فيتغلب على الرتابة والملل، الذين كثيراً ما يشكو منهما في حصص التاريخ من جهة، ومن جهة أخرى، فإن

---

37 ) E.Anthony: The idea of history teaching: using colling wood's idea of history to promote critical thinking in the high school history classroom society for history education, 2004, pp:237-247.

38 ) E.Fresch: Preparing preserves elementary teacher to use primary sources in teaching history international journal of social education, 2004, p:83.

39) أبو الفتوح رضوان وفتحي مبارك: المواد الاجتماعية في التعليم العام، دار المعارف – القاهرة – 1987م، ص:66.



ذلك يخفف من العبء الملقى على عاتق المعلم والمتمثل في قراءة النصوص التاريخية وشرحها وتلخيصها، وإستخراج الأفكار الرئيسية ومحاكمتها، ومن ثم تلقين تلك المعرفة<sup>40</sup>.

وأجرى "لفستك وبارتون" دراسة هدفت الى معرفة أثر استخدام الوثائق التاريخية في البحث التاريخي، وأظهرت نتائج الدراسة أنّ إستخدام الوثائق التاريخية عملت على زيادة فهم الطلاب للتاريخ ، وتعميق أدراكهم لمفاهيمه، والقدرة على إستخدام ذلك في مواقف جديدة<sup>41</sup>.

لذلك إن استخدام الوثائق التاريخية ملازم لتعلم التاريخ و تعليمه، وهي طريقة مناسبة لتنمية كثير من المهارات العقلية و تحقق اهداف تعلم التاريخ وتعليمه.

أصبحت قضية الاتصال العلمي بين الباحثين والعلماء من أهم القضايا التي تشغل بال المتخصصين في علم المعلومات. وقد ازداد الاهتمام بهذه القضية بعد ظهور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وظهرت شبكة الانترنت وإزدهار النشر الالكتروني وانعكاساته الكبيرة على نظام الاتصال العلمي التقليدي حيث أدى هذا إلى تغيير المفاهيم والرؤى المتعلقة بالنشر العلمي بين الباحثين وكذلك تغيير وسائل الاتصال وإنتاج وتوزيع المصادر العلمية. وعلى مدى السنوات القليلة الماضية كان لهذا التغيير انعكاسات على نظم النشر والاتصال الرسمي وغير الرسمي. إنّ إيجاد تعريف للوثيقة الإلكترونية يبدو صعباً للوهلة الأولى على الأقل على المستوى

التقني والمادي، إلا أن المتأمل في تعريفها يستنتج أن الوثيقة الإلكترونية باعتبارها وسيلة إثبات ما هي إلا شكل من أشكال الكتابة حيث ننقل من الحديث عن الكتب الورقية إلى الحديث عن الكتب الإلكترونية، وبالتالي يصبح تعريف الوثيقة الإلكترونية ما هو إلا تعريف لمفهوم الكتابة كل ذلك دون أن يكون لتطور المفهوم الشكلي للكتب تأثير على مفهومه الوظيفي. إلا انه بتطور

40 J.G.Howells: Gladstone, spiritual or gladstone matarial? A rational for the technological reform and the use of computers and the internet, 2000, pp:26-32.

41 ) L.Levstik and K.Barton: They still use some of their post, hirosical salience in elementary children's chronological thinking journal of curriculom studies, 1996, p:531.

تطور مفهوم الكتابة وقلص من استعمال السند الورقي كوسيلة مادية لتجسيد المعلومة وإرسالها وذلك بتعويضها بسندات جديدة ملائمة لهذا التطور تتميز بصيغتها اللامادية وبحذف الطابع المادي للوثيقة وتمكين الأطراف المتخاطبة من تبادل المعلومات عن بعد دون تجسيمها في كتب خطيه، وبذلك اجتاحت الإعلامية جميع الميادين سواء على مستوى تعامل المؤسسات فيما بينها أو بين المؤسسات والتجار أو حتى الخواص فيما بينهم و أصبحت بالتالي الوثيقة لا تقتصر على الكتابة الورقية بل أصبح المفهوم يشمل جميع المواقع الرسمية التي تحتوي على معطيات، ولم تعد الكتابة مقتصره على موضوعات مكتوبة على سند ورقي، وقد توسع بعض المؤرخين والأرشيفيين في مفهوم الكتابة لتستوعب جميع وسائل الاثبات بما في ذلك الوثائق الورقية أو الالكترونية<sup>42</sup>. مطلع العصر الحديث - خاصة بعد الثورة الفرنسية - مضى الأوروبيون قدما في تنظيم الموروث الأرشيفي الإنساني، و الوثائقي المتنوع والمخطوطات فأخرجوا منه ما كان معنياً بالجانب الرسمي والدبلوماسي وبنوا لها دوراً خاصة بعيداً عن المكتبات العامة، وغالباً ما تحمل اسم "دار الوثائق الوطنية أو القومية"، لأهميتها في تاريخ الدول فقد أنشأت لها معاهد وأقساماً في الجامعات بعد أن أصبح لها علم خاص منها، سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم تاريخية. أن أرشيف أيّ أمة هو مجموعة الأوراق أو الوثائق التي تجمعت على مدى الأزمنة - يدخل فيها - الوثائق الرسمية وغير الرسمية، العامة منها والخاصة، كالخطابات والمذكرات والتقارير والدراسات والأوامر والقرارات الوزارية والملكية، ومحاضر الاجتماعات.

يطلق لفظة أرشيف "Archives" على جميع الوثائق الجارية التي تستخدمها الهيئة (المؤسسة) أو الأفراد في إدارة الأعمال بصفة دائمة. ويعرف الأرشيف بأنه المكان المخصص لحفظ المواد الأرشيفية (الوثائق)<sup>43</sup>.

يكتسب الأرشيف أهمية بالغة لدى الشعوب، كونه يضم تاريخها وحاضرها ويمثل أساس مستقبلها، فالمعلومات التي يحتويها تمثل ذاكرة هذه الأمم حول مختلف الأحداث التي مرت بها عبر الأزمنة، كونه يضمن للشعوب الحق في التعرف على تاريخها كما يضمن كذلك حقوق الأشخاص والدول. وإذا كانت الأحداث هي من تصنع الأرشيف، فالأرشيف بدوره يعيد تشكيلها ويقيم صناعة التاريخ من خلال توثيقها وحفظها والحفاظ عليها، لهذا فهناك علاقة وطيدة ومتكاملة تربط بين الأرشيف والتاريخ، إذ لا يمكننا الحديث عن التاريخ بدون التطرق لموضوع الأرشيف، أو من غير الاطلاع على الأرشيف بمختلف أشكاله ومصادره كما لا يمكننا الحديث عن الأرشيف بمعزل عن الأحداث التاريخية التي عاشتها الشعوب. لذلك يعتبر الأرشيف هو الأساس الذي تعتبر البلدان الأوروبية سباقه الى تأسيس الأرشيفات لحفظ الوثائق، أما في الشرق تبنى عليه تسجيل الأحداث التاريخية و توثيقها حفظاً لذاكرة الأمم<sup>44</sup>. الاوسط فتعتبر غالبية بلدانها متخلفة في ميدان التنظيمات الوثائقية والإدارات الأرشيفية، والدول التي أسست منها دور للوثائق لا تتجاوز أصابع اليد، ناهيك عن ضعف الادارة والتنظيم وفي مقدمة الاسباب هو قلة الوعي الوثائقي والنظر إلى الوثائق نظرة ثانوية. تعتبر مصر من أقدم الأقطار العربية في تأسيس دار خاصة بالوثائق وإدارتها. وكان ذلك عام 1829 ميلادي، وبعد عام 1952 ميلادي صدر القانون الخاص بإنشاء دار الوثائق التاريخية، وتضم وثائق

---

43) بيتز فالن: معجم المصطلحات الأرشيفية، ترجمة غسان منير سنو، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1991م، ص:71.

44) لانجلوا وسينو بوس: مرجع سابق، ص:26.

ومخطوطات ضخمة وتقع في القاهرة، وفي العراق تأسس الأرشيف الوطني عام 1962 ميلادي في بغداد<sup>45</sup>.

ومع التطور التكنولوجي أصبحت الأرشيفات أكثر أماناً لحفظ الوثائق وأصبح هناك

متسع لحفظها:

١- حفظ الوثيقة بذاتها: ونعني بذلك حفظ الوثيقة بصورتها الاصلية.

٢- تصوير الميكروفيلم: إنّ تقنية الميكروفيلم سمحت بمعالجة أزمة المكان المخصص لحفظ الوثائق التي بات الازدياد الهائل في حجمها يسبب عبئاً ضخماً يتقل كاهل المهتمين بحفظ المعلومات.

٣- الحفظ بواسطة الحاسوب: منذ اختراع الحواسيب الإلكترونية بدأت تشق طريقها إلى عالم حفظ المعلومات حتى أواخر القرن العشرين حيث دخلت الحواسيب بقوة إلى هذا العالم وفرضت نفسها كحل لا بد منه انه لم نقل لا بديل عنه لحل مشكلة الانفجار الوثائقي الذي تعاني منه المكتبات ومراكز المعلومات، وبات الاستغناء عنه يضع هذه المراكز في خانة التخلف عن الركب الحضاري.

لا تكاد دولة في عالمنا اليوم تخلو من دور للوثائق، كما لا توجد دولة واحدة في العالم تحتكر الوثائق لنفسها، ولتسهيل مهمة الباحث للإطلاع على هذا الكنز الثمين.

---

45 ( جبريل بن حسن العريشي: التحول من الأرشفة التقليدية إلى الأرشفة الالكترونية، جامعة الملك سعود، كلية الأداب، 1996م، ص:23.

## الأرشيف العثماني:

إنَّ الباحث المَطَّلَع على الوثائق يجد أن الدولة العثمانية اهتمت بالوثائق اهتماماً ليس له نظير في العالم الإسلامي، فالوثائق نموذج للوثائق ذات الأهمية العالية والفوائد الكثيرة، لأنها تغطي فترة زمنية طويلة. إن ظهور الوثائق العثمانية بدأ بالأرشيف العثماني في استنبول الذي يحوي ما بين 150 الي 250 مليون وثيقة فضلا عن دفاتر السجلات في بعض الإدارات والمكتبات القديمة الذي ظهرا لنا منجماً غنيا بالكنوز الدفينة وثروة بالمعلومات التي لا تقدر بثمن، وقد قامت السلطات التركية بإنشاء تخصص في الجامعات يعني بترجمة الوثائق من العثمانية الى التركية الحديثة لا يتوقف الجدل حول تاريخ الدولة العثمانية وسياستها في العالم العربي، بالنظر إلى طول فترة حكمها التي تتجاوز الأربعة قرون والتي يصعب إختزالها في القرن التاسع عشر الذي شهدت فيه تراجعاً بشكل تدريجي وصولاً إلى انهيارها سنة 1924م.

الأرشيف العثماني هو مجموعة المصادر التاريخية التي تعود إلى العهد العثماني وهي تضم وثائق لأربعون بلداً طبعاً بالإضافة إلى تركيا ذاتها. وأهم دور الأرشيف العثماني أرشيف "رئاسة مجلس الوزراء - Başbakanlık osmanli Arşivi".

اصطاح الباحثون المهتمون بدور الأرشيف والوثائق العثمانية الموجودة في تركيا على إطلاق مصطلح الأرشيف العثماني على أرشيف رئاسة مجلس الوزراء الذي كان موجود بحى السلطان أحمد التاريخي في مدينة اسطنبول وقد انتقل حالياً إلى منطقة "كاغتهانة Kağıthane". حيث تبعد هذه المنطقة عن حي السلطان أحمد حوالي 35 كلم. أما غيره من دور الأرشيف التركية: أرشيف طوب كابي، الذي يقصد به الوثائق المحفوظة في متحف طوب كابي الواقع أيضاً في حي السلطان أحمد، مباشرة خلف كنيسة آيا صوفيا، وأرشيف البحرية الذي يشكل قسماً (46) سهيل صابان: الأرشيف العثماني مصدراً من مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، ج3، أيار 1997م، ص: 54-76.

من المتحف البحري الذي يضم عدداً كبيراً من الوثائق الخاصة بالبحرية العثمانية، وأرشيف الخارجية الذي يضم وثائق مهمة عن التاريخ العثماني وعلاقاته الخارجية، وإن كانت الوثائق التي يحتويها لا تصل إلى مستوى الأرشيفين السابقين من حيث كمية الوثائق.

أما الأرشيف العثماني التابع لرئاسة مجلس الوزراء، فهو الأرشيف العالمي الذي يحتوي تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها عام 1299 ميلادي إلى سقوطها سنة 1924 ميلادي. ويعد ثالث أكبر أرشيف في العالم من حيث كمية الوثائق التي يضمها، وقد تم تصنيف 35% فقط من مجموع الوثائق التي تقدر ما بين 150 إلى 250 مليون وثيقة<sup>47</sup>. وهذه الوثائق التي تتناول مختلف مناحي الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية تعد مصدراً تاريخياً مهماً، لا مجال للباحثين في تاريخ الدولة العثمانية من الرجوع إليه والاستفادة من مقتنياته، إضافة إلى كمية الوثائق التي يحتويها الأرشيف العثماني وتنوعها، من حيث تعلقها بتاريخ البلاد التي دخلت تحت حوزتها، فإن الاهتمام الذي يوليه إياه الباحثون في مختلف أنحاء العالم لدليل واضح على أهميته والدور الذي يضطلع به في توفير المادة العلمية التي يدرسها الباحثون. في الفترة الممتدة أربعة قرون من تاريخ البلاد العربية من الحكم العثماني، فقد كانت تلك الأهمية غائبة عن أنظار كثير من الباحثين الذين يبحثون في تاريخ البلاد العربية المعاصرة. كما أنّ علاقة هذا الأرشيف بدور الأرشيف العربية كانت غائبة عن أنظار مسؤوليها أنفسهم، وكذلك عن أنظار الباحثين بشكل عام.

---

47 ( نجاتي أقطاش و عصمت بينارق: الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعيداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استنبول، 1406هـ، ص: 3-34.

يوجد الأرشيف العثماني في مقرين: أحدهما في استنبول ويعمل فيه 400 موظف، والثاني في أنقرة ويضم 300 موظف، ويقوم الموظفون في كليهما بترميم وحماية الوثائق لإتاحتها للباحثين<sup>48</sup>.

ومن أجل تيسير عمل الأساتذة والطلاب الباحثين في هذه الوثائق، بذل مجهود كبير لترتيب هذه الوثائق إلكترونياً، ولم يزيد ما تم إنجازه منها من 30 إلى 35%، وما تزال عمليات التصنيف جارية على قدم وساق، ولكن قد يحتاج الانتهاء منها إلى عدة سنوات نظراً لكثرة الوثائق.

ويأتي باحثون من دول الأوروبية واليابان وغيرها من الدول، وهم متقنون للغة التركية الحديثة والعثمانية، ومدعمون مادياً من قبل الجهات التي أرسلتهم ليطلعوا على هذه الوثائق (من هنا كانت أهمية إنشاء مراكز البحث العلمي). في حين يعد الباحثون العرب على أصابع اليد الواحدة وأغلبهم يأتي على نفقته الخاصة ليكابذ عناء التقييس لأنه غير متقن لا للغة التركية ولا للعثمانية، أضف إلى ذلك كلفة ترجمتها الباهظة. وقد وفرت الحكومة التركية منحاً دراسية لجميع المستويات من أجل دراسة اللغة التركية، لأنها اللغة التركية الحديثة أداة مهمة للولوج إلى عالم الوثائق، كما أنها انشأت فروعاً عديدة لمعهد "يونس أمره" في جميع أنحاء العالم لتعليم اللغة التركية مجاناً.

وفي عام 1931 ميلادي، أراد "مصطفى كمال أتاتورك" التخلص من جميع أرث الدولة العثمانية، باعتبارها دولة جلبت العار للأتراك، فقامت الحكومة التركية ببيع كميات ضخمة من الوثائق العثمانية إلى مصانع الورق في بلغاريا، لاستخدامها في تدوير نفايات الورق، ومن كثرة ضخامتها تم نقل هذه الوثائق في عربات القطارات، وهذه الوثائق وضعتها الحكومة البلغارية في

---

48 ( سهيل صابان: مرجع سابق، ص:80.

أرشيفها ولم يسمح لأحد بالاطلاع عليها إلا لعدد يسير من الباحثين الذين يتوافقون مع آراء وتطلعات الحكومة البلغارية<sup>49</sup>.

ومنذ ذلك الوقت، تختزن المكتبة الوطنية في العاصمة البلغارية "صوفيا" كنزاً من الوثائق والمراجع والمخطوطات العثمانية النادرة. حيث ضمت المكتبة ملايين الوثائق العثمانية، وبينها أكثر من 160 ألفاً من السجلات، وألفاً من الدفاتر العثمانية، وما يزيد عن مليون من الوثائق الفردية.

ويمكن تقسيم محتويات الأرشيف العثماني الى عدة أقسام:

١- الدفاتر: ويقصد به السجلات المتسلسلة التي دونت فيها القرارات المتخذة في البيروقراطية العثمانية بدائرتي الديوان والمالية، للموضوعات التي صدر بشأنها قرار، ويعود أقدمها الى عام 835هجرى/1432مليادي، وهي الدفاتر الخاصة بالأراضي والتملكيات.

٢- الوثائق: وتضم وثائق الديوان الهمايوني (رئاسة الوزراء) والباب العالي وقصر يلدز، والنظارات (الوزارات) والولايات والدوائر الحكومية الكبيرة، وغيرها من التصنيفات ذات العلاقة العسكرية والاتصالات وشورى الدولة وغيرها.

٣- خزينة الأوراق: وهو أهم الدفاتر في الأرشيف العثماني، وعلى رأسها "دفتر المهمة" الذي سجلت فيه أهم القرارات السياسية والعسكرية والاجتماعية المتعلقة بالمسائل الداخلية والخارجية، والتي كان يتم تناولها في اجتماعات الديوان الهمايوني وتشتمل على 419 دفترًا، ودفاتر تحرير الطابور والذي إهتم بإحصاء السكان ومصادر دخلهم في كل سنجق من سناجق الدولة، ودفاتر

---

49 ( نجاتي أفتاش: مرجع سابق، ص:62.



"نامة همايون" لتدوين فرمانات الديوان الهمايوني، والكنائس الذي يحتوي فرمانات بناء وترميم وتوسيع الأديرة والمعابد والمقابر والمكاتب ودور الأيتام لغير المسلمين<sup>50</sup>.

إنّ الدولة العثمانية هي أكثر الدول في التاريخ الحديث التي تعرضت للتشويه والتحريف والتزوير. ليس بأقلام المستشرقين الأوروبيين فحسب، بل بإقلام عربييه وحتى ربما تركية، لأنّ بعض هؤلاء المؤرخين والباحثين وللأسف كانوا يرددون كالببغاوات ما كان يردده هؤلاء المستشرقين الأوروبيين دون تمحيص وتقميش عن المعلومة الصحيحة، لذلك رسخت في أذهان طلابنا مفاهيم خاطئة عن الدولة العثمانية. إنسحبت هذه المفاهيم على الأتراك أنفسهم فإذا ما ذكر الأتراك اليوم، تتبادر الى أذهان طلابنا تلك الصورة المرعبة التي زرعوها بعقولهم عن العثمانيين، لذلك ينفر طلابنا من ذكر الأتراك كونهم ورثة الدولة العثمانية. والعكس صحيح إذا ما ذكر العرب أعلاماً في الأتراك، يتبادر إلى أذهانهم كالمخيلة العربية وأثره في الشريعة الإسلامية (الفرنسي كلمة انتداب، ولم يعلمونا وحسب الوثائق العثمانية<sup>51</sup> أنّ بلاد الشام بما فيها المقاطعات اللبنانية فتحت ذراعيها لاستقبال الفاتحين العثمانيين، حيث كانت المقاطعات اللبنانية جزءاً من هذه البلاد. فهناك في العالم مجتمعات تتمسك بأساطيرها التقليدية تمسكاً تلقائياً، وهناك مجتمعات أخرى تفرض عليها الأساطير الملائمة للأوضاع السياسية القائمة فرضاً من قبل الأنظمة أو الفئات السياسية المتحكمة بأمرها. وقد يحول التمسك بالأسطورة، في كلتا الحالتين، دون جهر المؤرخ بما يعرفه من الواقع. فيجبر صاحب المعرفة التاريخية في أحيان كثيرة، إما على السكوت أو على ما هو أشد من السكوت، وهو المشاركة في تحوير الحقائق التاريخية أو طمسها كلياً. وقد نجحت عملية تحوير الحقائق أو طمسها في بعض المجتمعات إلى حد جعل الوصول إلى الصحيح

50) نجاتي أقطاش: مرجع سابق، ص: 5-30.  
51) أحمد بن كوندورج: الوثائق تنطق بالحقائق، استنبول 2014م، وقف البحوث العثمانية، ص: 105.

وعلمونا أيضاً خلال دراستنا الابتدائية والاعدادية وصولاً للجامعية أنّ العهد العثماني كان مظلماً ومتخلفاً وما أصاب البلاد العربية من جهل وتخلف يعود سببه الاساسي الى الدولة العثمانية وخصوصاً عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فالدولة العثمانية لم تنجب لا شاعراً ولا فنانياً<sup>52</sup>. لكن هذه المعلومات أثارت في نفسي علامات استفهام وتساؤلات عديدة. لأن الدولة العثمانية عمرت ستة قرون، ولا تعمر دولة بهذه المدة الطويلة الا إذا حكمت بالعدل وتحصنت بالعلوم، فقد كانوا يعلموننا وما زالوا أن السلطان عبد الحميد الثاني - حسب بعضهم - كانت فترته تصور على أنها فترة ظلم وطغيان حتى أنه لقب بالسلطان الأحمر لكثرة ما لطخت يده بالدم - حسب بعضهم - أما السلطان سليمان القانوني الذي أوصل الدولة الي أوج عزها ومجدها فلم يرو فيه إلا زير النساء من خلال مسلسل "حريم السلطان"، أما محمد الفاتح فقد علمونا على أنه ظلم وقتل وباع أهل القسطنطينية بعد فتحها كأقارب في أسواق العبيد، أولئك السلاطين بالخيانة، ولكن كنا مجبرين على أن نكتب تلك المغالطات في أوراق الامتحانات كي نجتازها، وبمرور الزمن وخصوصاً في المرحلة الجامعية، أصبحت أعمل على جمع العديد من المصادر التركية التي كتبت من خلال الوثائق العثمانية، وتمكنت من الدخول إلى دار الوثائق العثمانية أثناء رحلتي العلمية تحضيراً لأطروحة الدكتوراه. حيث تسنى لي الحصول على عدد كبير من الوثائق العثمانية، التي كشفت لي أنّ كل مستعمل تلك الوثائق تمويه المتأريخ من تشويه الحق لأجلنا ومجتمعاتنا، التي زرعوها بعقولهم، فهي لا ريب ولا شك أنها مفاهيم مغلوطة، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى الأصول، ونعني بالأصول هنا الأرشيف العثماني والعمل عليها "لأنه إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها"، فتصحيح كتابة تاريخ العلاقات العربية العثمانية لا يكون إلا بالعودة إلى الأرشيف

العثماني، لانه هو الأساس لتصحيح هذه العلاقات. (52) فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين: ترجمة كمال اليازجي وجبرائيل جبور، دار الثقافة - بيروت، ج2، ط1، 1983م، ص:274.

إن كان لبعض الباحثين من عذر قبل افتتاح أبواب الأرشيف العثماني أمامهم قبل النصف الأول من القرن العشرين، فما هو عذرهم بعد فتح الأرشيف أبوابه؟ فالوثيقة هي الأساس لصناعة التاريخ، فهي المواد الخام للتصنيع فكما يلزم لصانع الطائرة والسيارة وغيرها من المواد الأولية الخام لصناعاتهم، كذلك الباحث لا يستطيع كتابة التاريخ من دون وثائق "فحيث لا وجود لوثائق لا وجود للتاريخ"، فالوثيقة هي المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه الباحث في كتابة التاريخ، وهي عبارة عن مستندات معاصرة للحدث الذي كتب عنه. أمّا فيما يتعلق في لبنان، نتساءل: "كيف استطاع بعض الباحثين والمؤرخين كتابة تاريخ لبنان دون الرجوع للوثائق الاصلية المحفوظة في دور الأرشيف العثماني، ودون قراءة تاريخ الدولة العثمانية؟!" وهل يمكن كتابة تاريخ لبنان بطريقة موضوعية دون الرجوع للأرشيف العثماني?!.

"بعض الباحثين والمؤرخين كتبوا تاريخ لبنان بناء لقراءة أيديولوجية خاصة بهم، بغية إعلاء قضية ما، أو طائفة ما"، ونحن نتساءل: "أين الأرشيف في لبنان الذي يغطي الفترة العثمانية؟" أستطيع أن أجزم بأنه لو وجد هكذا أرشيف فإني بكل تواضع أملك من الوثائق العثمانية ما تعجز عن إمتلكه أكبر مراكز أرشيفية أو بحثية أو حتى مكتبات الجامعات.

فكتابة تاريخ لبنان والمنطقة لا يمكن أن يتم من دون العودة إلى الأرشيف العثماني، لأن ذلك سيؤدي إلى كتابة تاريخ ناقص، بعيداً عن الأسس العلمية والأكاديمية.

فمن المعروف أن الشعب اللبناني الذي جمعته الظروف عام 1920 ميلادي، في الوطن اللبناني بحدوده الحاضرة، لم يلتق بعد على أسطورة تاريخية مقبولة من جميع فئاته، وذلك على الرغم من جهد الجاهدين لإختلاق أسطورة وفرضها على البلاد بشكل لا يقبل الرد، بل على العكس، فقد اصر كل فريق من اللبنانيين، منذ قيام دولة لبنان الكبير عام 1920 ميلادي، التي

أصبحت فيما بعد الجمهورية اللبنانية عام 1926 ميلادي على اختلاق أساطير خاصة به، وعلى رسم صورة تاريخية للوطن الجديد بأزلية الكيان اللبناني.

والواقع أنّ اصحاب الأساطير في لبنان، على إختلاف نزعاتهم، يخادعون الناس، ولا يخدعون إلا أنفسهم، وبعض المثقفين معهم من هذا الغرض أو ذاك. إذ ما من لبناني ممن يهتم بالإطلاع على ما يكتب حول موضوع تاريخ لبنان، إلا ولديه حسّ الفطرة وإدراك الرأي الصادق المعقول. هذا مع العلم بأن حبل الأسطورة - الكذب - قصير. ولعل الإمعان في تزوير التاريخ اللبناني من قبل بعض المتمسكين بالأساطير على أنواعها وجميعها أساطير تفرق اللبنانيين ولا تجمعهم، وهو من أهم الأسباب التي مازالت تعمل على تمزيق المجتمع اللبناني وتقنيته، وعدم الاتفاق العلمي كنهية ولاية بيروت اللبنانية من خلال الأرشيف العثماني:

- المدارس الإرسالية: بلغ عدد المكاتب الإرسالية الابتدائية في ولاية بيروت 84 مكتبا<sup>53</sup>.
- المدارس الالهية المسيحية: حسب سالنامة ولاية بيروت فقد بلغت 23 مكتبا<sup>54</sup>. وحسب سالنامة نظارة المعارف العمومية بلغ عدد المكاتب 51 مكتبا<sup>55</sup>. ويصبح المجموع 74 مكتبا.

- المدارس الالهية الإسلامية: وفق سالنامة ولاية بيروت سنة 1311 - 1312 هجري بلغ عدد المكاتب 9 مكاتب<sup>56</sup>. وفق سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321 هجري فقد بلغ عدد المكاتب الالهية الإسلامية 23 مكتبا<sup>57</sup>.

---

53 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321 هـ، ص:429-433. ومعارف عمومية نظاراتي إحصائيات قلمي 1329-1330 هـ، ص:5.  
54 ) سالنامة ولاية بيروت 1311-1312 هـ، ص:249.  
55 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321 هـ، ص:425-428.

- المدارس الحكومية العثمانية الابتدائية: حسب سالنامة ولاية بيروت لسنة 1311-1314 هجري، فقد بلغ عدد المكاتب 211 مكتب 10,614 تلميذاً وتلميذة<sup>58</sup>. أما أعداد المكاتب حسب سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317 هجري فقد بلغت 236 مكتباً<sup>59</sup>. أما سالنامة ولاية بيروت لسنة 1326 هجري فتذكر أن عدد المكاتب الابتدائية في ولاية بيروت بلغ 300 مكتباً للذكور والإناث<sup>60</sup>.

أما المكاتب الأعلى من الابتدائية فكانت على الشكل التالي: تعد بيروت من أوائل المدن العربية التي تأسست فيها المدارس الرشدية للذكور<sup>61</sup>. وتأسست أول مدرسة رشدية للبنات عام 1889 ميلادي، وهي ثاني مدرسة رشدية للبنات في المدن العربية بعد دمشق<sup>62</sup>.

إنشاء أول مكتب إعدادي سنة 1888 ميلادي<sup>63</sup>، وتأسست المدرسة السلطانية الأولى في بيروت عام 1882م، وهي المدرسة السلطانية الأولى في الولايات العربية و الثانية في الولايات العثمانية بعد ولاية كريت<sup>64</sup>. كما تأسست في ولاية بيروت أربع مدارس للصنائع<sup>65</sup>.

وأنشئ في مدينة بيروت عدد كبير من المطابع نذكر منها: السورية، الكاثوليكية، والأميركية، والأدبية، والفوائد، العمومية، العلمية، الحميدية، المصباح، الكلية<sup>66</sup>. أما الصحف فقد انتشرت بشكل واسع وصدرت باللغات العربية والعثمانية والفرنسية والإنجليزية، ونذكر منها:

- 
- 56 ( سالنامة ولاية بيروت 1311-1312هـ، ص:243-244.  
57 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ، ص:423-425.  
58 ( سالنامة ولاية بيروت 1311-1312هـ، ص:244-248.  
59 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص:498-514.  
60 ( سالنامة ولاية بيروت 1326هـ، ص:96-97.  
61 ( سالنامة ولاية سورية لسنة 1301هـ، ص:157.  
62 ( المصدر نفسه: ص:157.  
63 ( معارف عمومية نظارتي إحصائيات قلمي 1329-1330هـ، ج1، ص:50.  
64 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ، ص:520.  
65 ( سالنامة ولاية بيروت لسنة 1318هـ، ص:66.  
66 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص:1088.

بيروت، البشير، الإقبال، ثمرات الفنون، لسان الحال، التقدم، النشرة الأسبوعية، الهوية، الأحوال، طرابلس، طرابلس الشام، حديقة الأخبار، المشرق، الطبيب، المنار، كوكب الصباح المنير<sup>67</sup>.

## الخاتمة

يتبين مما سبق إنه لا يمكن كتابة تاريخ أي دولة من دون وثائقها لذلك، فالباحث لا يستطيع صناعة التاريخ لولا وجود المواد الأولية والمواد الأولية هي الوثائق، وخصوصاً التاريخ الحديث والمعاصر مع تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل المؤرخ العربي قادر على مواكبة العولمة ودخول معتركها ومواجهة نتائجها السلبية وإثبات الهوية التاريخية العربية؟ هل يمتلك ما يكفي من قوة العقل والتأثير ما يجعله يبتعد عن خطر الطمس والخوفين؟ مواقف المثقفين العرب من العولمة عموماً بأبعادها الحضارية ما بين رافض إلى درجة القطيعة دون أن يعي أنه يقف بموقفه هذا ضد مسيرة البشرية، وقابل دون تحفظ لأنها في نظره قدر لا مفر منه، دون أن ينتبه إلى سلبياتها الخطيرة ونحن من جهتنا نرى أن العولمة حتمية تاريخية، لكن ذلك لا يعني التسليم بحتمية القيم التي تتأسس عليها. من ناحية أخرى فإن بناء خطة لمواجهة العولمة من أجل الحفاظ على صحة تاريخنا

العربي لا ينبغي أن تؤول على أنها دعوة رجعية تسعى إلى التكرار لثقافة الآخر وحوار الحضارات، بل هي إجراء دفاعي وممانعة لا مفر منها ضد عدوان واضح على تاريخنا، لذلك وجب البحث عن نقطة توازن للتصدي لهذا التيار الجارف والقضاء على خلاياه. فما العمل في ظل هذا الواقع؟!

قد تكون أولى المقترحات التي يفترض أن تصنف ضمن الأولويات هي تحصين التاريخ العربي أمام العولمة تجنباً لسلبياتها. وهذا أمر قد يبدو للوهلة الأولى صحيح، لكن يرد عليه بأن نظام العولمة نظام لا يقاوم إلا بنظام يكون نداً له. مع الأخذ بما تتيحه من إمكانيات علمية

وخاصة الثورة التقنية التي أفرزت الحاسوب والإنترنت، هذا الكائن الذي غير المعطيات وقلص بعدي الزمان والمكان، وأحدث ثورة معلوماتية لا يمكن للمؤرخ العربي أن يدير ظهره، خاصة أن مادة المؤرخ هي "المعلومات والوثائق" في المقام الأول. لذلك يجب مواجهة هذه الثورة بثورة مضادة مع الأخذ بالمقترحات التالية:

1- إنشاء موقع عربي على الإنترنت حول التاريخ العربي يكون مبنياً على الحقائق التاريخية من خلال "الوثائق" المنسجمة مع الروح القومية العربية، ومؤيدة بالأدلة والأرقام والحجج المنطقية.

2- تسخير الحاسوب لوضع فهرست لكل ما كتب عن التاريخ العربي والمخطوطات "الوثائق" وإبراز المؤلفات الجديدة والأطروحات الجامعية التي تمت مناقشتها في هذا التخصص.

3- تأسيس قناة فضائية عربية موحدة تهتم بالمشروع الحضاري العربي مستقبلاً وماضيه يكون ضمن برامجها حلقات بحث ومحاضرات وندوات وأفلام وثائقية عن تاريخ العرب. وتتصدى في الوقت ذاته لتصحيح ما تبثه وسائل الإعلام الغربية من مغالطات حول هذا التاريخ.

4- تأسيس مراكز للبحث العلمي لدعم جهود الباحثين مادياً ومعنوياً، خصوصاً لجهة جمع الوثائق ونشرها لتصحيح التاريخ المشوه.

5- إعداد مؤرخ عربي متعدد التخصصات، متنوع الثقافات قادر على إستيعاب إيجابيات العالمية وأخطار العولمة، ونعني بذلك دراسة التاريخ العربي برؤى ومناهج تجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين ما هو غني متوفر في تراثنا، وبين ما هو موجود في الغرب، أي أننا لا نرى أي ضرر في تحديث تاريخنا بدون التفریط بذرة من أصالته، ومسألة التحديث لا تعني الإنبهار بالمدارس الغربية أو تأثيراً بسلطة الغرب المعرفية بقدر ما تعبر عن قناعتنا بأن الحداثة يمكن أن تهطل من الداخل.

الملاحق





صورة تظهر الأرشيف العثماني من الخارج

بیروت ولایتی

۴۲۹

مکاتب اجنبیه

رقصتنامه تاریخی	رقصتنامه کتابی	عدد طلبه		تاریخ تاسیس	نامتہ رخصت ویرلش اولان مدیر مشغول	تاریخ تاسیس	مکتبک اسمی	لوا فضا
		ذکور	اناث					
۱۲۹۳ تاریخی	۱۸۷۴	۰	۱۰۰۰	۱۸۷۴	ملی اعدادی رشدی	۱۸۷۴	جزویت مکتبی	۱۰۰
رقصتنامه موجبتہ	۱۸۷۴	۲۰۰	۰	۱۸۷۴	ابتدائی	۱۸۷۴	»	»
رقصتنامہ	۱۸۶۹	۳۹۵	۰	۱۸۶۹	اعدادی	۱۸۶۹	دیرالربان ناصرہ	»
»	۱۸۹۶	۰	۱۱۷	۱۸۹۶	»	۱۸۹۶	اعدادی مکتبی	»
»	۱۸۹۴	۲۰۰	۰	۱۸۹۴	»	۱۸۹۴	القدسہ عالمہ سی مکتبی	»
»	۱۸۴۸	۱۸۰۰	۰	۱۸۴۸	اعدادی رشدی ابتدائی	۱۸۴۸	اخوان المحبتہ مکتبی	»
»	۱۸۸۲	۰	۱۸۰	۱۸۸۲	صنایع	۱۸۸۲	اشام ذکور مکتبی	»
»	۱۸۶۰	۳۵۰	۰	۱۸۶۰	ابتدائی	۱۸۶۰	اخوان المحبتہ	»
»	۱۸۷۰	۴۰۰	۰	۱۸۷۰	»	۱۸۷۰	»	»
»	۱۸۹۳	۴۰۰	۰	۱۸۹۳	»	۱۸۹۳	»	»
»	۱۸۹۵	۰	۳۵۰	۱۸۹۵	رشدی	۱۸۹۵	فرہرر مکتبی	»
»	۱۸۹۵	۰	۳۵۰	۱۸۹۵	ابتدائی	۱۸۹۵	»	»
»	۱۸۹۵	۰	۴۰۰	۱۸۹۵	»	۱۸۹۵	»	»
»	۱۸۷۳	۳۵۰	۳۵	۱۸۷۳	اعدادی وابتدائی	۱۸۷۳	ماروسفراہبہلری	»
»	۱۸۷۲	۰	۲۰۲	۱۸۷۲	ابتدائی	۱۸۷۲	ایتالیان مکتبی	»
»	۱۸۸۸	۲۶۳	۰	۱۸۸۸	»	۱۸۸۸	ایتالیان اناث مکتبی	»
»	۱۸۶۶	۰	۶۳۰	۱۸۶۶	علمی طبی ری وابتدائی	۱۸۶۶	الکلیہ امریکان مکتبی	»
»	۱۸۸۷	۲۳۲	۵۵	۱۸۸۷	ابتدائی	۱۸۸۷	فلسطین روسیا رہبانی مکتبی	»
»	۱۸۸۹	۱۳۵	۳۱	۱۸۸۹	»	۱۸۸۹	»	»
»	۱۸۹۰	۳۳۹	۷۰	۱۸۹۰	»	۱۸۹۰	»	»
»	۱۸۹۰	۴۲	۱۹	۱۸۹۰	»	۱۸۹۰	»	»
»	۱۸۹۶	۱۰۳	۲۳	۱۸۹۶	»	۱۸۹۶	»	»
»	۱۸۶۲	۲۷۶	۰	۱۸۶۲	اعدادی	۱۸۶۲	ایٹالیا راہبہلری مکتبی	»
»	۱۸۶۸	۶۱	۰	۱۸۶۸	ابتدائی	۱۸۶۸	القدس چادہ جیوس مکتبی	»

سائنامة معارف

٤٣٠

رقم صفاة	تاريخي	عدد طلبه	ذسور	اناث	نامبر صفاة	وريش اولان	مدير مشور	مكتبة	اسم	بیروت
رخصتسز	١٨٧٦	٣٠	٠	٠	ابتدائي	مطيلر	پروستان	الحبرية	مكتبي	پروستان
»	١٨٦٥	١٥٠	٠	٠	»	شقيكر	»	الاسقولنديه	»	»
»	١٨٦٥	١٢٠	٠	٠	»	مس كاردنر	پروستان	»	»	»
بافرمان حالي	١٨٦٠	١١٥	٠	٠	اعدادي	مس كادولين	»	بنات الدخليه	»	»
١٣ ربيع	١٨٦٣	١٩١	٣٠	٠	رشدی	»	»	س الرمل پرو	»	»
الاعمره ١٢٧٥	١٨٧٥	١١٩	٠	٠	»	»	»	مستان	مكتبي	»
»	١٨٦٦	١٠٥	٠	٠	»	»	»	بوسيه	»	»
»	١٨٦٥	١١٩	٠	٠	»	»	»	الاولی	»	»
»	١٨٦٢	٩٧	٠	٠	»	»	»	الاعلی	»	»
»	١٨٧٣	١٠٠	٠	٠	ابتدائي	»	»	پروستان	»	»
»	١٨٧١	٢٠	٠	٠	»	»	»	اعمی اناث	»	»
»	١٨٩١	٥٥	٠	٠	»	»	»	ذکور	»	»
»	١٢٧٨	٧٠	٠	٠	»	معلم قورد	اصريفان	الحرش	»	»
»	١٢٧٨	٤٥	٤٥	٠	»	»	»	جوليه بي	»	صيدا
»	١٣٠٠	٣٠	٣٠	٠	»	»	»	حارة اللوز	»	»
»	١٢٩٨	١٢٠	٠	٠	ليلی اعدادی	»	»	قنايه	»	»
»	١٢٧٨	٦٤	٠	٠	»	»	»	فنون و صنايع	»	»
»	١٣١٠	٤٠	٠	٠	ابتدائي	»	»	ايبلا	مكتبي	»
»	١٣١٠	٦٠	٠	٠	»	»	»	نباطيه مختا	»	»
»	١٣١٠	٣٥	٠	٠	»	»	»	جباغ	»	»
»	١٣١٠	٣٠	٠	٠	»	»	»	معماريه	»	»
»	»	٤٠	٠	٠	»	راهب افندی	فرانسه	بنفقول	»	»
غير معلوم	»	٦٣	٠	٠	»	مار يوسف	»	جزويت	»	»
قديم	»	»	٠	٠	»	راهب عری	»	راهبات	»	»
»	٣٨٧	٥٠	٠	٠	»	رئيس روحاني	لاتين	ترسانت	»	صور
»	٣٨٧	٣٠	٣٠	٠	»	جزويت	فرانسه	جزويت راهبه	»	»
»	٣٠٠	١٠٠	٠	٠	»	راهبه لری	»	لری	مكتبي	»
»	»	»	»	»	»	رئيس روحاني	»	سن زوزفرا	»	»
»	»	»	»	»	»	»	»	هبلری	مكتبي	»

المدارس الإرسالية: بلغ عدد المكاتب الإرسالية الابتدائية في ولاية بيروت 84 مكتباً.

رقعت نامہ تاریخی	مکتبہ نامہ رقعتی	طلبہ عدد		مکتبہ نامہ رقعتی	مسترمون	پروستان (انگلیز)	مکتبہ اسمی	قضا	لوا
		ذمور	انان						
رخمستز	۳۹۹	۳۰	۳۰	ابتدائی	.	پروستان	انگلترہ	سیدا	مرجعیون
.	.	۵۰	۱۳۰	.	.	.	پروستان مکتبی	.	.
.	.	.	.	.	.	امریقان	امریقان	.	.
.	۱۸۵۴	.	۳۰	رشدی	.	.	ذکور	طرابلس شام	.
.	۱۸۵۴	۱۶۰	.	.	.	.	انان	.	.
.	۱۸۸۳	۴۰	۴۵	ابتدائی	.	.	طروس امریقان	.	.
.	۱۸۸۵	۳۵	۵۰	.	.	.	منارہ قرہ سی	عکا	.
.	۱۸۶۹	۱۳	۵۷	.	.	.	شیخ محمد	.	.
.	۱۸۶۶	۲۰	۱۰	.	.	.	یتو	.	.
.	۱۸۷۹	۵	۲۰	.	.	.	عمار	حسن الابراد	.
.	۱۸۷۲	.	۶۰	.	.	.	حریہ	.	.
.	۱۸۶۴	.	۴۰	.	.	.	پورج	صافیتا	.
.	۱۸۹۳	.	۲۵	.	.	.	عین الیارد	.	.
.	۱۸۹۲	۸	۵۰	.	.	.	بیت سیاط	.	.
.	۱۸۹۱	.	۱۶۰	اعدادی	.	فرانسہ	فرہر	طرابلس شام	.
.	۱۸۷۰	۵۸۵	.	.	.	.	راہیان	.	.
.	.	.	۱۲۰	رشدی	.	.	فرہر	.	.
.	.	.	۸۵	ابتدائی	.	انگلیز	پروستان	عکا	عکا
.	.	.	۴۰	.	.	ایتالیا	لاتین	.	.
.	.	۱۵۰	.	.	.	انگلیز	پروستان	.	.
.	.	۲۵۰	.	رشدی	.	فرانسز	راہیان	.	.
.	.	.	۲۰	ابتدائی	.	ایران	ایران	.	.
.	.	.	۱۵۰	رشدی	.	روسیہ	رامہ قرہ سی روم اور تودوس مکتبی	.	.
.	.	۷۰	۸۰	.	.	انگلیز	کفر یا سف پروستان مکتبی	.	.
.	.	.	۶۰	.	.	فرانسہ	بصہ قرہ سی فرانسز مکتبی	.	.
.	.	.	۲۵۰	.	.	.	شفا عمر قرہ سی راہیان مکتبی	.	.

کتاب	لوا	قضا	مکتبک اسمی	مکتبک منسوب اولاد فی ملت	مکتبک درجه سی	طلبه عدد		مکتبک کتابخانه	مکتبک کتابخانه	مکتبک کتابخانه
						ذکور	اناک			
رخسنتن	عکا	حفا	فره در مکتبک	فرانسه	کونراد	رشدی	۱۸۰	۲۹۷	رخسنتن	رخسنتن
»	»	»	روسیا اورنودنس	روس	نیقولایفکی	ابتدائی	۳۰	۳۱۱	»	»
»	»	»	پروستان	انگلز	سکس	»	۷۰	۳۰۰	»	»
»	»	»	موسوی	فرانسه	بنشول	رشدی	۲۰۰	۲۹۵	»	»
»	»	»	راهبان الحینه	»	میرسون	ابتدائی	۳۰	۲۷۰	»	»
»	»	»	الناصره	»	مادام دیریو	»	۱۵۰	۳۱۵	»	»
»	»	»	پروستان انگلیز	انگلز	سکس	»	۱۵۰	۲۹۷	»	»
»	»	»	راهبان المانیا	المانیا	مادام تامیث	»	۳۰	۷۰۲	»	»
»	»	»	فره در	فرانسز	»	ابتدائی و رشدی	۱۳۲	۳۰۹	»	»
»	»	»	ابوالنبی	»	»	رشدی و اهدادی	۴۰	۳۰۵	»	»
»	»	»	فرانسز کان	»	»	ابتدائی و رشدی	۱۵۰	۳۱۵	»	»
»	»	»	راهبان الناصره	»	»	رشدی و اهدادی	۱۵۰	۳۰۸	»	»
»	»	»	مار یوسف	»	»	»	۶۰	۳۰۷	»	»
»	»	»	روس	روس	»	»	۶۰	۳۰۰	»	»
»	»	»	»	»	»	ابتدائی	۸۵	۳۰۰	»	»
»	»	»	»	»	»	»	۱۱۰	۳۰۰	»	»
»	»	»	پروستان انگلیز	انگلز	»	رشدی و اهدادی	۹۸	۲۹۰	»	»
»	»	»	»	»	»	ابتدائی	۸۳	۲۸۴	»	»
»	»	»	امبرانیلیت	الیانس	»	»	۸۵	۲۰۹	»	»
»	»	»	الیانس	موسوی	موسیو ویر	»	۱۳۵	۳۱۳	»	»
»	»	»	فریثورس اسکول	پروستان	»	»	۸۰	۳۰۹	»	»
»	»	»	انگلز پروستان	انگلز	دوکتور راید	»	۳۵	۱۲۸۳	»	»
»	»	»	انگلز پرو	»	»	»	»	۱۲۸۸	»	»
»	»	»	پروستان مکتبک	»	»	»	»	۱۲۸۸	»	»
»	»	»	پروستان مکتبک	»	»	»	»	۱۲۸۳	»	»
»	»	»	پروستان مکتبک	»	»	»	»	۱۳۰۰	»	»
»	»	»	پروستان مکتبک	»	»	»	»	۱۳۹۳	»	»

۳۱۸  
پروستان عالی جدول

المبحث الثاني:

"التعليم العثماني في بلاد الشام

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني"

"ولاية بيروت أنموذجاً"



كان التعليم قبل عصر التنظيمات تعليماً حرّاً، يبدأ بالكتاب في المنزل على يد مربٍّ أو شيخ، ويتعلم فيه التلميذ أجزاء من القرآن الكريم. أما مبادئ الحساب فكان يتعلمها من قباني<sup>1</sup> القرية، وكان تعلم القراءة والكتابة هو الحد الأقصى للتعليم فيها.

في المدن، فكان التلاميذ يتلقون العلم في المساجد والكتاتيب، وكانت مادة التدريس الأساسية هي حفظ القرآن وتلاوته، وكثيراً ما استعملت المساجد كمدارس. ولم تكن الحكومة تتفق على المدرسين أو على أبنية المدارس، بل كانت المدارس تدين بوجودها إلى تبرعات المحسنين الذين أنشأوها وحبسوا عليها الأوقاف.

وفي عصر التنظيمات أصبح للدولة سياسة تعليمية ذات أهداف، فسنتت النظم اللازمة التي استهدفت إدارة التعليم في الولايات. ويمكننا أن نقسم التعليم في عصر التنظيمات إلى ثلاثة أنواع: الكتاتيب، المدارس الحكومية والمدارس الخاصة.

وفي الجانب المسيحي، لم يخرج التعليم عن مفهوم التعليم الديني عند المسلمين، فكان كاهن القرية هو معلّم المدرسة التي تتواجد في حرم الكنيسة أو الدير، يعلم التلاميذ مبادئ العربية والحساب والديانة المسيحية، وكذلك كان الأمر عند المسيحيين في المدن، فكان الكاهن في المحلّة هو الراعي والمعلّم في أن معاً. وشهدت بلاد الشام تقدماً كبيراً في التعليم بعد عصر التنظيمات، والتي كانت بيروت جزءاً من هذه البلاد. وكان الاهتمام ببيروت كبيراً في العهد العثماني، حيث كانت هذه المدينة محبّبة إلى قلب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فأنشأ فيها العديد من المدارس الابتدائية والإعدادية والرشدية والسلطانية.

بالإضافة إلى المدارس الحكومية التي أنشئت بعد عصر التنظيمات، كان في بيروت بعض المدارس الأهلية الإسلامية والمسيحية، بالإضافة إلى العديد من المدارس الإرسالية (التبشيرية) التي كانت منتشرة على نطاق واسع في بيروت، حتى قبل التنظيمات، مستفيدة من نظام الامتيازات.

لقد بدأ الاهتمام بالتعليم الحديث بشكل جدّي في عصر التنظيمات، ولا سيما بعد سنة 1845م، ثم تسارعت الخطى نحو تطوير التعليم في المدارس القائمة، غير أن أهم خطوة اتخذت

( 1 ) قباني: شيخ.



في مجال تطوير المدارس قد تحققت بعد صدور نظام المعارف العام سنة 1286هـ/1869م<sup>2</sup>، وهو عبارة عن 198 مادة، يشمل جميع المدارس في السلطنة.

وهكذا شهدت المدارس في بيروت تطوُّراً كبيراً، وبلغت أزهى مراحلها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وتوسَّعت توسُّعاً كبيراً، وانتشرت انتشاراً لم تشهده من قبل، ولم يشمل هذا الانتشار ولاية دون أخرى، بل امتد إلى كل أرجاء الدولة العثمانية ومن ضمنها البلاد العربية، التي كانت بيروت تشكّل إحدى ولاياتها.

**جغرافية ولاية بيروت**

في السادس من ربيع الآخر عام 1305هـ/1887م، وقَّع أعضاء مجلس مخصوص قراراً بإنشاء ولاية بيروت من أُلوية: بيروت وعكا والبلقاء وطرابلس الشام واللاذقية، وهذه الأُلوية كانت تابعة "لولاية سورية"، وقد أشار القرار إلى ثلاثة أسباب أدت إلى إنشائها، وهي:

1- ازدياد أهميّة مدينة بيروت وحساسيتها.

2- الوقوف في وجه النفوذ الأجنبي والتقليل من شأنه وأسبابه.

3- اتساع ولاية سورية، وتخاذ ولايتها مدينة دمشق مركزاً لهم، الأمر الذي يجعل من بيروت دون أهميتها. وبعد مرور يومين على اتخاذ القرار، أصدر السلطان إرادته السنوية في 8 ربيع الآخر 1305هـ/1887م<sup>3</sup>.

### التعليم في بيروت قبل عهد عبد الحميد الثاني

حتى أوائل القرن التاسع عشر، كانت بيروت تتابع دون ملل حياتها الرتيبة تحت أقبية التقاليد المتوارثة منذ مئات السنين، ولا تحاوّل أو تفكّر بالخروج إلى فضاء الحضارة الحديثة التي انتهت إليها الأمم الأوروبيّة بعد أن رفضت عن كاهلها التخلف الذي ناءت تحت وطأته خلال العصور المظلمة.

وكان التعليم في بيروت بشكل عام، يقوم على عاتق أشباه المتعلمين الذين جعلوا من بيوتهم أو دكاكينهم التجارية مدارس بدائية، يستقبلون فيها الصبيان، حيث يلقونهم مبادئ القراءة والكتابة مع المبادئ الأُولية في علم الحساب، إلى جانب الخط العربي. وإذا كان المعلم مسيحياً كان اهتمامه ينصبّ على تعليم هؤلاء الصبيان قراءة الإنجيل المقدّس وحفظ بعض مزاميره، وإن

2) B.O.A: Y.EE, 112/6.

3) سالنامه ولاية بيروت لعام 1317هـ، ص 26، وسالنامه ولاية بيروت لعام 1318م، ص 65.

كان مسلماً ركّز اهتمامه على تعليم صبيانهِ تلاوة القرآن الكريم وحفظه بعض آياته. وكانت تلك المدرسة تعرف باسم "الخوجاية" وذلك نسبة إلى مديرها وصاحبها الذي يدعى "الخوجا". والخوجاية والخوجا كلمتان تركيتان، تقابلهما باللغة العربية "الشيخ" أو "الشيخة". وهذا الاصطلاح بقي مستعملاً ورائجاً على ألسنة البيروتيين حتى عهد قريب، والخوجاية أو الشيخة هي عبارة عن تلك الكتابات التي كان يفتحها هؤلاء أشباه المتعلمين<sup>4</sup>.

وبقيت بيروت خلال قرون طويلة خالية من أي مؤسسة علمية تستحق الاهتمام إلى أوائل القرن التاسع عشر (الأ من بعض الإرساليات الأجنبية)، وحتى ذلك الزمان كان الراغبون في طلب العلم من البيروتيين قابعين "بفك الحرف" في الكتابات الصغيرة، داخل الدكاكين التجارية التي كان يديرها أشباه المتعلمين، أو بالأصح "أشباه الأميين"، وأكثرهم من المكفوفين. ومن كان ذا سعة من الطلاب، كان يسافر إلى الخارج، أو يلوذ بأروقة المعابد الدينية، كالمساجد والزوايا والأديرة والكنائس، وهناك يلتئم المتعلمون على أيدي الشيوخ والكهنة، لإشباع ما يروى ظمأهم من الثقافة والمعرفة، في حدود ما كان متداولاً من العلوم في ذلك الحين، بما يؤهلهم لأن يكونوا في المستقبل أئمة في المساجد أو كهناً في الكنائس، من دون أن يتطلعوا أبعد من ذلك.

نصّت المادة المائة والتاسعة والعشرون، من قانون المعارف العام الصادر 1286هـ/1869م، على أنّ المكاتب الخاصة التي تأسست، سواء من طرف جماعة أو أفراد، هي من تبعية الدولة العثمانية أو الدول الأجنبية تتم إدارتها من طرف مؤسسيها أو الجماعات أو الأوقاف التابعة لها. ويجب أن يكون المعلمُ حاصلًا على شهادة "تامة" سواء من طرف نظارة المعارف أو من طرف إدارة المعارف من الجهة التي ينتمي إليها. وفي حال كانت هذه المكاتب ستدرّس دروساً مغايرة كما هو معمول به في المكاتب العثمانية الأخرى يجب أن تخضع لمصادقة نظارة المعارف، ويجب أن تحصل المكاتب على رخصة من الجهات المختصة. وفي حال لم تتوافر هذه الشروط لا يحصل المكتب على ترخيص<sup>5</sup>.

ويرى أكثر الباحثين، أنّ المبشرين استغلّوا الحقوق الممنوحة لهم من قبل الدولة العثمانية من جهة، وتسامحها وعدالتها من جهة أخرى، خصوصاً بعد إعلان التنظيمات

والإصلاحات، فاستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم التبشيرية في (4) علي محمد إبراهيم: الحياة الاجتماعية والفكرية في الدولة العثمانية 1808-1908م، أحداث مع شيوخ الكتابات، إستنبول، 1972م، ص211.

5) B.O.A: Y.EE, 112/6.

أراضي الدولة. وكانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغّل وإقامة النفوذ فيها. لذلك سعت هذه الجمعيات إلى مدّ الجسور مع أهالي المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط وإقامة علاقات ودية معهم. وقد أولى هؤلاء المبشرون التعليم أهمية كبيرة، ووجدوا فيه خير وسيلة لتحقيق مآربهم، فهو مجال واسع لنشر أفكارهم وإجراء تبادل ثقافي في المجتمعات الشرق أوسطية، وكانوا يهدفون من هذا التحويل، إنشاء جيل وزعماء المستقبل فيميل إليهم الجميع ويؤيدونهم، ولهذا أخذوا على عاتقهم تعليم أبناء رجالات الدولة الأقياء من العائلات النبيلة، بغية إعدادهم زعماء مؤثرين في المستقبل. ولم يكن التعليم عند المبشرين مقتصرًا على الذكور، بل أعطوا الفتاة أهمية كبرى في هذا المجال.

ولقد وجد المبشرون في العالم الإسلامي مجالاً خصباً لنشاطاتهم، ولم تجد الجمعيات التبشيرية التابعة للغرب الأوروبي أيّ صعوبة في تأسيس مدارس لها في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، بما فيها الولايات العربية، واستغلت عدم وجود أيّ قانون أو نظام يقيّد عملها (قبل صدور قانون المعارف العام سنة 1286هـ/1869م) في هذا المجال، بل على العكس من ذلك كانت الإمتيازات الممنوحة إلى الدول الأجنبية تتيح لها المضيّ قدماً في هذا المجال، وكان بمقدورها تأسيس أي مدرسة في أي مكان وبالعهد الذي ترغب على الرغم من إصدار الدولة العثمانية العديد من الفرمانات التي تطلب منهم عدم فتح أيّ مدرسة إلاّ بعد حصولهم على ترخيص موهبي<sup>6</sup>. طلائع التبشير تتوافد على بلادنا والعالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر على شكل موجات من الرهبان والراهبات الدومينيكان والفرنسيسكان، إلى مراکش والجزائر وتونس ومصر وبلاد الشام. بدعوة افتتاح المدارس والمستوصفات والمستشفيات. ثم لحق بهم العازاريون والكبوشيون والكرمليون. وكانت الكاثوليكية أولى الإرساليات في بلاد الشام منذ القرن السادس عشر ممثلة ب"الكبوشيين وراهبات الأراضي المقدسة واليسوعيين"، مستهدفين جذب أتباع المذاهب المسيحية الأخرى والإسلامية إلى الكاثوليكية، وإيجاد أتباع وبناء كنائس داخل البلاد العربية<sup>7</sup>.

كانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغّل وإقامة النفوذ فيها. ولهذا لم تتوان في تأسيس العديد من الجمعيات التبشيرية لمدّ الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين. وكان قسم من المبشرين الذين وفدوا إلى هذه البلدان لأول مرة أطباء قاموا بالتجوال

6) B.O.A: MKT.UM, 1831/21.

7) موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار البيارق، بيروت، ط8، 1996م، ص165-166.

في المناطق المختلفة لتقديم خدماتهم الطبيّة إلى الأهالي، وإنشاء مستشفيات ومراكز صحّيّة وتجهيزها بمراكز تشبيرية<sup>8</sup>.

وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات والمدارس التبشيرية الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة العثمانيّة، فخاف السلطان من مغبة هذا الخطر. ولما كانت بلاد الشام تجمع بين النصراني والمسلم، فقد كانت التفرقة بين الطوائف والملل أسرع إليها من سائر الأقطار، فدخلت التفرقة في ميدان التربية والتعليم عبر الكتب التي كانت توزعها المدارس الأجنبية وبعضها فيها الطعن بالإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب النصارى لتغييرهم من الدولة العثمانيّة<sup>9</sup>. ومما ساعد على إيجاد روح العداء في بلاد الشام وخصوصاً المقاطعات اللبنانية تجاه العثمانيين إنتشار التعليم الغربي وتغلغل آراء الثورة الفرنسية وتأسيس المطابع وإصدار الصحف، إضافة إلى أنّ المسيحيين كانوا يعدّون أنفسهم مواطنين غرباء في ظل السيادة العثمانيّة، ولم يشعروا بأن الحكومة العثمانيّة حكومتهم<sup>10</sup>.

لذلك عمدت الحكومة العثمانيّة إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى بيروت، لإيلاء أمر التعليم في المناطق التي تحت إدارتهم العناية اللازمة، حرصاً على إبقاء الرأي العام العربي، لا سيما المسلم، داخل الإطار الفكري للدولة العثمانيّة، فاستجاب الولاة لهذا التوجّه الرسمي وأخذت بيروت منذ ذلك الحين تحظى بحصّة الأسد من المدارس الحكوميّة الرسميّة التي كان الولاة يفتحونها باسم السلطان العثماني. وهذا الاهتمام الذي ظهر من الدولة العثمانيّة بالنسبة لفتح المدارس الحكوميّة في ولاية بيروت وغيرها من الولايات العربيّة، إنما كان نتيجة الملاحظات المتكررة التي أبدتها الحكومتون من هيئاتهم (البرلمانيّة) الذي أرسل في هذا الموضوع تقريراً قال فيه: "... ومع سابق معرفتي بهذه البلاد، فقد وجدتُ الحالة متغيرة عن ذي قبل<sup>12</sup>. فقد صبغت أحوال الولاية (سورية) الاجتماعيّة والسياسيّة بصبغة غير صبغتها الأولى، لأنّ الإنكليز والفرنسيين يبذلون مساعيهم منذ زمن لتقوية نفوذهم في هذه البلاد، وقد أوصلوا جبل لبنان إلى حالته الحاضرة، وهم يحاولون إيصال بقية البلاد الشاميّة إلى ما وصل إليه الجبل، فالأمريكان

---

( 8 ) فاضل بيّات: المؤسسات التعليميّة في المشرق العربي العثماني، دراسة إحصائيّة تاريخيّة في ضوء الوثائق العثمانيّة، منظمة التعاون الإسلامي (إرسكا)، إستنبول، 2013م، ص675.  
( 9 ) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، ص177.  
( 10 ) زين نور الدين زين: نشوء القوميّة العربيّة، دار النهار، بيروت، ط3، 1979م، ص46.  
( 11 ) طه الولي: بيروت في التاريخ والحضارة وال عمران، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م، ص206.  
( 12 ) إشارة إلى أن مدحت باشا عمل ككاتب في ولاية سورية لأكثر من سنتين (1865م).

يريدون إعلان حمايتهم لجبل النصرية فيفتحون المدارس ويشوقون الأهالي لقبول الحماية الأمريكية، والألمان يرسلون مهاجريهم إلى سواحل القدس لإسكانهم في القرى المجاورة. خلاصة الكلام مدحت باشا: "كل دولة تريد أن تضع يدها على قطعة من بر الشام، والخلل سائر في البلاد وليس ثمة اسم للعلاج، وجرائد أوروبا تكتب المقالات مظهرة سوء المغبة، وقام المستعمرون الذين أنشأوا المدارس من بر الشام طالبين الاشتراك في اقتسام السلب"<sup>13</sup>.

والجدير بالذكر أنه لما قامت الدولة العثمانية بافتتاح المدارس في المناطق الإسلامية لتعميم العلم في أوساط المسلمين، أظهر النصارى المحليون امتعاضهم لما سمّوه محاباة الدولة لأبناء دينها - أي المسلمين - ولما نقلوا احتجاجهم إلى مدحت باشا لعدم افتتاح المدارس في مناطقهم أجابهم مدحت باشا بأن النصارى يلاقون من أبناء ملتهم الأجانب الرعاية الكافية في هذا الميدان، أمّا المسلمون فليس لهم من يهتم بهم سوى الدولة، وأياً ما كان، فإنّ تعليم المسلمين يخدم جميع الرعايا العثمانيين، لأنّ ذلك يؤدي إلى ارتفاع المستوى العلمي لدى الجميع، وإن اختلفت مصادر التعليم الأجنبية التي اعتادت القيام بنشاطها بشكل مستقل دون حسيب ولا رقيب بفضل الامتيازات الممنوحة للدول الأوروبية. ولهذا واصلت المدارس الأجنبية تدريس الكتب الدراسية المقررة في بلدانها واتباع المناهج الدراسية نفسها، وفيها الطعن بالإسلام، وبث روح التفرقة بين الطوائف، والكراهية والحد ضد الدولة العثمانية. ولم تقف عند هذا الحد بل قامت بتشجيع أبناء المسلمين على الدخول فيها، وتقديم كلّ التسهيلات اللازمة لهم، وإشراك الطلاب المسلمين بالطقوس الدينية غير الإسلامية وإجبارهم أحياناً عليها، والحيلولة دون تنقّبها من قبل المفتشين الحكوميين ولا مجال لتعداد أسماء المكاتب الأجنبية (الإرستاليات) في ولاية بيروت - كما سنشير إلى العدد حسب ما ورد في سالنامة نظارة المعارف لعام 1321هـ/1903م. وسنذكر عدد السكّان الأجانب في ولاية بيروت مع أعداد السكّان المسيحيين المحليين.

أولاً: عدد المكاتب الأجنبية في ولاية بيروت وحدها بلغ 123 مكتباً (يشمل كلّ المستويات)<sup>15</sup>.

ثانياً: أمّا عدد السكّان الأجانب في ولاية بيروت فقد بلغ 1236 نسمة ذكوراً وإناثاً.

---

13 قدرى قلعجي: مدحت باشا أبو الدستور وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، بيروت، 1958م، ط3، ص78-79.

14 ( طه الولي: مرجع سابق، ص210.

15 ( سالنامة نظارة المعارف لعام 1321هـ/ص425-433.

ثالثاً: وأمّا عدد السكان المسيحيين المحليين بكلّ مذاهبهم فقد بلغ 115565 ألف نسمة<sup>16</sup>. هذا العدد يشمل اليهود أيضاً.

فإذا اعتبرنا أنّ الرسائل الأجنبية قد فتحت لأبناء جلدتها الأجانب فعدد المدارس ضخم جداً، وإذا اعتبرنا أنّ هذه الرسائل قد فتحت أيضاً للسكان المسيحيين المحليين، فإنه أيضاً كبير جداً. ويستدل من التقارير واللوائح التي أعدها مسؤولو الدولة مدى على ما كانت تشكله هذه المدارس الأجنبية من تهديد مباشر لكيان الدولة العثمانية وأمنها، وبخاصة بعد أن وصل الأمر بالدول الأجنبية القيام بفتح مدارس لها في أماكن لا يوجد فيها سكّان أجانب ولا سكّان مسيحيين محليين أصلاً<sup>17</sup>. إذاً من هنا يتّضح هدف الدول الأجنبية من فتح هذا الكمّ الهائل من المدارس، فهو لم يكن كما تدّعي هذه الدول تعليمياً بحتاً، بل كان هدفها الحقيقي نشر الدين المسيحي واستعمار ~~وكافة الشعوب~~ المسيحية في بلاد الشام وجبل لبنان تهيأ لها الاحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة قبل المسلمين. وكان ذلك أمراً طبيعياً ومنطقياً، فبين مسيحيي الغرب ومسيحيي الشرق وحدة حال من الناحية الدينية، وهذا الأمر أدّى بصورة عفوية إلى وجود رابطة اجتماعية وثقافية بين الطرفين أثمر على المستوى التعليمي مبادرة المسيحيين المحليين إلى محاكاة نظرائهم

في الدين، وبخاصة في أسلوب إنشاء المدارس على الطريقة الأوروبية العصرية. فالتعليم المسيحي كان موجوداً في كل دير وكنيسة، والمسيحيون لهم الحق في إنشاء

مؤسساتهم الخاصّة تحت سلطة رؤسائهم الروحيين تبعاً لنظام الملة<sup>18</sup>، وبخاصة الكنيسة المارونية التي كانت المؤسسة الوحيدة في الدولة العثمانية التي لم تخضع كلياً لإدارة السلطان. ومنذ أواسط القرن السابع عشر عمد رجال الدين الموارنة الذين عادوا من المدرسة المارونية في أوروبا، إلى تأسيس عدد من المدارس، ولم تلبث بقية المذاهب المسيحية أن سارعت إلى إنشاء مدارسها ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر في مختلف أنحاء الشام<sup>19</sup>.

---

16 ( سالنامه ولاية بيروت لعام 1322هـ، ص308.

17 ( راجع سالنامه ولاية بيروت لعام 1322هـ، فيها تفصيل لعدد السكّان بكل لواء وسنجدق وناحية، فتحت العديد من المدارس الإرسالية في مناطق لا وجود فيها أصلاً للمسيحيين.

18 ( أحمد سراج الدين: الحركة التربوية وتطورها في لبنان خلال القرن التاسع عشر، مجلّة الأبحاث، السنة الرابعة، الجزء الثالث، أيلول، 1951م، العدد 321.

19 ( حسان قبيسي: الدولة والتعليم في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، عدّة باحثين، رئيس التحرير: منير بشور، ط1، 1999م، ص108-109.

وأقدم المدارس المسيحية الأهلية هي تلك التي أنشأها المعلم "بطرس البستاني"، بمساعدة المبشرين الأمريكيين الذين لم يبخلوا بخبرة رجالها وسخاء أموالهم، وكذلك بالكتب المدرسية التي ترجموها وألقوها بما يتلاءم وأغراضهم التبشيرية وطبعوها بمطابعهم، وقد افتتحت المدرسة رسمياً أبوابها سنة 1279 هـ \ 1863م تحت اسم "المدرسة الوطنية"<sup>20</sup>، لكن المدرسة فتحت أبوابها بادية الأمر للأطفال المسيحيين، عكس ما كان يظن البعض، بأنها فتحت أبوابها لجميع أبناء الوطن من دون تمييز في الدين أو الطبقة الاجتماعية، غير أنّ الوثائق العثمانية عكس ذلك، فقد أمر الباب العالي بأن تفتح المدرسة أبوابها لجميع أهالي بيروت من المسلمين والمسيحيين<sup>21</sup>، توالى إنشاء المدارس الأهلية للطوائف المسيحية، فأُسست في سنة 1864م \ 1280هـ، المدرسة السريانية على أيدي القس "لويس الصابونجي"<sup>22</sup>. وبعدها أنشئت مدارس وطنية أخرى، منها المدرسة البطريركية للروم الأرثوذكس سنة 1282 هـ \ 1866م<sup>23</sup>، وفي سنة 1237 هـ \ 1824م أنشأت الطائفة الأرثوذكسية مدرسة "زهرة الإحسان" وكانت هذه المدرسة للبنات<sup>24</sup>، وفي سنة 1292 هـ \ 1875م أنشأ الإكليروس الماروني "المدرسة المارونية بجهود المطران يوسف الدبس مطران الطائفة المارونية في بيروت، وبعد فترة استغنى عن الاسم وسميت "بمدرسة الحكمة"<sup>25</sup>.

لا مجال لتعداد جميع المكاتب المسيحية الأهلية التي تم إنشاؤها في ولاية بيروت، ولا ذكر اسم المكتب وسنة إنشائه ومكانه، لذا سنكتفي بذكر العدد وهو 53 مكتباً يشمل جميع المستويات<sup>26</sup>.

وأوردت سالنامة ولاية بيروت عدداً آخر لهذه المكاتب بزيادة 23 مكتباً<sup>27</sup>، وبذلك يكون مجموع المكاتب المسيحية المحليّة في ولاية بيروت 76 مكتباً يشمل كافة المستويات.

ومجمل القول، إنّ ساحة التعليم في ولاية بيروت قبل استلام السلطان عبد الحميد الثاني السلطة، كانت مسرحاً موقوفاً على المدارس الأجنبية التبشيرية والمسيحية الأهلية التي خلا لها ( 20 ) طه الولي: مرجع سابق، ص216.

21 ) B.O.A: MF.MKT, 508/41/619-1.

22 ) B.O.A: MF.MKT, 508/41/619-2.

23 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 101، 15 ربيع الأول 1294 هـ \ 17 آذار 1877م.

24 ) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1878م، ص398.

25 ) طه الولي: مرجع سابق، ص231.

26 ) سالنامة نظارة المعارف لسنة 1321 هـ \ ص425-428.

27 ) سالنامة ولاية بيروت لسنة 1311-1312 هـ \ ص249.

الجو لإرساء قواعد الثقافة الغربية قبل أن تنتبه السلطات العثمانية وتبادر إلى التعاون مع أبناء هذه البلاد لإنشاء المدارس الحكومية والأهلية الإسلامية، كي لا يبقى المواطنون المسلمون عيالاً على الإفرنج في هذا الميدان الحساس.

ولعلّ أفضل وصفٍ لأهداف للدول الأوروبية في هذا المجال، ما كتبه الشيخ عبد القادر قباني في جريدة ثمرات الفنون، حيث قال: "إن أوروبا لم تتجشم هذه المشاق، وتعرّف تلك المعارف رحمة بالشرق، ولا رافة بأهل الشام، إنما رغبت أن تجعل لمشروعها السياسي حزباً لها يتغذى بمحبّتها صغيراً، فإذا كبر انتشر في البلاد، وكان عوناً لها على مساعيها"<sup>28</sup>.

### المدارس الحكومية العثمانية والأهلية الإسلامية

في القرن التاسع عشر شعر المسلمون في بلاد الشام عامة وفي بيروت خاصة، بخطورة الغزو الأوروبي الثقافي والسياسي والعسكري الذي بدأ يجتاح بلدانهم، وأمام أطماع الدول الأوروبية ارتأوا أنّه لا بدّ من مواجهة الأخطار الفكرية والسياسية والعسكرية، وأحسّوا بأهمية الاعتماد على الذات والتمويل الذاتي لمواجهة خطر المشاريع الأوروبية والمحلية الداعية إلى تغريب وتنصير أبناء المسلمين مقدّمة لتنصير مدينة بيروت وإيجاد أجيال تدين بالولاء للغرب، لا سيّما بعد الانتشار غير المسبوق للمدارس غير الإسلامية التي تمّ إنشاؤها في ولاية بيروت، فلم يكد يمر وقت طويل حتى شهدت أرجاء الدولة العثمانية كافة أعداداً هائلة من هذه المدارس وبمستويات مختلفة، حتى إنّ بعضها كانت خافية على الدولة العثمانية، إذ نجد أنّ وزير المعارف "زهدي باشا" ذكر في تقرير قدّمه إلى السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1311هـ/1894م أنّه من غير الممكن تقديم إحصائية دقيقة عن المدارس والمؤسسات التبشيرية في الدولة العثمانية.

وإزاء ضعف الدولة وتغلغل الإرساليات الأجنبية واتساع نفوذها والعمل على بث روح التفارقة بين أهالي الشام وبيروت، وفيه الطعن في الإسلام وبثّ الكراهية في نفوس التلاميذ ضدّ كان فيه عدد مدارس الأقليات في البلاد لا تقل عن 4547 منها 4049 مدرسة غير مرخصة<sup>29</sup>.  
الدولة العثمانية، أصدر السلطان عام 1261هـ/1845م خطأً هاميونياً أكّد فيه على الإصلاح وأنّ إنشاء مدارس صالحة في أرجاء الإمبراطورية كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر<sup>30</sup>، وكفّ يد رجال الدين عن المدارس وجعلها خاضعة لإشراف الدولة، بعد أن حوّل المفتي إلى موظف حكومي، وهذا التدبير كان الخطوة الأولى نحو تسلّم الدولة زمام التعليم كإحدى وظائفها الأساسية

( 28 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 203، 3 ذو الحجة 1295هـ \ 28 كانون الثاني 1878م.

( 29 ) فاضل بيّات: مرجع سابق، ص767.

( 30 ) Bernard Lewis: The emergency of modern turkey, London, Oxford, 1961, P:82.



وبعد أن تولّى السلطان محمود الثاني الحكم قام بحركات إصلاحية واسعة في بنية الدولة وحياة المجتمع، وأقرّ بالدور الكبير لمؤسسة التعليم في هذه الإصلاحات، ورأى أنّ التعليم بوضعه الحالي ليس بوسعه الاستجابة لمتطلبات الدولة، فكان عليه أن يقوم بتحديث التعليم وإنشاء مدارس حديثة، وأنّ خلاص الدولة ممّا تعانیه من التخلّف لا يمكن تحقيقه إلاّ بتطوير التعليم وتوسيعه<sup>31</sup>. وهكذا أخذت الدولة بالتصدّي لتغلغل المدارس الإرسالية في بلاد الشام وخصوصاً بيروت والحدّ من انتشارها، وعملت الدولة بمختلف الأصعدة لأجل ذلك، ومنها:

- 1- إنشاء المدارس الإسلامية.
- 2- عرقلة المدارس الإرسالية بعدم إعطائها تراخيص ومراقبتها عن كثب.
- 3- الإكثار من المدارس الحكومية.

### إنشاء المدارس الإسلامية

كانت الطوائف المسيحية سبّاقة إلى افتتاح المدارس في ولاية بيروت، أما مدارس حال المسلمين قبل عهد عبد الحميد الثاني، فيصفها الفجر الصادق بقوله<sup>32</sup>: "أما الطائفة الإسلامية فإنها كانت غافلة عن ذلك خمسة عشر سنة، مقتصرة على بعض زوايا مهجورة مملوءة بالعفونة والرطوبة، ممّا يضرّ بصحة الأولاد، ومن المعلمين على المشايخ العميان الذين لا ننكر فضلهم، لأنهم قاموا بواجباتهم على قدر استطاعتهم، ومن الأطباء على أناس من الحلاقين والحجامين. وبقيت الطائفة الإسلامية محرومة من الفوائد التامة بالمدارس الملقبة بالعمومية، لأنّ مبادئ تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة، كأن يشترط في بعضها على التلاميذ الخضوع ليقول للمدعيّة القادر قباني<sup>34</sup>، ربما يفاجأ أبناء زماننا: "إذا أخبرناهم بأنّ أجدادهم من أهل القرن التاسع عشر، كانت مدارسهم من الحوانيت داخل أسواق بيروت القديمة، وبعضها كان إلى جانب أبواب المساجد. ففي هذه الدكاكين كان يتعلّم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب"، ويسترجع عبد القادر قباني بعض ذكرياته في مجلّة الكشّاف إذ يقول: "وكان بعض

31 (فاضل بيات: مرجع سابق، ص:16).

32 (الفجر الصادق: هو الأعمال المدونة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، سنة 1297هـ).

33 (الفجر الصادق: البيان السنوي لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، سنة 1297هـ، ص:4).

34 (الشيخ عبد القادر قباني: هو من مواليد بيروت عام 1844م، وكان صاحب جريدة ثمرات الفنون وأول رئيس لجمعية المقاصد في بيروت، ومدير معارف بيروت عام 1902-1908م).

أصحاب هذه الكاتيب لا هم لهم إلا أن يختم الطالب القرآن الكريم ليتناولوا "المعلوم"، أي المكافأة أو الإكرامية التي كانوا يسمونها "الحلوانة" ونسبها نحن البخشيش من الوالدين<sup>35</sup>.

وحرصاً من الطائفة الإسلامية على أبنائها من التغريب، سارع الأهالي إلى توجيه عدد من الرسائل إلى السلطات العثمانية للمبادرة فوراً بتأسيس مدارس إسلامية، للوقوف في وجه الإرساليات والمدارس الأهلية المسيحية: "إلى الجناح الشريف بنظارة المعارف العمومية: بسبب كثرة المؤسسات الأجنبية في بيروت والمدارس المخصصة لغير المسلمين، ويريد الطلبة المسلمون التقدّم لها ولا يجدون مكاناً لهم، قام السيد صاحب العزة من أصحاب الفضل والعرفان عبد القادر أفندي (قباني) وصاحب الكرم عباس أفندي (الأزهرى) بتأسيس المدرسة الرشدية الابتدائية، وينتظرون الحصول على رخصة<sup>36</sup> والرهبان بنشر أفكارهم الهدامة، بدأت الرسائل تتوالى إلى السلطات العثمانية: إلى نظارة الخارجية الجلية، بخصوص استخدام بعض راهبات ورهبان البروتستانت الأماكن التي يقيمون فيها التجمعات مع الأهالي ونشر أفكارهم الدينية وبثّ التلقينات المسيحية وافتتاح لبعض المكاتب بدون رخصة من الدولة، يجب التحقيق في هذا الأمر بسرعة"<sup>37</sup>.

وفي رسالة أخرى وجّهت من مديرية المعارف في بيروت رسالة إلى السلطان تحذّر فيها من ضياع أطفال المسلمين بانتسابهم إلى المدارس الأجنبية ومما جاء فيها: "حضرة السلطان صاحب العظمة، كلّ الممالك الشامية التابعة لكم لها أهمية كبيرة بالنسبة للدولة العثمانية لذلك أكثر الإنكليز والأمريكان والفرنسيون من إنشاء المكاتب لهم، لذلك أردت أن أعرض على سيادتكم إنشاء مكاتب إسلامية مماثلة لتعليم الطلاب المسلمين. فالمكاتب الإسلامية الموجودة في بيروت وغيرها غير كافية لعدد الطلاب، مع أنّ المكاتب الأجنبية لها عظيم القدرة والفائدة، لذلك ينبغي تخصيص مبلغ من حصّة نظارة المعارف من أجل إنشاء مكاتب في بيروت وسورية، من أجل إنقاذ أطفال المسلمين وبنات المسلمين من الذهاب إلى المكاتب الأجنبية وتعليمهم وتربيتهم تربية إسلامية خالصة يجب ذهابهم إلى مكاتب إسلامية، وتقوم بعض المكاتب الأجنبية بتحريف بعض الكتب في مطابعهم الموجودة في بيروت. ويجب تأسيس مكتب للطب كما يوجد مكتب للإنكليز وآهر سعيد القلازا قباني الكشاف مطبوعه الأمل، مطبوعه ورتنيكو اغراف مطبوعه، لبرلايتية البريدل المينة الأولى 1345هـ، 1922م، ص: 87.

36 ) B.O.A: MF.MKT, 301/45 (5-6).

37 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-1.

مفتشين إلى بيروت وغيرها ومعابنة المدارس والمكاتب والمواد الدراسية، 15 ربيع الأول 1310هـ، مدير معارف سورية<sup>38</sup>.

وتعددت الرسائل من بيروت إلى السلطات العثمانية التي تحذّر من مغبة ذهاب أطفال المسلمين إلى المدارس الإرسالية: "من أجل حفظ وصيانة عقائد وأخلاق الطلبة المسلمين الموجودين في المكاتب غير المسلمة والأجنبية الموجودة في بيروت يجب إخراجهم من هناك وإرسالهم إلى المكاتب المسلمة"<sup>39</sup>.

وقد أرسلت بعض الرسائل إلى السلطات العثمانية تفيد أنّ المكاتب الأجنبية تمنع المسلمين من الذهاب إلى الصلاة: "إلى نظارة الداخلية الجلية، حضرة السيد صاحب الدولة، بخصوص السماح للطلبة الموجودين في المكاتب الأجنبية الذهاب إلى الصلاة في المساجد كما يسمح للطلبة المسيحيين الذهاب إلى الكنائس ولا يضيق أحد عليهم في هذا الجانب"<sup>40</sup>.

فبعد كل هذه الرسائل، ولعدم إفساد أخلاق الطلاب المسلمين المسجّلين في المدارس الأجنبية: "صدرت الإرادة السنيّة حيث تم منع أطفال المسلمين من الالتحاق بالمكاتب الأجنبية"<sup>41</sup>. كما صدر قانون التفتيش على المدارس الأجنبية سنة 1305هـ/1888م وجاء في البند التاسع: "ممنوع قبول أي من الطلاب المسلمين في المكاتب الأجنبية من أي عمر كان، ومن يجدونه يسلم إلى الشرطة". وجاء في البند الرابع عشر: "من يخالف من المكاتب الأجنبية غير المسلمة الدين الإسلامي والحقوق المقدّسة والمشروعة وحضرة السلطان ويروج لأفكاره الفاسدة يعرّض نفسه للمساءلة القانونية"<sup>42</sup>.

وتسابق الزعماء المسلمون في ولاية بيروت إلى افتتاح المدارس الحديثة، حيث تقدّم السيد عثمان باشا زاده محمد بك (المرعبي) من أمراء عشيرة عكار بطلب لفتح مدرسة في قرية مشحا بعكار<sup>43</sup>.

38 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 2/53.

39 ) B.O.A: MF.MKT, 613/12-3.

40 ) B.O.A: DH.MKT, 2726/85-1.

41 ) B.O.A: MF.MKT, 309/6-3.

42 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 1/63.

43 ) B.O.A: MF.MKT, 266/22 (3-2).

وكان من أهم المدارس الإسلامية التي تأسست في ولاية بيروت، تلك المدارس التي أسستها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وما زالت هذه الجمعية تقوم بمهمة التدريس على كامل الأراضي اللبنانية حتى يومنا هذا، فهذه الجمعية تأسست سنة 1295هـ/1878م<sup>44</sup>. ويرى أكثر الباحثين أنّ مدحت باشا كان وراء تأسيس جمعية المقاصد في بيروت، وقد تبين - من خلال دراسة قمت بها وقدمتها إلى الجامعة اللبنانية - أنّ مدحت باشا لا علاقة له بتأسيس جمعية المقاصد في بيروت<sup>45</sup>. وفعلاً قام مدحت باشا بتأسيس العديد من الجمعيات الخيرية أثناء ولايته على سورية تحت اسم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ومنها: صيدا<sup>46</sup>، اللاذقية<sup>47</sup>، عكا<sup>48</sup>، مرجعيون<sup>49</sup>، حيفا<sup>50</sup>، حماه<sup>51</sup>، طبريا<sup>52</sup>، نابلس<sup>53</sup> والبلقاء<sup>54</sup>.

لقد رأت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت منذ بداية نشاطها، أنّه لا بدّ من الاهتمام بالفتاة المسلمة وإعدادها إعداداً جيداً، ويعتبر توجه الجمعية هذا في بيروت نحو تعليم الفتاة ثورة بحدّ ذاتها، فقد لاقت هذه الفكرة اعتراضاً من معظم الأهالي ومقاومة من العلماء والمشايخ، لكنّ الجمعية لم تكتثر لهذا الأمر، ولم تعبأ بالمقاومة فأُسست أوّل مدرسة للبنات في 5 شوال 1295هـ/1878م<sup>55</sup>. وتم افتتاح المدرسة الثانية للإناث في شهر جمادي الثاني 1296هـ/1879م<sup>56</sup>. بينما كان افتتاح المدرسة الابتدائية الأولى للذكور في 23 ذي الحجة

- 
- 44 ( أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، إستانبول، 1999م، ص 429-430.
- 45 ( أنظر: خالد عبد القادر الجندي: جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بين الدولة العثمانية والدولة الفرنسية، منشورات مؤسسة الكتاب الحديث، 2016م، ص: 36-39.
- 46 ( طلال المجذوب: تاريخ جمعية المقاصد (صيда)، 1296هـ/1879م، 2002م، ص: 13-14.
- 47 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 251، 4 ذي القعدة 1295هـ/2 تشرين الثاني 1789م.
- 48 ( المصدر نفسه: العدد 256، 10 ذي الحجة 1296هـ/12 تشرين الثاني 1879م.
- 49 ( المصدر نفسه: العدد 259، 1 محرّم 1297هـ/15 كانون الأول 1879م.
- 50 ( جلسة الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت: جلسة 28 ذي القعدة 1296هـ.
- 51 ( المصدر نفسه: جلسة 29 ذي الحجة 1296هـ.
- 52 ( المصدر نفسه: جلسة 2 ربيع الأول 1297هـ.
- 53 ( المصدر نفسه: جلسة 21 شعبان 1297هـ.
- 54 ( المصدر نفسه: جلسة 15 رجب 1297هـ.
- 55 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 178، 6 شوال 1295هـ/21 أيلول 1878م.
- 56 ( جلسة الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد: 2 رمضان 1296هـ.

1296هـ 7 كانون الأول 1879م<sup>57</sup>. أما المدرسة الثانية للذكور فقد تقرر فتحها في شهر محرم 1297هـ 1879م<sup>58</sup>.

وفجأة، وبدون سابق إنذار، اتخذت السلطات العثمانية سنة 1300هـ 1882م، قراراً بحلّ الجمعية<sup>59</sup> وحلّ جميع الجمعيات التي شكلها مدحت باشا، وتعدّدت الروايات حول الأسباب الحقيقية لإغلاق الجمعية، وقد تناولت أسباب الإغلاق مفصلة في البحث الذي أعدته وأشرت إليه سابقاً.

وخلاصة القول إنّ من أهم أسباب إغلاق الجمعية هو أنّ الجمعيات التي كان يؤسسها مدحت باشا كانت تقوم بمساعدة ومساندة جمعية الاتحاد والترقي<sup>60</sup>. طبعاً ما عدا جمعية المقاصد في بيروت حيث لم يكن لمدحت باشا أيّ علاقة بتأسيسها، وأثبتنا ذلك في بحثنا المشار إليه سابقاً. فعندما تفاقم أمر جمعية الاتحاد والترقي في إسطنبول، أقدمت الدولة على حل جميع مكاتب جمعية المقاصد، إذ اعتبرتها الدولة تابعة لجمعية الاتحاد والترقي، وذهب "الصالح بعهد الطالح"، وهكذا طويت صفحة ناصعة من عمر جمعية المقاصد وبقيت مغلقة مدة 26 سنة، إلى أن عاودت العمل عام 1326هـ 1908م<sup>61</sup>. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى اتخذت الدولة العثمانية قراراً تمّ بموجبه ضمّ الجمعية إلى مجلس المعارف العمومي<sup>62</sup>. ولنستعرض أسماء المكاتب الإسلامية بحسب ورودها في الوثائق والسالنامات<sup>63</sup>.

اللواء	القضاء	اسم المكتب	عدد الطلاب	
			ذكور	إناث
اللاذقية	اللاذقية	مكتب مسجد سيج	66	14
اللاذقية	اللاذقية	مكتب الفتوح	80	--
اللاذقية	اللاذقية	مكتب العمري	40	--
اللاذقية	اللاذقية	مسجد الشيخ محمد	35	--

57 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 258، 24 ذي الحجة 1296هـ 8 كانون الأول 1879م.

58 ( جلسة الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد: جلسة 27 ذي الحجة 1296هـ.

59 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 404، 16 محرم 1300هـ 15 تشرين الثاني 1882م.

60 ( B.O.A: DH.KMS, 46/2 and B.O.A: DH.KMS, 47/73.

61 ( محاضر جلسات شعبة المعارف: جلسة 9 رمضان 1326هـ.

62 ( حسان حلاق: مذكرات سليم علي سليم (1868-1938م)، الدار الجامعية، 1981م، ص: 124.

63 ( B.O.A: MF.MKT, 317/46.

والمكاتب الخاصة الإسلامية في ولاية بيروت بحسب سالنامة ولاية بيروت لسنة

1311-1312هـ<sup>64</sup>، ولم تشر السالنامة، إن كانت هذه المكاتب ابتدائية أو لكل المستويات؟

القضاء	اسم المكتب	عدد الطلاب	القضاء	اسم المكتب	عدد الطلاب
بيروت	زاوية الإمام	20	بيروت	حارة باشورة	200
بيروت	جامع التوبة	60	بيروت	حارة باشورة	200
بيروت	السوق	100	بيروت	حارة الباشورة	35
بيروت	محلة الخضر	250	بيروت	باب يعقوب	40
بيروت	حارة الحمام	80	بيروت	حارة الغربية	20
بيروت	حارة الحمام	30	بيروت	رأس النبع	120
بيروت	رأس بيروت	20	بيروت	زقاق محافر	210
بيروت	حارة الحضرة	60	بيروت	زقاق البلاط	220
بيروت	حارة الباشورة	100	--	--	--

أسماء المكاتب الإسلامية في ولاية بيروت بحسب سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ<sup>65</sup>.

اللواء	القضاء	اسم المكتب	درجة المكتب	عدد الطلبة	
				ذكور	إناث
بيروت	بيروت	مكتب العلمية	رشدي	140	--
بيروت	بيروت	مكتب الوطنية	ابتدائي	295	--
بيروت	بيروت	مكتب التحصيل	ابتدائي	45	--

64 ( سالنامة ولاية بيروت لسنة 1311-1312هـ، ص:243-244.

65 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ، ص:423-425.

	17	ابتدائي	مكتب التدريب	بيروت	بيروت
--	150	إعدادي	مكتب العثمانية	بيروت	بيروت
--	70	رشدي	مكتب الحميدية	بيروت	بيروت
25	45	ابتدائي	مكتب الأحمدية	بيروت	بيروت
30	150	ابتدائي	مكتب الإجتهد	بيروت	بيروت
--	110	ابتدائي	مكتب التوفيق	بيروت	بيروت
30	60	ابتدائي	مكتب التهذيب	بيروت	بيروت
10	50	ابتدائي	مكتب الترفيع	بيروت	بيروت
--	100	ابتدائي	مكتب الأدبية	بيروت	بيروت
5	60	ابتدائي	مكتب الدراية	بيروت	بيروت
18	--	ابتدائي	مكتب الوسائل	بيروت	بيروت
10	30	ابتدائي	مكتب التبشير	بيروت	بيروت
5	25	ابتدائي	مكتب الإرتقاء	بيروت	بيروت
10	70	ابتدائي	مكتب الخيرية	بيروت	بيروت
--	30	ابتدائي	مكتب الشيخ عرفان	صيدا	بيروت
	300	ابتدائي	مكتب سيد حسن	صيدا	بيروت
	290	ابتدائي	مكتب عباء وعبد	صيدا	بيروت
	110	ابتدائي	مكتب فيض	اللاذقية	اللاذقية
	90	ابتدائي	مكتب الفتوح	اللاذقية	اللاذقية
	60	ابتدائي	مكتب عمري	اللاذقية	اللاذقية
	50	ابتدائي	مكتب الشيخ ظاهر	اللاذقية	اللاذقية

		ورشدي			
	31	ابتدائي	مكتب محمد	اللاذقية	اللاذقية
	30	ابتدائي	مكتب مسجد	اللاذقية	اللاذقية
	37	ابتدائي	مكتب محمد فتاحي	اللاذقية	اللاذقية
	45	ابتدائي	مكتب الشيخ محمد	اللاذقية	اللاذقية
	35	ابتدائي	مكتب الشيخ خميس	اللاذقية	اللاذقية
	20	ابتدائي	مكتب مسجد المعلق	اللاذقية	اللاذقية
	30	ابتدائي	مكتب الصوفي	اللاذقية	اللاذقية
	50	ابتدائي	مكتب الحميدية	صور	بيروت
	40	ابتدائي	مكتب العزيزية	صور	بيروت
	20	ابتدائي	مكتب عشقية	صور	بيروت
	30	ابتدائي	مكتب المركبة	صور	بيروت
	30	ابتدائي	مكتب حولة	صور	بيروت
	10	ابتدائي	مكتب عيزون	صور	بيروت
	30	ابتدائي	مكتب الدير	مرجعيون	بيروت
	30	ابتدائي	مكتب إبل السقي	مرجعيون	بيروت
	50	ابتدائي	مكتب الترشيحة	حيفا	عكا
				صفد	
13	37	ابتدائي	المكتب الخصوصي	حيفا	عكا
				صفد	

وقام كل من السيّدين عبد القادر القباني وعباس الأزهري بتأسيس مكتب خاص للمسلمين وأطلقوا عليه "الكلية العثمانية"، وطلبوا من السلطات العثمانية منحهم ترخيصاً لتعليم أبناء المسلمين سنة 1311هـ.



وقد أصدرت إدارة الكلية العثمانية لأئحة بقبول الطلاب ومما جاء فيها:

- 1- تأسست المدرسة العثمانية لفترتين ليلي ونهاري.
- 2- لا يقلّ عمر المتقدّمين من الطلبة عن 7 سنوات ولا يزيد على 10 سنوات.
- 3- يجب على الطلاب المتقدّمين أن يتمتعوا بحسن السيرة والسلوك والأدب والنظافة.
- 4- مدة الدراسة في المدرسة ست سنوات، تبدأ من شهر أيلول وتنتهي في شهر حزيران وهي عبارة عن عشرة أشهر في السنة.
- 5- أيام العطلة في المدرسة يوم 27 رمضان و4 أيام من شوال ومن 9 ذي الحجة إلى 14 منه وبعض الأيام الخاصة الأخرى.
- 6- تقسّم مصاريف المدرسة على قسطين فقط، القسط الأول عبارة عن 3 ليرات في بداية العام والقسط الثاني عبارة عن ليرتين في وسط العام الدراسي.
- 7- من يتأخّر ثلاثة أيام عن دفع الأقساط يتمّ إخراج ابنه من المدرسة.
- 8- من يخرج من المدرسة أو يُنقل إلى مدرسة أخرى لأي سبب كان، لا يأخذ المصاريف التي دفعها.
- 9- كل أنواع الكتب والكراسات والأدوات يقوم بإحضارها الطالب<sup>66</sup>.

وكانت الرسائل التي ترد في بيروت تحت على الاهتمام بطلبة العلوم الشرعية، وأن تعمد الدولة إلى فتح مدارس لهم: "توجد مدارس متعددة في كافة الأفضية التابعة للدولة العثمانية تقوم بنشر العلوم والمعارف في أرجاء الدولة ويقوم الطلبة فيها ويحصلون العلم والمعارف، ولكن لا يوجد في بيروت مدرسة لطلبة العلوم الشرعية الإسلامية، فهم مضطرون إلى الذهاب إلى المسجد من أجل تحصيل العلم ويعانون من المشقة في ذلك. لذلك نلتمس منكم تأسيس مكتب لهم، 1312هـ، والي بيروت"<sup>67</sup>.

وهذه قائمة أخرى للمكاتب الإسلامية في قضاء اللاذقية<sup>68</sup>:

66 ) B.O.A: MF.MKT, 301/45-2.

67 ) B.O.A: DH.MKT, 387/29.

68 ) B.O.A: Y.A.HUS, 415/29-3.

القضاء	القرية	اسم المكتب	عدد الطلبة
اللاذقية	فنجرة	سلطان حميدى	28
اللاذقية	حرف سيفا	برتو	27
اللاذقية	بتارة	أثر	25
اللاذقية	كرمانة	لطف	24
اللاذقية	مشرقية	ضيا	21
اللاذقية	دمرص	احسان	22
اللاذقية	قطربة	نجم	20
اللاذقية	هنادى	فيض	20
اللاذقية	مرايا	مشكاة	27
اللاذقية	بهولوية	نير	29
صهيون رشدية	سما	عون	20
صهيون رشدية	جتكسيلة ثالثة	موثر	30
صهيون رشدية	اياس	لمعة	18
صهيون رشدية	ألوثة	همت	26
صهيون رشدية	جيت	هبة	مهدمة

## 2- عرقلة المدارس الإسرائيلية بإعطائها تراخيص ومراقبتها عن كثب:

يستدلّ من التقارير واللوائح التي كان يعدّها ويرفعها مسؤولو الدولة على مدى التهديد المباشر الذي تشكّله المدارس الأجنبية لكيان الدولة العثمانية وأمنها، وبخاصة بعد أن وصل الأمر بالدول الأجنبية إلى فتح مدارس لها في أماكن لا يوجد فيها طلاب أجنب، وحثّها أبناء المسلمين على الدخول فيها، والامتناع عن تدريس اللغة العثمانية الرسمية، بغية إعداد جيل يجهلون لغة الدولة الرسمية. ولهذا طالب وزير المعارف زهدي باشا في تقريره إتخاذ بعض الإجراءات اللازمة يشأين المدارس غير الإسلامية وهي: البلدات والقرى غير الإسلامية استخدام معلّمين أجنب وذلك للحدّ من فسادهم.

2- عدم فسخ المجال للدول الأجنبية بفتح مدارس أجنبية في الأماكن التي لا يوجد فيها طلاب أجنب.

3- منع دخول أبناء الرعايا العثمانيين في هذه المدارس.

4- فرض اللغة العثمانية في مدارس الطوائف غير الإسلامية.

5- تكثيف إجراءات التفتيش على مدارس الطوائف غير الإسلامية.

6- زيادة ميزانية المعارف<sup>69</sup>.

لم تكن الدولة العثمانية تعلم جيداً نوايا الدول الأجنبية المبيّنة تجاهها، ولم تكن تدرك أنّ الغاية الأساسية من تأسيسها هذا الكمّ الهائل من المؤسسات التعليميّة في الولايات ليست لنشر التعليم بين أبناء جالياتها أو بين أبناء الطوائف غير الإسلامية من رعايا الدولة، بل جعل هذه المدارس مراكز لنشر أفكار معادية للدولة العثمانية، ولتنشئة جيل موالٍ لهذه الدول، ولهذا ذهبت الدولة وبخاصة بعد نشرها مؤسسات تعليمية رسمية، إلى إصدار قرار منعت بموجبه أبناء المسلمين من الدخول في المدارس الأجنبية، إلا أنّ تطبيق هذا القرار لم يكن بالأمر السهل، وعلى الرغم من تشدّد الدولة العثمانية بعدم إعطاء الإذن بفتح أيّ مدرسة إلا بعد لاستغلال هذه الدول وضع الدولة العثمانية وتمكّنها من فرض إرادتها عليها بشكل أو بآخر<sup>70</sup>. حصولها على ترخيص مسبق، لكننا نرى أنّ هذه القرارات لم تكن لتطبق فعلياً، حيث انتشرت هذه المدارس في أرجاء الدولة كالنار في الهشيم، ولم يمض وقت طويل حتى شهدت الدولة العثمانية أعداداً هائلة من هذه المدارس، وبمستويات مختلفة حتى إنّ بعضها كان خافياً عن الدولة: "بخصوص استخدام رهبان البروتستانت في الأماكن التي يقيمون بها في التجمعات مع الأهالي ونشر أفكارهم الدينية، وبث التلقينات المسيحية وافتتاحهم لبعض المكاتب بدون رخصة من الدولة، لذلك يجب التحقيق في هذا الأمر بسرعة"<sup>71</sup>. وفي رسالة أخرى شدّدت فيها الدولة على الولاة في بلاد الشام بضرورة التأكّد والمراقبة لأيّ مكتب يُفتح بدون رخصة: "بخصوص قيام المسيو جورج بفتح مكتب ومستشفى في عكا وطبريا بدون رخصة فالرجاء التأكّد من ذلك وإجابتنا"<sup>72</sup>. لكن هذه الدول لم تكن تلتزم بهذه القرارات لذلك طلبت من ولايتها تشكيل لجان للتحقيق بخصوص فتح مدارس أجنبية بدون رخصة<sup>73</sup>. حيث أجبرتها على أخذ رخصة بالموضوع: "تحتاج مكاتب الإنكليز الموجودة في الشام الشريف إلى بعض التعمير والإصلاح، ولذلك تحتاج إلى رخصة بذلك، وقد أرسلوا طلبهم إلى مديرية

69 ) Atilla Çetin: Maarif Naziri Zuhi Paşanın Osmanlı Devletindeki Yabancı.

Okullar Hakkındaki: Raporu İstanbul Uni Ede. Fak, Güney-Doğu Avrupa araştırmaları dergisi Vol:10-11, 1983, p:194.

70 ) B.O.A: ŞD, 2806/25.

71 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-1.

72 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-3.

73 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-4.

المعارف الجليلية"<sup>74</sup>. وهناك العديد من هذه الفرمانات ومنها: "بخصوص إرسال السيد "مزة بوليدي" من طائفة الأرثوذكس طلب بتجديد وتعمير وتوسعة مكتب السلام الليلي والنهاري الذي يستوعب 300 طالب في منطقة الأشرافية (بيروت) وإرسال مذكرة بذلك إلى نظارة المعارف وإلى نظارة الداخلية. وقبل إعطاء الترخيص يجب معرفة عدد جماعة الأرثوذكس الموجودين هناك وعدد المكاتب، وبعد الحصول على هذه المعلومة يتم إعطاء الرخصة أو عدمها"<sup>75</sup>. لكن يبدو أن السلطات العثمانية قامت بالتحريات اللازمة ووجدت أن المكتب يستحق الترخيص: "بخصوص طلب الحصول على رخصة لتجديد وتوسيع مكتب السلام الموجود في منطقة الأشرافية في بيروت، وبعد إرسال مفتش إلى المنطقة، والتفتيش على المكاتب الأجنبية الموجودة هناك وافق

مجلس الشورى على إعطائه رخصة"<sup>76</sup>. وقد أمهلت الدولة العثمانية المكاتب الأجنبية التي فتحت قديماً وبدون رخصة فترة زمنية

لتسوية أوضاعهم وإلا ستضطر إلى إقفال كل مكتب لا يعمد بسرعة إلى الحصول على رخصة: "بخصوص فتح بعض المكاتب والمعابد في الممالك العثمانية بدون رخصة قررت الحكومة تركهم فترة سماح 10 أشهر من أجل الحصول على رخصة"<sup>77</sup>. ثم أصدرت السلطات العثمانية قراراً بعد سنة قلّصت فيه السماح للمكاتب الأجنبية بوجود الإسراع بالحصول على رخصة: "بخصوص سماح نظارة الداخلية الجليلية للمعابد والمكاتب التي فتحت بدون رخصة لمدة

ثلاثة أشهر، وإذا لم يحصلوا على رخصة في هذه الفترة يتم إغلاقها"<sup>78</sup>. وفعلاً قامت الدولة بإغلاق بعض المكاتب التي لم تعمد إلى تسوية وضعها

القانوني: "يجب إغلاق المكتب الذي تم إنشاؤه من دون رخصة من طرف الإيطاليين في مكان يعرف بسمعان القانوني"<sup>79</sup>. وجاء في رسالة أخرى: "إلى ولاية بيروت الجليلية: قام بعض الرهبان بفتح مكتب ومستشفى في طبريا وعكا بدون رخصة من الدولة، يجب التحقيق من هذه المكاتب في أي تاريخ فتحت وفي زمن أي قائمقام ولماذا لم تمنع مثل هذه الأشياء، يجب إغلاق كل هذه المباني التي بدون رخصة، وسرعة التحقيق في الأمر"<sup>80</sup>.

74 ) B.O.A: A.MKT.UM, 1831/24.

75 ) B.O.A: MF.MKT, 808/2-2.

76 ) B.O.A: MF.MKT, 808/2-3.

77 ) B.O.A: MF.MKT, 314/24-2.

78 ) B.O.A: MF.MKT, 144/44-1.

79 ) B.O.A: MKT.UM, 1838/73.

80 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-7.

وكانت أغلبية هذه المكاتب والمؤسسات الخيرية معفاة من دفع الرسوم الجمركية على المواد التي كانت تستوردها من الخارج، بإعتبارها مؤسسات خيرية، مثلها مثل أماكن العبادة، فقد أرسلت المؤسسات الأمريكية طلباً إلى السلطان العثماني، تطلب فيه تجديد إعفاء المؤسسات الخيرية والمكاتب من الرسوم الجمركية<sup>81</sup>.  
في أثناء قيام لجنة من نظارة المعارف بالتفتيش على بعض المكاتب الأجنبية تبين لها:

- 1- توجد رسالة طبعت في لندرة (لندن) تحوي بداخلها ألفاظاً تخالف الديانة الإسلامية وضد الحكومة العلية وبدأت تنتشر في القدس الشريف في مكاتب الإنكليز بواسطة مدير المكتب وتمّ إبلاغ نظارة المعارف بهذا الأمر.
- 2- وأيضاً خلال التفتيش على المكاتب غير المسلمة وجدنا على خريطة آسيا العثمانية كلمة أرمنستان بحروف كبيرة فخلعنا الخريطة وألقيناها على الأرض وأبلغنا بطبرك الأرمن بذلك<sup>82</sup>.

أخذت الدولة تحذّر ولاتها من بيع الكتب التي تخالف الشرع الإسلامي وتخالف السياسة العامة للدولة، فقد جاء في بعض الوثائق ما يلي: "إلى ولايات بيروت وحلب والموصل وديار بكر وأضنة وبغداد والبصرة والقدس الشريف: يجب أخذ الحذر وكامل الاحتياطات اللازمة من أجل منع الكتب غير الجائزة للتدريس في المدارس"<sup>83</sup>. وجاء في وثيقة أخرى ما يلي: "إلى نظارة الداخلية الجلييلة، حضرة صاحب الدولة، بناءً على التقرير القادم من نظارة المعارف يجب منع الكتب التي بها أشياء مخالفة للأداب والحقيقة من التدريس في المدارس المختلفة التابعة لولايات الدولة العثمانية"<sup>84</sup>. ولمراقبة عمل هذه المكاتب عن كثب، عمدت نظارة المعارف إلى إنشاء نظام للتفتيش على هذه المكاتب لتكون تحت أنظارها وقد جاء النظام من فصلين:

#### الفصل الأوّل:

- 1- يرتبط التفتيش على المكاتب الأجنبية غير المسلمة بنظارة المعارف.
- 2- يقدّم المفتش على المكاتب تقريراً للنظارة بما إطلع عليه وشاهده.

81 ) B.O.A: BEO, 2755/206573.

82 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 3/15.

83 ) B.O.A: DH.MKT, 173/47-1.

84 ) B.O.A: DH.MKT, 173/47-5.

- 3- يفتش في المواد التي يدرسها الطلاب ويقوم بالتحقيق في المشاكل إن وجدت، من ناحية التعليم أو الكتب الدراسية.
- 4- التدريس والمعاملات الأجنبية والديانات والمذاهب والملل كلّ أنظمتها تابعة للنظارة الجلية.
- 5- يستفسر المفتش عن المكاتب الأجنبية، ويجب المدير على أسئلته.

## الفصل الثاني:

- 1- كل من يريد فتح مكاتب أجنبية غير مسلمة في الدولة يقدّم عريضة إلى نظارة المعارف الجلية.
- 2- ممنوع قبول أيّ من الطلاب المسلمين في المكاتب الأجنبية من أيّ من الأعمار، ومن يجدونه يسلم إلى الشرطة.
- 3- من يخالف من المكاتب الأجنبية غير المسلمة الدين الإسلامي والحقوق المقدّسة والمشروعة وحضرة السلطان ويروج لأفكاره الفاسدة يعرّض نفسه للمساءلة القانونية<sup>85</sup>.

وأصدرت الدولة العثمانية عدّة فرمانات حاولت من خلالها تقييد عمل المدارس الأجنبية، والحدّ من تغلغلها في المجتمعات الإسلامية، ونشر أفكارها التي تشوش على عقول الطلاب، وأهمها الحفاظ على المميزات العامة للمجتمع الإسلامي العربي، وعدم بثّ الكراهية والحدّ ضد الدولة العثمانية.

ونظراً لأهمية نظام التفتيش، حرص السلطان ونظارة المعارف على التشدّد في مراقبة هذه المكاتب، ومتابعتها عن كثب، فأصدرت نظارة المعارف فرماناً طلبت بموجبه من جميع المفتشين على المكاتب الأجنبية رفع تقاريرها إلى حضرة السلطان وناظر المعارف مباشرة<sup>86</sup>.

وعلى الرغم من سعي السلطان عبد الحميد الثاني من التصديّ لنشاطات المدارس الأجنبية المعادية للدولة العثمانية، والعمل على ثني أبناء الرعايا من الدخول فيها، إلا أنّ محاولاته باءت بالفشل، فذهب إلى اختيار طريق آخر حيث أصدر نظاماً سنة 1314هـ/1896م وسّع بموجبه صلاحيات مديرو المعارف الأجنبية في الولايات وأهم ما ورد فيها:

85 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 1/63.

86 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 3/29.

- 1- ربط المدارس الخاصة، أجنبية كانت أو غير إسلامية، بالترخيص الرسمي.
- 2- تدريس اللغة العثمانية في المدارس غير الإسلامية، على أن تكون إجبارية في المدارس الرشدية في بداية الأمر وفي المدارس الابتدائية فيما بعد، ريثما يتوافر معلمين لتدريسها.
- 3- تصديق المناهج الدراسية والكتب المدرسية من قبل مدراء المعارف في الولايات قبل اعتمادها في هذه المدارس.
- 4- تقديم تعهد من قبل مؤسسي المدارس الأجنبية على استحصال الموافقات الرسمية لتأسيسها، والتقيّد بجميع الأنظمة والتعليمات التي تضعها الدولة، وعدم عرقلة عمل المفتّشين؛ كافي من التلاميذ من أتباع الطائفة غير الإسلامية التي تعزم تأسيس مدرسة في منطقة من المناطق<sup>87</sup>.

### 3- الإكثار من المدارس الحكومية:

وبهذا سعت الدولة إلى تلافى الثغرات الموجودة في المادة 129 من نظام المعارف العام الصادر 1286هـ / 1869م<sup>88</sup>. ولكن وعلى الرغم من السياسة المتشدّدة التي انتهجها السلطان عبد الحميد الثاني تجاه هذه المدارس، إلّا أنّ هذه السياسة لم تعرقل مسيرة ازدياد هذه المدارس، ولهذا لم يبق أمام الدولة إلّا استخدام السلاح نفسه الذي تستخدمه الدول الأجنبية، أي العمل على زيادة عدد المدارس الرسمية وتوسيعها ونشرها لتشمل أرجاء الدولة المختلفة، وتطويرها لتضاهي المدارس الأجنبية، وهذا ما حدث فعلاً وهو ما يفسّر لنا سبب تأسيس الأعداد الهائلة من المدارس الحكومية في الأماكن التي كانت تحظى باهتمام الأجانب وإن كان هناك من كلمة تعكس وجهة نظرنا في الآثار التي ترتبت على وجود المدارس الأجنبية في بلادنا، فلا حرج من الإشارة إلى إنّ هذه المدارس، ينطبق عليها القول المأثور "رب ضارة نافعة"، ذلك أنّ نشاط الإرساليات الأجنبية، قد أثار في أوساط المسؤولين من الحكّام العثمانيين ومن الزعماء المحليين على حد سواء، الشعور بخاطر الغزو الفكري والثقافي الأجنبي، وأيقظ فيهم الوعي القومي والديني، وحملهم على النزول إلى ساحة التعليم، وإنشاء المدارس على أسس عصرية جديدة، كي يساعدوا المواطنين على الاحتفاظ بشخصيتهم الفكرية الأصلية، وللحاق بركب المدنية الحديثة لمواجهة المستقبل، مزودين

( 87 ) بياننامة نظارة المعارف السنة 1317 هـ / ص 140-157. بالنتيجة في أنفسهم والعذرة على التطور والتقدم.

88) B.O.A:Y.EE,112/6.

بقيت بيروت خالية من المدارس الحكومية في العهد العثماني إلى أن أجلي المصريون عنها سنة عنها سنة 1840م، فلما عادت إلى السيادة العثمانية أدرك المسؤولون أنّ الأجانب ومن والاهم من المسيحيين، يكادون يتقرّدون بالسيطرة على مصادر الثقافة في هذه البلاد، ويهدّدون بعزل الناشئة الإسلامية عن الحياة العثمانية، ويبعدونهم عن التجاوب مع سياستها

**العامة: إدارة المعارف في ولاية بيروت:**

من المعروف أنّ بيروت شهدت تغييرات في وضعها الإداري في القرن التاسع عشر أكثر من مرة، ففي سنة 1256هـ/ 1840م تم اتخاذها مركزاً لإيالة صيدا، وفي سنة 1281هـ/ 1864م تقلص هذا الدور لتعود لواء ضمن ولاية سورية، واستمرت على هذا الوضع حتى سنة 1305هـ/ 1887م حيث تم تشكيل ولاية بيروت واتخذت بيروت مركزاً لها<sup>89</sup>.

في الوقت الذي بوشر فيه بإقامة المؤسسات التعليمية الحديثة خارج نطاق المدارس التقليدية الإسلامية في الدولة العثمانية، اتخذت الدولة بعض الإجراءات في مجال تنظيم إدارة هذه المؤسسات، واقتصرت هذه الإجراءات في بداية الأمر على مركز الدولة أي العاصمة إستنبول، وإستمرّ هذا الأمر لغاية 1286هـ/ 1869م. حيث صدر نظام المعارف العام، وجاء في المادة مئة وإحدى وثلاثين: "يتمّ تشكيل مجلس المعارف الكبير بدار السعادة وذلك تحت إدارة مركز المعارف العمومي وتحت رئاسة نظارة المعارف"<sup>90</sup> وبعد صدور نظام المعارف أصبح تأسيس مديريات المعارف في الولايات بحكم القانون، إلّا أنّ هذه المديريات لم تشكّل حتى سنة 1881م حيث صدرت إرادة سنّية تقضي بتعيين مدير للمعارف في الولايات<sup>91</sup> ليحدد قانون المعارف عام 1286هـ/ 1869م صلاحيات مدرء المعارف ومهامّ عملهم، فقد جاء تحديد الصلاحيات والمهام في سالنامات نظارة المعارف ولا يتسع المجال لخصرها كلّها لذلك سنورد أهمّها:

( 89 ) سالنامة ولاية بيروت لسنة 1318 هـ ، دفعة 2، ص 65.

90) B.O.A.Y.EE,112/6.

( 91 ) فاضل بيات: مرجع سابق، ص48.



- 1- يُعتبر مديرو المعارف هم المسؤولون عن تطبيق القوانين وحسن سير العمل بمختلف فروع وإدارات المعارف التابعة لهم.
- 2- لا يمكن للمعلم أو الموظف الاتصال المباشر مع نظارة المعارف بل عن طريق المدير.
- 3- على مديرو المعارف تقديم لائحة كلّ ثلاثة أشهر بالمصاريف والواردات المالية وغيرها.
- 4- على مديري المعارف القيام بإحصاءات دقيقة لجميع المدارس.
- 5- يجب على مديري المعارف تفتيش المكاتب دوماً.

أما صلاحيات أعضاء المجلس فهي كالآتي:

- 1- يكون أعضاء مجالس المعارف من ذوي الجاه والمعرفة.
  - 2- يتم تعيين معلّمي مكاتب الصبيان والمكاتب الابتدائية من خلال مجلس المعارف، وكذلك المكاتب الإسلامية.
  - 3- يسهر مجلس المعارف على صرف الأموال على المكاتب<sup>92</sup>.
- وسأقوم بعرض بعض أسماء مديري المعارف والمجلس من مركز الولاية فقط من دون ذكرهم في الأولوية والأفضية، كما سأستعين ببعض السالنامات، وذلك تجنباً للإطالة:

إدارة المعارف في ولاية بيروت لسنة 1318هـ/ 1900م<sup>93</sup>

- |                 |                             |
|-----------------|-----------------------------|
| مدير المعارف    | - حسين زكي بك.              |
| محاسب           | - عاظم زادة واصل المؤيد بك. |
| مفتش            | - محمد علي بك قباني.        |
| كاتب            | - أحمد حمدي أفندي.          |
| رفيق محاسب ثانٍ | - أرسلان أفندي.             |
| أمين الصندوق    | - يحيى أفندي.               |

أما سالنامة ولاية بيروت لسنة 1394هـ/ 1906م. فقد أوردت<sup>94</sup>:

( 92 ) سالنامة نظارة المعارف سنة 1317هـ/ ص 138-142.  
 ( 93 ) سالنامة نظارة المعارف العمومية، السنة الأولى، سنة 1318هـ/ ص 1194.

- عبد القادر قباني. مدير
- جميل باي. موظف المحاسبة
- محمد علي باي. مفتش
- مير نظير شهاب باي. موظف معاينة الكتبة
- أرسلان أفندي. رفيق المحاسب
- مصباح باي. الكاتب
- زكي أفندي. أمين الصندوق

نكتفي بهذا القدر من أسماء مدرء ومجلس المعارف.

#### • المدارس الابتدائية:

جاء في قانون المعارف العام الصادر سنة 1286هـ / 1869م<sup>95</sup>. شروط قبول الطلاب

في المدارس الابتدائية تحت فصل مكاتب الصبيان:

- 1- سيكون في كل محلة وفي كل قرية مكتب للصبيان (ابتدائي)، وأيضاً سيكون مكتب مخصصاً للأطفال المسلمين وآخر للأطفال المسيحيين داخل القرى التي يكون سكانها مختلطين.
- 2- تتكفل جماعة الهيئة العمومية المتواجدة في المحلة والقرية بمصاريف الانشاء والترميم وما يتعلق بالمعلمين.
- 3- يتم انتخاب وتعيين معلمي مكاتب الصبيان بالاستناد إلى قانون نظام المعلمين.
- 4- مدة الدراسة أربع سنوات.
- 5- إجبارية التعليم بالنسبة للإناث يكون في سن السادسة حتى سن العاشرة، وبالنسبة للذكور من سن السابعة حتى سن الحادية عشر.
- 6- في حال تغيب الطالب عن الدروس أو انقطع فإن مدير المدرسة مطالب بإخبار مختار المحلة، ليقوم هذا الأخير بإخبار ولي الأمر.
- 7- لالتحاق الطفل بالمكتب يتم إرسال تنبيه إلى والد الطفل أو أقربائه ثلاث مرات، وإذا لم يتم تقديم أعمار مقنعة لعدم إرسال الطفل إلى المكتب، يُجبر ولي التلميذ على دفع جزء

( 94 ) سالنامه ولاية بيروت لسنة 1324هـ / ص 88.

95) B.O.A:YEE,112/6.

مالي يتراوح ما بين خمسة قروش ومئة قرش، وفي حال لم يجد ذلك مع الولد تقوم الحكومة المحلية بجبر الطفل على الالتحاق بالمكتب.

8- يكون المعلم في مكتب الإناث أنثى، وريثما يتم ذلك يتم تعيين معلم بشرط أن يكون ذو أدب ومتقدم في السن.

وجاء في تفصيل لهذه المكاتب في سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1316هـ<sup>96</sup> للطلاب والمعلمين:

- أولاً فيما يخص الطلاب:

- 1- يمنع الاختلاط بين الطلبة الذكور والإناث.
  - 2- يجب أن يكون الطالب خالياً من الأمراض.
  - 3- يمنع منح الطالب أشغال منزلية تتجاوز طاقتهم.
- ثانياً: فيما يخص تعيين المعلمين في المكاتب الابتدائية، أوردت نفس السالنامة الشروط الآتية:

- 1- يجب أن يكون المعلمون حاصلين على شهادة دار المعلمين، وأن يثبتوا كفاءتهم عن طريق امتحان وأن يكونوا من ذوي السيرة الحسنة.
  - 2- لا يمكن للمعلم السفر إلى أيّ جهة بدون الحصول على إذن من نظارة المعارف.
  - 3- يتوجب على كل معلم كتابة تقرير لمختلف الأحداث في بداية كل شهر.
  - 4- يجب على المعلم معاملة الطلبة بالتساوي والتصدي لكل ما يمكن أن يخل بالآداب والأخلاق كالتدخين.
  - 5- يمنع تعذيب الطالب وضربه وشمه واستعمال القوة الجسدية أو اللفظية معه.
  - 6- تكون العقوبة للطالب بدرجة الخطأ الذي ارتكبه، وفي حال تكرار الخطأ يستوجب إستدعاء الأهل.
  - 7- يجب على المعلم أن يكون قدوة للطلاب وخصوصاً بأداء الصلوات الخمس.
- أما برنامج الدروس للمكاتب الابتدائية من الدرجة الأولى<sup>97</sup>:

---

96 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317 هـ ، ص 326-336.  
97) B.O.A: MF.MKT,1166/26-2.

المجموع	الرابعة	الثالثة	الثانية	الأولى	العام الدراسي
					المواد
24	7	8	9	0	علوم دينية
22	4	3	3	12	أبجدية تركية وعربية
6	1	2	3	0	قراءة عربية
6	1	2	3	0	لغة تركية
7	2	2	3	0	إملاء عربي وكتابة
7	2	2	3	0	إملاء تركي وكتابة
6	3	3	0	0	مختصر صرف ونحو عربي
2	2	0	0	0	مختصر نحو تركي
9	0	0	3	6	محادثة تركية
13	2	2	3	6	حساب
13	2	2	3	6	خط
4	2	2	0	0	جغرافيا
4	2	2	0	0	تاريخ
2	1	1	0	0	معلومات مدنية وأخلاقية
2	1	1	0	0	معلومات فنية وأخلاقية
127	32	32	33	30	المجموع

أما برنامج المكاتب الابتدائية في الدرجة الثانية فكانت على النحو الآتي<sup>98</sup>:

المجموع	الثالثة	الثانية	الأولى	العام الدراسي
				المواد
38	8	12	18	إملاء وعلوم دينية
16	4	6	6	خط
16	4	6	6	حساب
7	3	4	0	قراءة عربية
7	3	4	0	إملاء عربي
2	2	0	0	معلومات دينية وأخلاقية
2	2	0	0	معلومات فنية وصحية
2	2	0	0	مختصر جغرافيا
2	2	0	0	مختصر تاريخ
92	30	32	30	المجموع

98) B.O.A: MF. MKT-1166/26-1.

أما رواتب معلّمي المدارس الابتدائية في ولاية بيروت فكانت على النحو الآتي<sup>99</sup>:

الاسم	الوظيفة	الراتب
أمين أفندي	معلّم أول	400 قرش
اسمه غير واضح	معلّم ثانى	200 قرش
أرسلان أفندي	معلّم لغة عثمانية	200 قرش
	معلّم ثالث	150 قرشاً
	معلّم الفرنسي	250 قرشاً
	حسن الخط	50 قرشاً
	حارس	150 قرشاً
	خدمة	100 قرش
	خدمة	150 قرشاً

ونورد في الجدولين الآتيين إحصاء عن عدد المدارس الابتدائية العثمانية في الألوية والسناجق والأقضية بحسب سالنات ولاية بيروت وسالنات نظارة المعارف (حيث نجد أنّ السالنات أحياناً تذكر أعداد الطلاب وأحياناً لا تذكرهم)، وسنورد عدد المدارس من دون ذكر أسماء القرى التي أسست فيها هذه المدارس درجاً للإطالة. فبحسب سالنات ولاية بيروت لسنة 1311-1312هـ<sup>100</sup>، كانت أعداد المدارس على النحو الآتي:

اللواء	التضاء	عدد المدارس	عدد الطلاب
بيروت	صيدا	6	626
بيروت	مرجعيون	11	570
بيروت	صور	4	232
بيروت	نابلس	25	2250
بيروت	بنى صعب	8	452
بيروت	جماعين	19	1211
بيروت	جنين	25	1536
بيروت	اللاذقية	15	745

99) B.O.A: MF. MKT,182/127-1.

100 ( سالنات ولاية بيروت لسنة 1311-1312 هـ ، ص 244-248.

بيروت	مرقب	5	177
بيروت	جبلة	6	152
بيروت	صهيون	4	104
بيروت	عكا	23	710
بيروت	حيفا	23	603
بيروت	طبريا	23	603
بيروت	طرابلس الشام	6	575
المجموع		203	10546

الملاحظ من هذه الإحصاءات أنها لم تأتِ على ذكر أعداد المدارس في قضاء بيروت.

اما أعداد المدارس بالنسبة إلى سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ<sup>101</sup>.

فهي تذكر أسماء المدارس التي أقيمت فيها دون ذكر أعداد الطلاب في كل مدرسة، وكانت الأعداد على النحو الآتي:

اللواء	القضاء	عدد المدارس
بيروت	بيروت	22
بيروت	صيدا	6
بيروت	مرجعيون	7
بيروت	صور	6
نابلس	نابلس	22
نابلس	جماعين	27
نابلس	بنى صعب	9
نابلس	جنين	40
اللاذقية	اللاذقية	15
اللاذقية	جبلة	6
اللاذقية	مرقب	5
اللاذقية	صهيون	4
عكا	عكا	21
عكا	حيفا	20
عكا	صفد	7
طرابلس الشام	طرابلس الشام	6

101 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ ، ص 498-514.

1	صافيتا	طرابلس الشام
1	حصن الأكراد	طرابلس الشام
1	الناصرية	عكا
226	مدرسة ابتدائية	المجموع

المتأمل في هذين الجدولين يلاحظ بعض النقاط، منها:

- 1- أنّ أعداد المدارس الابتدائية في ولاية بيروت كانت في تزايد مستمر، وبحسب سالنامة ولاية بيروت 1311-1312هـ، كان عدد المدارس 203 مدرسة ابتدائية، أما سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ أصبحت 226 مدرسة، بينما سالنامة ولاية بيروت لسنة 1326هـ فتذكر أنّ عدد المدارس الابتدائية في ولاية بيروت بلغ 300 مدرسة.
- 2- ~~مدرسة النكلك والبيات~~<sup>102</sup> تستمر في العدد الإجمالي لعدد المدارس، ولكن المتأمل أكثر في أعداد المدارس في الأفضية تارة يجدها تزايد وتارة تنقص، ربّما مردّد ذلك إلى إزداد أو نقصان في أعداد السكان.
- 3- المثير للاستعراب أنّ الجدولين لم يأتيًا على ذكر عدد المدارس في لواء البلقاء، على الرغم من أنّ اللواء المذكور هو ضمن ألوية ولاية بيروت، لكن عثرنا على وثيقة أعطتنا فكرة عن أعداد المدارس في هذا اللواء وهي 29<sup>103</sup> مكتبة ابتدائية. أما معارف نظارتي عمومية إحصائيات قلمي<sup>104</sup> فتفصّل أكثر إذ إنّها تذكر أعداد المدارس (ذكوراً وإناثاً) عدد المعلمين (ذكوراً وإناثاً) وعدد التلاميذ (ذكوراً وإناثاً) في كل قضاء، على الشكل الآتي:

	عدد التلاميذ		عدد المعلمين		عدد المدارس			
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	المجموع	إناث	ذكور	
								لواء بيروت
	508	238	21	9	5	2	3	قضاء بيروت
	0	0	0	0	0	0	0	توابع بيروت
	100	56	2	2	2	1	1	قضاء صور

( 102 ) سالنامة ولاية بيروت لسنة 1326هـ/ ص 96-97.

103) B.O.A: A.MKT.UM,1845/70.

104 ) معارف عمومية نظارتي إحصائيات قلمي، 1329-1330هـ طبع، 1336هـ، ص 16-17.

0	45	2	1	2	0	2	توابع صور
110	89	1	7	2	1	1	قضاء صيدا
0	165	0	4	3	0	3	توابع صيدا
52	58	2	2	2	1	1	قضاء مرجعيون
0	0	0	0	0	0	0	توابع مرجعيون
456	965	16	37	16	5	11	المجموع

ب- لواء طرابلس الشام:

عدد التلاميذ		عدد المعلمين		عدد المدارس			
إناث	ذكور	إناث	ذكور	المجموع	إناث	ذكور	
213	509	11	24	8	3	5	قضاء طرابلس
-	183	-	10	5	-	5	توابع طرابلس
-	35	-	3	2	-	2	قضاء حصن
-	37	-	2	1	-	1	توابع حصن
-	40	-	4	2	-	2	قضاء صافيتا
-	-	-	-	-	-	-	توابع صافيتا
-	49	-	4	2	-	2	قضاء عكا
-	50	-	2	2	-	2	توابع عكا
213	903	11	49	22	3	19	المجموع

ج- لواء عكا:

عدد التلاميذ		عدد المعلمين		عدد المدارس			
إناث	ذكور	إناث	ذكور	المجموع	إناث	ذكور	
80	144	4	4	2	1	1	قضاء عكا



–	81	–	2	2	–	2	توابع عكا
80	258	3	9	3	1	2	قضاء حيفا
–	80	–	2	2	–	2	توابع حيفا
166	185	3	8	4	2	2	قضاء صفد
–	177	–	5	5	–	5	توابع صفد
30	78	2	5	2	1	1	قضاء طبريا
–	212	–	5	10	–	10	توابع طبريا
–	75	–	3	1	–	1	قضاء الناصرة
–	180	–	5	4	–	4	توابع الناصرة
356	1470	12	48	35	5	30	المجموع

د- لواء اللاذقية:

عدد التلاميذ		عدد المعلمين		عدد المدارس			
إناث	ذكور	إناث	ذكور	المجموع	إناث	ذكور	
97	259	7	7	3	1	2	قضاء اللاذقية
0	360	–	12	12	–	12	توابع اللاذقية
65	112	2	4	2	1	1	قضاء جبلة
0	117	–	6	6	–	6	توابع جبلة
0	64	–	4	1	–	1	قضاء صهيون
0	65	–	4	4	–	4	توابع صهيون
85	80	2	4	2	1	1	قضاء مرقب
0	48	–	3	3	–	3	توابع مرقب
247	1105	11	44	33	3	30	المجموع

هـ- لواء نابلس:

عدد التلاميذ		عدد المعلمين		عدد المدارس			
إناث	ذكور	إناث	ذكور	المجموع	إناث	ذكور	
211	881	5	24	5	1	4	قضاء نابلس

توابع نابلس	7	-	7	11	-	305	-
قضاء بني صعب	1	1	2	6	1	190	42
توابع بني صعب	7	-	7	13	-	564	-
قضاء جنين	1	1	2	6	2	123	61
توابع جنين	7	-	7	10	-	380	-
المجموع	27	3	30	70	8	2443	314

## 2- المدارس الرشدية:

في عهد السلطان عبدالمجيد الأول (1839-1861م)، ازدادت الحاجة إلى إجراء إصلاحات جذرية في المدارس الابتدائية بعد أن ثبت عدم قدرتها على إعداد تلاميذ للمدارس الإعدادية لوجود فجوة كبيرة بين المواد التي تدرّس في كلتا المدرستين، فتقرّر تأسيس مدارس أعلى مستوى من المدارس الابتدائية تحت اسم "مدارس الصفوف الثانية" وعلى الرغم من مصادقة السلطان على القرار، إلا أنّ السلطان لم يستحسن تسميتها بهذا الاسم، وطلب تغييره إلى المدارس الرشدية. وبوشر بافتتاح هذا النوع من المدارس في الجزء الأوروبي من الدولة في بداية الدولة، ثمّ انتشرت في كافة الولايات، وحددت مدّة الدراسة في المدارس الرشدية في أوّل الأمر بأربع سنوات، ثمّ زيدت إلى ست سنوات، وفي سنة 1863م قلّصت إلى خمس سنوات<sup>105</sup> لهذه المدارس، وقد حدد القانون الحكم للمعارف الخضر 1286م / 1869م المواد الأساسية لهذه المكاتب، ومما جاء فيه<sup>106</sup>:

- 1- في حال تجاوز عدد منازل سكان القرية من المسيحيين خمسمائة وكذلك بالنسبة للمسلمين يتمّ استحداث مكتب رشدية لأطفال المسلمين وآخر لأطفال المسيحيين.
- 2- تتكفّل إدارة المعارف بالولاية بمصاريف إنشاء وترميم وتجهيز مكاتب الرشدية والمعلّمين.
- 3- يجب أن يتوافر في كلّ مكتب رشديّة معلّم أو معلّمان في الصف الأوّل والثاني.
- 4- يخصّص راتب للمعلّم في الصف الأوّل 800 قرش، و500 قرش للمعلّم في الصف الثاني.

105 ( فاضل بيّات: مرجع سابق، ص 233.  
106 ( B.O.A: Y.EE,112/6. من المادة الثامنة عشرة حتى الثانية والثلاثين.

5- مدّة الدراسة في المكاتب الرشدية أربع سنوات.

6- يتمّ استحداث مكتب رشديّة للإناث من أبناء المسلمين وآخر للمسيحيين، في حال كان سكان المدينة مختلطين.

7- يجب أن يكون مدير مكاتب الإناث إمراة ويجوز تعيين رجل للإدارة حتى إيجاد إمراة بديلاً عنه.

8- مدّة الدّراسة في المكاتب الرشدية للإناث أربع سنوات.

9- يتمّ قبول طلاب المدارس الابتدائية في المكاتب الرشدية شرط أن يكونوا حاصلين على شهادة ختم الدروس وإذا لم يكونوا حاصلين على الشهادة يخضعون إلى امتحان. برنامج الدروس الأسبوعية المخصّصة لطلبة المدارس الرشدية<sup>107</sup>:

مواد التدريس	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة
الأحرف الأبجدية ومعلومات	1	0	0	0	0	0
قرآن كريم مع تجويد	4	6	5	3	2	1
علوم دينية	0	2	2	2	2	2
قراءة	4	4	4	2	1	1
إملاء	4	4	3	2	1	1
كتابة	0	0	0	0	1	1
قواعد اللغة العثمانية	0	0	2	2	1	2
عربي	0	0	0	0	2	2
لغة فارسية	0	0	0	0	1	1
حسن الخط	0	2	2	1	1	1
دروس أشياء ومعلومات	2	2	2	1	1	1
شؤون منزلية	0	0	0	2	2	2
أخلاق	0	0	0	1	1	2
حفظ الصحة	0	0	0	0	1	1
حساب	2	2	2	2	1	1
جغرافيا	0	0	0	2	2	2
تاريخ	0	0	0	2	2	1
براعات يدوية	2	2	2	2	2	2
المجموع	19	24	24	24	24	24

وقد حنّت مديرية معارف بيروت الدولة العثمانية على فتح مدارس رشدية ليكمل أطفال المسلمين تعليمهم، ولتقف في وجه المدارس الإرسالية إلى نظارة المعارف الحلبية: يجب إصلاح وتعمير المدارس الرشدية الموجودة في بيروت وضواحيها وذلك لتقف أمام المدارس الأجنبية المنتشرة هناك<sup>108</sup>.

وتتابع إنشاء مكاتب الرشدية في ولاية بيروت<sup>109</sup>

- 1- مكتب رشدية صيدا للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: عبد القادر أفندي، عدد الطلاب 41  
خدم -1-
- 2- مكتب رشدية صور للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: محمد صبحي أفندي، عدد الطلاب: 35  
خدم -1-
- 3- مكتب رشدية حيفا للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: نور الدين أفندي، عدد الطلاب: 15  
خدم -1-
- 4- مكتب رشدية ناصرة للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: محمد توفيق أفندي، عدد الطلاب 12  
خدم -1-
- 5- مكتب رشدية صفد للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: إبراهيم أدهم أفندي، عدد الطلاب: 17  
خدم -1-
- 6- مكتب رشدية طبريا للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: محمد حامد أفندي، عدد الطلاب 12  
خدم -1-
- 7- مكتب رشدية جنين للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: عبداللطيف أفندي، عدد الطلاب: 12  
خدم -1-
- 8- مكتب رشدية جبلة للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: محمد شوقي أفندي، عدد الطلاب: 19  
خدم -1-

9- مكتب رشدية مرقب للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: أحمد حمدي أفندي، عدد الطلاب: 23 خدم -1-

10- مكتب رشدية صهيون للذكور: معلّم أوّل وحسن خط: محمد فدقة أفندي، عدد الطلاب: 43 خدم -1-

- المدرسة الرشدية في عكا تأسست: 1314هـ.

- المدرسة الرشدية في عقربا تابع نابلس تأسست عام 1305هـ<sup>110</sup>.

- المدرسة الرشدية في بيروت تأسست: 1274هـ/ 1857م.

وكان المعلّم الأوّل: يحيى الشيخ عبد الرحمن أفندي، عدد الطلاب 70.

- المدرسة الرشدية في طرابلس الشام، تأسست 1283هـ/ 1866م، المعلّم الأوّل: نيازى عدد الطلاب 74<sup>111</sup>.

- المدارس الرشدية للإناث:

1- المدرسة الرشدية للإناث بيروت: معلّمة أولى: السيدة زليخا، معلّمة ثانية: السيدة فاطمة، مساعدة: السيدة صديقة.

عدد الطالبات: 161 خادمة -1- بواب -1-

2- مدرسة رشدية عكا للإناث: معلّمة أولى: معلّمة ثانية: السيدة آمنة، عدد الطالبات: 35 خادمة -1- بواب -1-

3- مدرسة رشدية اللاذقية للإناث: معلّمة أولى: السيدة فاطمة، معلّمة ثانية: السيدة بهجت، عدد الطالبات: 43 خادمة -1- بواب -1<sup>112</sup>

4- المدرسة الرشدية في نابلس للإناث: معلّمتها الأولى: فاطمة خانم.

5- المدرسة الرشدية للبنات في طرابلس الشام: المعلّمة الأولى: بدرية خانم<sup>113</sup>.

---

110 ) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321 هـ، ص 438-439.

111 ) فاضل بيات: مرجع سابق، ص 253.

112 ) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1319 هـ/ ص 490.

113 ) فاضل بيات: مرجع سابق، ص 258.

## المدرسة الرشدية العسكرية في بيروت:

تأسست هذه المدرسة سنة 1294هـ / 1877م. وتألفت الهيئة التعليمية على

الشكل الآتي:

1- مدير	علي حيدر بك
2- معلّم الرياضة	محمد سليم أفندي
3- معلّم اللغة	عبد الرحمن أفندي
4- معلّم الرسم	خالد أفندي
5- معلّم جغرافيا	أحمد حمدي أفندي
6- ضابط داخلية	حسن تحسين أفندي
7- ملازم داخلية	نوح أفندي <sup>114</sup> .

### 3- المكاتب الإعدادية في ولاية بيروت:

في سنة 1869م شهدت المدارس الرشدية تزايداً كبيراً في أعداد الطلاب الدارسين فيها، ممّا انعكس على أعداد المدارس ازدياداً كبيراً، فإزدادت الحاجة إلى تأسيس مدارس أعلى مستوى من المدارس الرشدية لمواصلة خريجها تعليمهم فيها<sup>115</sup>. وممّا جاء في نظام المعارف العام الصادر 1286هـ/1869م في تعريف وشروط فتح

المدارس وانتساب الطلاب وبرامج الدراسية للمكاتب الإعدادية:

1- يتم العمل بنظام الدراسة المختلطة بالمكاتب الإعدادية بين أبناء المسلمين وغير

المسلمين من الطلبة.

2- في حال تجاوز عدد منازل القصبة الألف يستوجب إنشاء مكتب إعدادي.

3- تقوم خزينة إدارة المعارف بالولاية بتسوية مصاريف الإنشاء والترميم والتجهيزات للمكتب والمعلمين.

4- يتم تعيين المعلمين بناءً على شهادة من دار المعلمين.

5- مدّة الدراسة في المكاتب الإعدادية ثلاث سنوات.

أما البرامج التدريبية في المكاتب الإعدادية فهي على النحو الآتي:

114 ) سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1318هـ/ ص 1200.

115 ) فاضل بيات: مرجع سابق، ص 289.

- مكمل الكتابة والإنشاء باللغة التركية، لغة فرنسية، قوانين المنطق العثماني، مبادئ علوم الثروات، الملل، الجغرافيا، التاريخ العام، علم المواليذ، جبر، حساب وعلوم أصول الدفاتر، هندسة وعلم المساحة، علوم طبيعية، كيمياء، رسم<sup>116</sup>.
- 1- المدرسة الإعدادية في بيروت:

- |                            |                    |
|----------------------------|--------------------|
| - المدير                   | - شكري أفندي       |
| - مدير ثانٍ                | - قدري أفندي       |
| - معاون أول                | - علي رضى أفندي    |
| - معاون ثانٍ               | - سامي أفندي       |
| - معاون ثالث               | - كنعان أفندي      |
| - إمام                     | - يوسف أفندي       |
| - كاتب وموظف المبيعات      | - مصباح أفندي      |
| - موظف الأنبار             | - عزت أفندي        |
| - موظف المخزن              | - عبد الرحمن أفندي |
| - طبيب                     | - عمر لطفي أفندي   |
| - معلّم القوانين، الثروات، | - شكري أفندي       |
| - الكتابات وأصول التحرير   |                    |
| - معلّم اللغة التركية      | - قدري أفندي       |

الطلاب الموجودون خلال السنة الدراسية 1318-1319هـ:

دوام ليلي:

بمقابل: مسلم: 59 غير مسلم: 2

دون مقابل: مسلم: 25 غير مسلم: 1

دوام نهاري:

مسلم: 67 غير مسلم: 3

المجموع: مسلم: 151 غير مسلم: 6 عدد الخدم: 9

## 2- مكتب اللادقية الإعدادي:

- مدير - معلم اللغة الفرنسية، الكتابة، الهندسة، الجبر، أصول الدفاتر: رفيق باي

- معلم اللغة الفارسية والتاريخ والحساب: مصطفى شكري أفندي

الطلبة الموجودون خلال السنة الدراسية 1318-1319هـ:

مسلم: 119 غير مسلم: 1 المجموع: 120

الخدم: 3

## 3- مكتب إعدادي نابلس:

- وكيل المدير ومعلم العلوم الدينية والجغرافيا: إسلام أفندي

- معلم العلوم الفارسية وأصول الدفاتر : جعفر أفندي

- معلم اللغة العربية والتركية والجغرافيا: محمد زكي أفندي

- وكيل معلم التاريخ واللغة التركية: محمد راجي أفندي

- إمام ومعلم الصف الإحتياطي: محمد صائب أفندي

- وكيل معلم الهندسة: محمد علي أفندي

- وكيل معلم اللغة الفرنسية: أحمد نوري أفندي

- معلم اللغة الفرنسية: يوسف عزت أفندي

- معلم حسن الخط واللغة التركية ومعلم الحساب: عبد الكريم أفندي

- وكيل معلم الرسم والحساب والهندسة : عبد الفتاح أفندي

- معلم الصف الإحتياطي: الشيخ صديق أفندي

- معلم الصف الإحتياطي: محمد راجي أفندي

الطلبة الموجودون خلال السنة الدراسية 1318-1319هـ:

مسلم: 212 - غير مسلم: 2 - المجموع: 214 - عدد الخدم: 2



#### 4- مكتب إعدادي طرابلس الشام :

- مدير ومعلم اللغة الفرنسية، الجبر وعلم الأحياء: خليل أفندي
  - معلم الحساب، الجغرافيا والتحرير: أحمد خلوصي أفندي
  - معلم الهندسة، الرسم والحساب: توفيق خلوصي
  - معلم العلوم الدينية والأخلاق : خير الدين أفندي
  - معلم اللغة العربية: محمد يماني أفندي
  - معلم العلوم الدينية، الأخلاق والتاريخ: الشيخ محمود أفندي
  - معلم اللغة الفارسية: محمود أفندي
  - معلم اللغة التركية: عبد الرزاق أفندي
  - مراقب ومعلم حسن الخط: حسن فهمي أفندي
- الطلبة الموجودون خلال السنة الدراسية 1318-1319هـ:
- مسلم: 283 - غير مسلم: لا يوجد - المجموع: 283 - عدد الخدم: 2

#### 5- مكتب إعدادية عكا:

- مدير ومعلم أصول الدفاتر، الجبر والهندسة: نابي باي.
  - معلم التاريخ، الحساب والجغرافيا: عبد القادر أفندي.
  - معلم الأحياء، الدين، الأخلاق، اللغة العربية والتركية: أحمد أسعد أفندي.
  - معلم الدين، الأخلاق، اللغة العربية والفارسية: محسن أفندي.
  - معلم اللغة الفرنسية: زكي أفندي
  - معلم اللغة التركية ومراقب: محمد عطا أفندي
  - معلم الجغرافيا: تحسين أفندي
  - معلم الخط: توفيق أفندي
- الطلبة الموجودون خلال العام الدراسي 1318-1319هـ<sup>117</sup>:

مسلم	غير مسلم	المجموع	عدد الخدم
67	-	67	2

#### 4- المدارس السلطانية:

هي المدارس التي تلي المرحلة الإعدادية مباشرة من حيث المستوى الدراسي، بدئاً بتأسيسها في سنة 1868م في إستنبول في حي غلطة سراي، لتكون بمثابة مرحلة تحضيرية للدخول إلى المدارس العليا (الكليات) وفتحت المدرسة أبوابها للمسلمين وغير المسلمين ونظراً للإقبال الكثيف عليها، فكرت الدولة بإنشاء مثل هذه المدرسة في الولايات العربية<sup>118</sup>. فضمنت الدولة نظام المعارف الذي أصدرته سنة 1268هـ/ 1869م عدة مبادئ تتعلق بإنشاء مكاتب السلطانية في كل مدينة مركز الولاية.

2- تعود تكاليف إنشاء المكاتب السلطانية إلى خزينة الدولة.

3- تتكوّن المكاتب السلطانية من نظامين ليلي ونهاري، وتتراوح الأجرة ما بين 20 ليرة كحد أدنى و30 ليرة كحد أقصى.

4- تنقسم الدروس التي سيتم تدريسها في المكاتب السلطانية إلى قسمين: قسم عادي، وآخر عالٍ، أمّا بالنسبة للقسم العادي تدرّس فيه دروس القسم الإعدادي، وأمّا بالنسبة للقسم العالي فينقسم إلى قسمين: واحد آداب وآخر علوم وفنون. تدوم الدراسة في القسم العالي من المكاتب السلطانية ثلاث سنوات والقسم العادي ست سنوات، وتدرس بالقسم العادي دروس المرحلة الإعدادية، أمّا في القسم العالي فتدرس الدروس الآتية:

قسم الآداب	قسم العلوم
فن الكتابة والإنشاء باللغة التركية	هندسة رسم المناظر الجبر الهندسة التطبيقية
المؤلفات المتعلقة بالأدب العربية والفارسية	هندسة رسم المثلثات المسطحة وكروية الشكل
معانٍ فرنسية	حكم طبيعية ومختصر الكيمياء الصناعي
علوم ثروات الملل	علم المواليد
حقوق دولية	فن تخطيط الأراضي <sup>119</sup>
تاريخ	

118 ( فاضل بيات: مرجع سابق، ص 349.  
B.O.A: Y.EE,112/6,PP15-18. ( 119

- 1- المدرسة السلطانية الأولى: تأسست المدرسة السلطانية الأولى في بيروت وهي ثاني مدرسة سلطانية تأسست في الولايات العثمانية سنة 1299هـ/ 1883م<sup>120</sup>. وضمت المدرسة 146 طالباً<sup>121</sup>
- فيما لم ترد أية إشارة إلى إنشاء مدارس سلطانية في سالنامات ولايتي سورية وبيروت وسالنامات نظارة المعارف العمومية نجد أن الدكتور فاضل بيات يشير إلى إنشاء عددٍ منها في ولاية بيروت.
- 2- المدرسة السلطانية الثانية: تأسست في سنة 1910م.
- 3- المدرسة السلطانية الثالثة: تأسست في سنة 1913م
- 4- المدرسة السلطانية العربية: تأسست أواخر سنة 1913م.
- 5- المدرسة السلطانية في طرابلس الشام: تأسست سنة 1915م<sup>122</sup>.

## 5- المكاتب العالية:

تضمّ المكاتب العالية دار المعلمين ودار المعلمّات ودار الفنون ومختلف المكاتب المهنية:

### 1- دار المعلمين:

ازداد الإقبال على المدارس التي تأسست في عاصمة السلطنة والولايات العربية، وكانت هذه المدارس تعاني في بداية الأمر، كغيرها من المؤسسات المستجدة، من التخلف وسوء الإدارة وعدم القدرة على التطور لعدم كفاءة معلّميها، الأمر الذي كان يؤثر بشكل سلبي على المستوى الدراسي للتلاميذ، ولم يكن بالإمكان تحسين المستوى العلمي لمعلّميها دون تدريبهم، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بفتح مدرسة خاصة لإعداد المعلمين لذلك قامت الدولة بتأسيس أول مدرسة لإعداد المعلمين في العاصمة إستنبول 1848م<sup>123</sup>.

120 ( ثمرات الفنون: العدد 417، 18 ربيع الثاني 1300هـ/ 14 شباط 1883م.

121 ( سالنامة ولاية سورية لسنة 1301هـ، دفعة 16، ص 133-134.

122 ( فاضل بيات: مرجع سابق، ص 356-359.

123 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1316هـ، ص 130-134.

وقد ورد قانون تنظيم دار المعلمين والمعلمات، في قانون المعارف العام الصادر 1286هـ/1869م<sup>124</sup>، وجاءت تفاصيله في سالنامة نظارة المعارف العام لسنة 1316هـ<sup>125</sup>. ومما جاء في مواده:

- 1- سيتم تأسيس دار المعلمين الكبرى في دار السعادة لتكوين معلمين للتدريس بمختلف درجات المكاتب العمومية، تتفرع دار المعلمين هذه إلى ثلاث شعب، وكل شعبة فيه قسم أدبي وقسم للعلوم والفنون، هذه الأقسام تقوم بإعداد ثلاثة أصناف من المعلمين، صنف لإعداد معلمين للتدريس في شعبة الرشدية وصنف ثانٍ في شعبة الإعدادية وصنف ثالثٍ في شعبة السلطانية. لإعداد معلمي الرشدية من المسلمين والثانية من المسيحيين.
- 3- مدة الدراسة في شعبة الرشدية ثلاث سنوات، وتتقسم الدروس حسب البرنامج

الآتي:

صنف العلوم	صنف الآداب
رسم الخطوط	كتابة وإنشاء اللغة التركية
حساب	المقدرة على درجة التدريس حسب الأنظمة
أصول الدفاتر	تاريخ عمومي كل جماعة حسب لغتها
هندسة المساحات	يتم التدريس حسب اللغة التي تتكلمها كل
جبر	مجموعة من الطلبة.
يتمّ التدريس حسب لغة كل جماعة	

4- مدة الدراسة في شعبة الإعدادية سنتان ويتم تدريس المواد الآتية:

صنف العلوم	صنف الآداب
علم الولادات	ترجمة باللغتين العربية والفارسية
هندسة رسم المناظر	شعر وإنشاء لغة تركية
جبر	فرنسية
حكم طبيعية	قوانين عثمانية
كمياء	منطق
رسم	علم ثروات الملل

124) B.O.A: Y.EE,112/6,PP19-23

125) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1316هـ/ ص 130-134.

5- مدّة الدراسة في شعبة السلطانية ثلاث سنوات وتدرّس فيها المواد الآتية:

صنف العلوم	صنف الآداب
الهندسة المسطحة والكروية	مكمل الإنشاء والشعر في اللغة التركية
مقاطع مخروطات	مكمل المعاني في العربية والفارسية
جر الأثقال	عمليات ترجمة من الفرنسية إلى العربية
علوم الهيئة	قانون دولي
كمياء تطبيقية في الفلاحة والزراعة	
مكمل علم الموالييد	
فن طبقات الأرض	
فن تخطيط الأراضي	
رسم	

6- يمنح راتب شهري لكلّ طالب من طلبة شعبة دار المعلمين قيمته 80 قرشاً و100 قرش لطلبة الإعدادية و120 قرشاً لطلبة شعبة السلطانية.  
- دار المعلمين في بيروت:

في سنة 1892م صدر قرار بتأسيس دار المعلمين في بيروت، إلا أنّ تأسيسها في هذا الوقت بالذات لم يكن بالأمر السهل، بسبب عدم توافر الكادر التدريبي لها. وكان مدير المعارف في بيروت محمود جلال الدين يسعى جاهداً إلى تأسيسها بسبب عدم وجود معلّمين يتقنون اللغة العربية، لذلك استعان بمعلّمين - دار المعلمين في ولاية القادشيام على التدريس كلّ حسب اختصاصه وقدرته<sup>126</sup>.

تأسست هذه الدار في السنة الدراسية 1915-1916م، وكان يتولّى التدريس فيها في السنة الدراسية نفسها 11 معلماً من ضمنهم المدير<sup>127</sup>.

## 2- مدارس الصنایع في ولاية بيروت:

كانت مديرية المعارف في ولاية بيروت تحثّ الدولة العثمانية على فتح مدارس صناعية في ولاية بيروت من أجل تعليم أبناء الولاية علم التجارة

126 ( فاضل بيّات: مرجع سابق، ص 434.

127 ( المرجع نفسه: ص 438.

والصناعة وقد استجابت الدولة إلى مطلب إدارة المعارف: " من أجل تعليم أهالي المسلمين الموجودين في بيروت علم التجارة والصناعة بالمجان في المدرسة الصناعية سيتم إرسال مبلغ وقدره عشرة آلاف ليرة كرأس مال من أجل تأسيس وفتح مدرسة للصناعة في بيروت لتعليم الذكور والإناث بالمجان" لكن لم يرد في الوثيقة هل سيتم تأسيس مدرستين واحدة للذكور وواحدة للإناث؟ أو تُنظَّم المرافق بنفسها؟<sup>128</sup> إدارة معارف بيروت من الدولة الإذن بتوسعة المدرسة لأنَّ المبنى لم يعد يتسع للطلاب<sup>129</sup>، وقد أخبرت إدارة المعارف الدولة أنَّ هناك أرضاً بمساحة 1500م<sup>2</sup> على ساحل البحر تمَّ تقديمها من قِبل البلدية من أجل توسعة المكتب<sup>130</sup>، وافتتحت أول مدرسة صناعية في بيروت عام 1325هـ/1907م، حيث تشكَّلت لجنة للإشراف على أعمال البناء<sup>131</sup>. وكان هذا المشروع الضخم يضمُّ أربع منشآت متجاورة وهي: المدرسة، المستوصف الخيري، والجامع، المحاذي للمستوصف والحديقة المواجهة للمدرسة<sup>132</sup>، واهتمَّت الحكومة بإفتتاح المدارس الصناعية لتزويد الصنائع بالخبراء أملاً بالنهوض بها وتطويرها، بينما كانت مدارس الصنائع تواصل انتشارها في الولايات العثمانية منذ تولي مدحت باشا منصب الصدارة العظمى 1293-1294هـ/1876-1877م. كانت بيروت تفتقر إلى هذا النوع من المدارس الرسمية، في حين أقام السيدان الداوق وعرداتي مدرسة خاصة سنة 1308هـ/1891م. لتعليم الإناث الخياطة والحبك وتعليم الذكور من أبناء بيروت فنون التجارة وصناعة الأحذية والحدادة وصب الحديد والصابغة حيث وردت لائحة مدرسة الصنائع التي سيتم تأسيسها في بيروت: والداهية.

1- تأسَّس مكتب في بيروت باسم مدرسة الصنائع للذكور والإناث يعمل نهاري.

128) B.O.A: DH.MKT,1592/3-1.

129) B.O.A: BEO,3139/235406.

130) B.O.A: DH.MKT,1182/26.

131) ثمرات الفنون: العدد 1608، ربيع الأول 1345هـ/ 2 نيسان 1907م.

132) طه الدلي: مرجع سابق، ص 213.

2- يتم قبول الطلبة من عمر 8 سنوات وعدد الذكور والإناث لا يتجاوز

300 طالباً وطالبةً.

3- ينقسم المكتب إلى قسمين الأول للذكور والثاني للإناث ولكلّ شعبة ناظر

وتكون تابعة للنظارة العمومية.

4- مدة الدراسة 5 سنوات.

5- يفتح المكتب في الصيف 9 ساعات وفي موسم الشتاء 8 ساعات.

6- يأخذ الطلبة أجرة يومية ويوقعوا على كشوفات كلّ يوم ولا يأخذون أجرة

أيام العطل.

7- يتعلم الطلاب والطالبات في المكتب جِرفاً مختلفة مثل التجارة والصناعة

والنقاشاة وتعطي المدرسة لهم الكتب.

8- منحت الحكومة كافة المصاريف والإنشاء إلى السيد عرداتي وداعوق

أفندي.

9- أول دفعة ابتدائية تدرس في المكتب مغفأة من ضريبة الجمرك، 21

شوال 1308هـ/1891م<sup>133</sup>.

وهكذا بفضل جهود عرداتي وداعوق من أهالي بيروت المسلمين تم إنشاء

مدرسة الصنایع لتعليم الطلاب والطالبات من سائر الملل المختلفة

والمنسوجات والحرف<sup>134</sup>.

### 3- المكتب التجاري الحميدي:

على أثر المراسلات بين إدارة المعارف في بيروت والدولة العثمانية: "بضرورة فتح

مكتب تجاري في ولاية بيروت، من أجل تعليم أطفال المسلمين الدروس التجارية وعدم

ذهابهم إلى المكاتب الأجنبية"<sup>135</sup>

وقد جاء الرد من الدولة العثمانية، حيث استجابت الدولة لطلب ولاية بيروت: "وافق

المجلس العثماني على ضرورة إنشاء مكتب تجاري في بيروت نصفه مجاني ونصفه

بأجرة ويكون ليلي ويدخل فيه كافة أفراد المجتمع الغني والفقير"<sup>136</sup> وقد تمّ تخصيص

133) B.O.A: RES,55/59-4.

134) B.O.A: §D,1192/9-4.

135) B.O.A: Y.PRK,MF,4/41-2.

136) B.O.A: Y.PRK,MF,4/41-3.

المكتب المذكور بحصّة سنويّة قدرها 20200 قرش من أجل إنشاء المكتب المشار إليه  
أعلاه<sup>137</sup>.

وقد قسمت سنوات التدريس في المكتب الحميدي العالي للتجارة إلى ست سنوات: سنة  
احتياطية أولى وثانية وأربع سنوات تدرّس فيها جميع المواد.<sup>138</sup>

#### 4- مكتب الحقوق في بيروت:

تعود فكرة تأسيس مكتب الحقوق في بيروت إلى سنة 1912م حيث طالب والي بيروت  
حازم بك بتأسيسها، وأرسل بشأنها مذكرة إلى نظارة المعارف، اقترح فيها في حال عدم  
مساعدة ميزانية بيروت لتأسيس المكتب، نقل مكتب الحقوق من قونية إلى بيروت،  
وبدأت الدراسة منتظمة في الصفوف الأربعة في مكتب حقوق بيروت في 15 كانون  
الأول 1913م<sup>139</sup> وكان قد ورد برنامج الدروس في سالنامة نظارة المعارف العمومية  
لسنة 1317هـ وكان عدد طلابها للسنة الدراسية 1913-1914م كما يأتي:

- الصف الأول: 33 طالباً.

- الصف الثاني: 18 طالباً.

- الصف الثالث: ستة طلاب.

- الصف الرابع: ثمانية طلاب.

وفتحت المدرسة أبوابها لجميع رعايا الدولة المسلمين وغير المسلمين على حد سواء،  
وبلغ عدد الطلاب المسلمين في السنة المذكورة كما جاء في الدليل الإحصائي لنظارة  
المعارف 60 طالباً، منهم 41 كانوا يدفعون أجوراً دراسية، والخمسة الباقون من غير

#### 5- المدرسة الطبية العثمانية في بيروت:<sup>141</sup>

كان والي بيروت حريصاً جداً على تعليم أبناء الولاية كافة العلوم، فبعد الجهد الذي قام  
به لفتح مكتب الصنائع ومكتب الحقوق، أرسل رسالة إلى السلطات العثمانية يطالبها فيه بفتح  
مكتب للطب ومما جاء في الرسالة: "إلى نظارة المعارف الجليلة: من أجل حفظ صحة الطلاب،  
ومن أجل التحصيل الجيد في المكاتب الابتدائية الموجودة في سورية وبيروت، يجب إنشاء دار  
137) B.O.A: Y.PRK.MF,4/41-4.  
138) B.O.A: Y.PRK.UM,52/15.

139) فاضل بيات: مرجع سابق، ص 478.

140) سالنامة نظارة المعارف لسنة 1317هـ، ص 85-86.

141) معارف عمومية نظاراتي إحصائيات قلمي لسنة 1329-1330هـ، ص 75-80.



طبية في هذه الأماكن، لأنّ المكاتب الطبية الموجودة أحدها تابع للفرنسيين والآخر  
للأمريكان".<sup>142</sup>

لم يكن من صالح الدولة إبقاء ولاياتها بدون مدرسة طبية ترفد مؤسساتها بالأطباء، لهذا  
اقترح المسؤولون إنشاء مدرسة طبية في حلب أو دمشق، فاستقر رأي الدولة العثمانية إنشاء  
المدرسة في دمشق في نيسان 1903م.<sup>143</sup> إستمرت المدرسة الطبية قائمة في دمشق حتى نشوب  
الحرب العالمية الأولى حيث اضطرت الدولة إلى إغلاق أبوابها بعد استدعاء معلّمها إلى الجيش.  
وسعى والي بيروت لنقلها إلى بيروت، ونجحت أخيراً محاولات والي بيروت بنقل المكتب إلى  
بيروت سنة 1916م<sup>144</sup>. وقد أصدرت الدولة العثمانية لأئحة خاصة بالمكتب حدّدت فيها كيفية  
قبول الطلاب وبرنامج الدراسة<sup>145</sup>.

### الخاتمة

كان التعليم في الدولة العثمانية قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وحتى قبل عصر  
التنظيمات، تعليماً بدائياً نوعاً ما، لذلك سارعت الدول الأجنبية إلى استغلال الإمتيازات الممنوحة  
لهم، كما استغلت سماحة وعدالة الدولة العثمانية مع الأقليات، فعمدت إلى إنشاء العديد من  
المدارس الإرسالية الأجنبية (التبشيرية) والمدارس الأهلية المسيحية. وكانت الإرساليات تدرس  
بالمكتب المعتمدة في بلادها، ولمّا لم يكن يوجد نظام للمعارف العام في الدولة يقيد عملها، كانت  
هذه الإرساليات تدرّس بالمكتب المعتمدة في بلادها الطلاب المسحيين وبعض الطلاب المسلمين  
وفيها ما فيها من الطعن بالإسلام وزرع الكراهية بين هؤلاء الطلاب ضد الدولة العثمانية لذلك  
عمدت الدولة بعد صدور قانون المعارف العام 1286هـ/ 1869م، إلى مراقبة هذه المدارس،  
وأنشأت جهازاً للتفتيش على هذه المدارس مرتبطاً بالسلطان مباشرة، لمعرفة كل ما يجري داخل  
هذه المدارس إلزاماً وهذه الممارسات على الدولة على خوستة قبل السقوط. أنّ هذه المدارس تبتّ السموم في  
عقول الناشئة خلدت إلى أن في الظاهر المغاير في الكذب التي تعتبرها مظهرها في مدارسها.

3- أنشأت نظام التفتيش الخاص بهذه المدارس.

4- ألزمت الطلاب المسلمين بعدم الدخول إلى هذه المدارس.

142) B.O.A: BEO,473/35410-2.

143) فاضل بيّات: مرجع سابق، ص 486-487.

144) فاضل بيّات: مرجع سابق، ص 490-491.

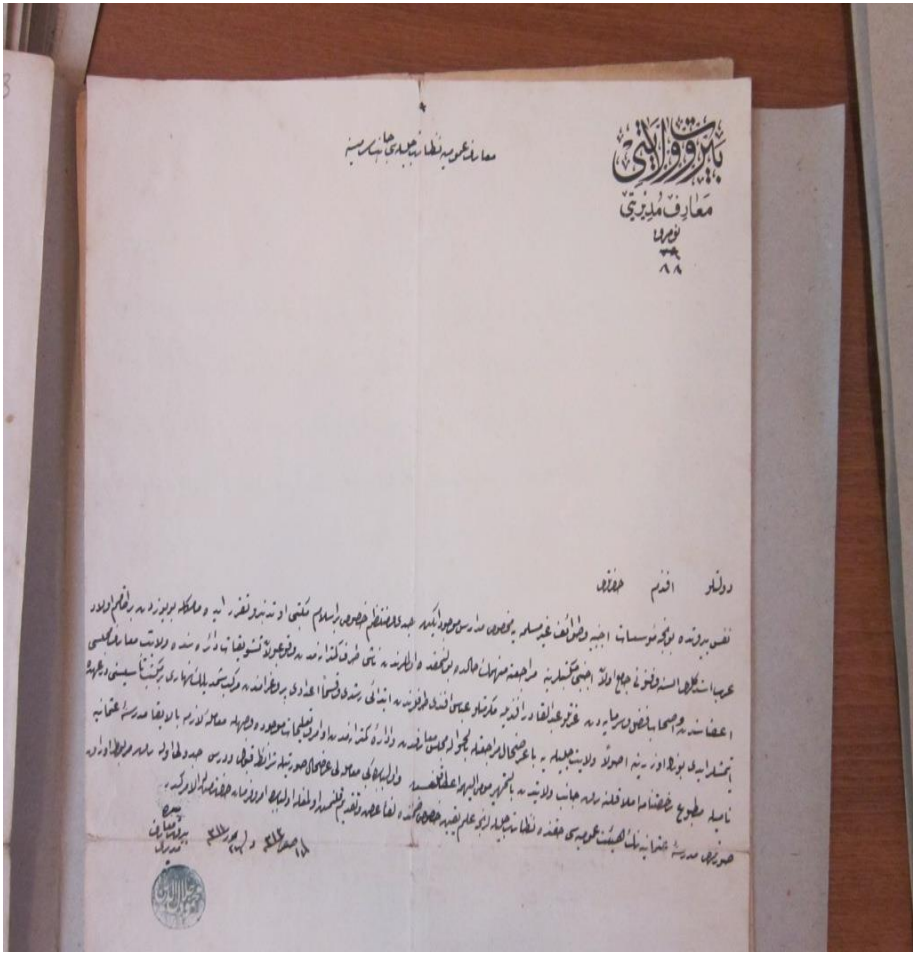
145) سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص 93-98.

## 5- وأخيراً عملت على الإكثار من إنشاء المدارس العثمانية.

أخذت الدولة العثمانية تعمل جاهدة في الإكثار من المدارس العثمانية والإسلامية، للتصدي للمدارس الإرسالية التبشيرية.

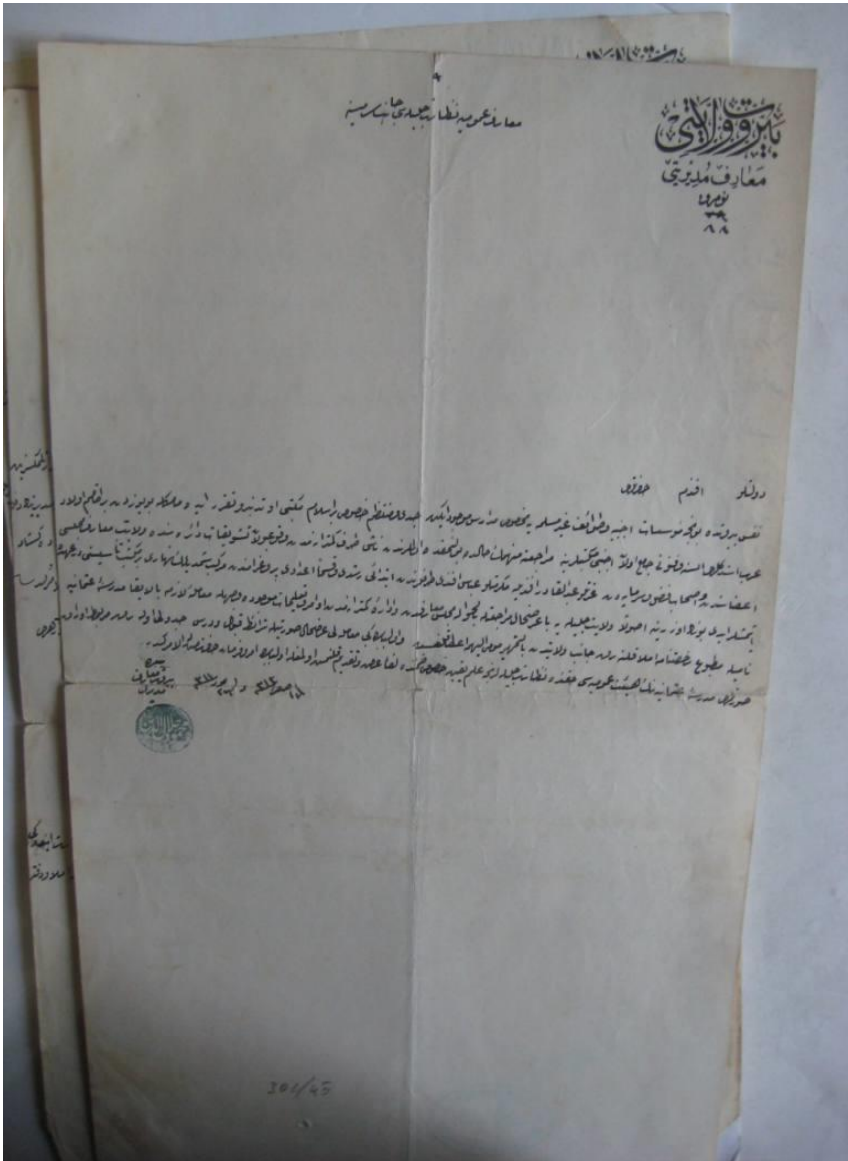
رب قائل يسأل لماذا تأخرت الدولة العثمانية في إنشاء مدارس لها في الولايات العربية وخصوصاً في المناطق الإسلامية على الرغم من أن أكثر الولايات العربية هم من المسلمين؟ نقول: نعم! ربما "قصرت" الدولة بافتتاح المدارس، لكنّ هذا لا يمكن أن تتحمل مسؤوليته الدولة وحدها، لأنّ الدولة بحسب نظام الملل تركت أمر التعليم بيد الرؤوساء الروحانيين لجميع الملل بما فيها الطائفة الإسلامية، فاستغلت الدول الأجنبية هذا الموضوع لصالحها، كما إستفاد من هذا الأمر الطوائف المسيحية التي أخذت بإنشاء الكثير من المدارس، أما الطائفة الإسلامية تركت أمرها للدولة باعتبارها مسؤولة عنهم دنيا وديناً، وكانت الدولة في تلك الأثناء تخوض الكثير من الحروب ضد الدول الأوروبية والعالم أجمع، حيث لم يتسن لها التقاط أنفاسها لحظة واحدة. من الجهل والتخلف صادرت أمر التعليم من أيدي مفتي المناطق، وحصرت التعليم بها وبدأت بتأسيس عدد كبير من المدارس بعد عهد التنظيمات، وعرف التعليم ذروته ومجده في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أسس العديد من المدارس في الولايات العربية، وخصوصاً في ولاية بيروت، واستطاع السلطان عبد الحميد الثاني في فترة وجيزة تحقيق قفزة نوعية في التعليم لم يسبقه إحدٍ يمكن اللقائين أن السالدين. العثمانية وإن لم تتمكن من كبح جماح انتشار المدارس الأجنبية بشكل تام، إلا أنها استطاعت في فترةٍ وجيزةٍ من عهد السلطان عبد الحميد الثاني أن تنشر عدداً كبيراً من المدارس، ما انعكس على المدارس الإرسالية فبدأت تتضاءل شيئاً فشيئاً، وبدأ دورها يتقلص بالحدّ من انتشارها في المناطق الإسلامية.

الملاحق



وثيقة من مدير معارف بيروت يطلب من الدولة العثمانية فتح مدارس تابعة للدولة بسبب كثرة

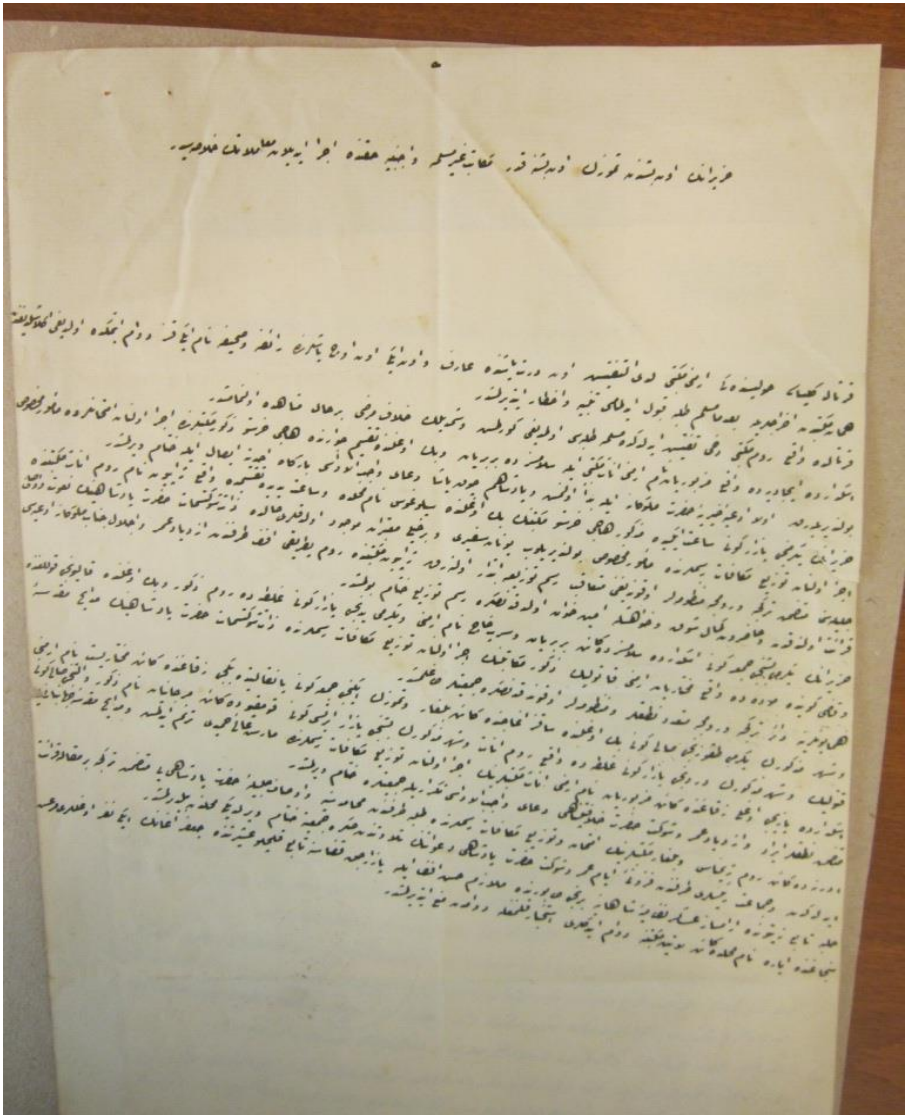
المدارس الإرسالية والمسيحية



وثيقة من عبد القادر قباني وسليم الزهري إلى السلطات العثمانية بضرورة فتح مدارس للمسلمين في بيروت بسبب كثرة المدارس الإرسالية.







فرمان سلطاني يمنع على المدارس الإرسالية عدم قبول أي طالب مسلم وعدم إرتكاب أي مخالفة ضد الدين الإسلامي والحقوق المقدسة وعدم الترويج للأفكار الفاسدة والتفتيش على الكتب المطبوعة التي تدرّس بهذه المكاتب.





در تمام دولتش علمیه ایسی بولندگی بیخ بولندگی که معنی نرسد و بعضا  
مکن احوال زیادش ساکون استمال ایندی و ساکون شاهها اکلایس  
العالمیه میرطلد و چه نماند کوره مکتبه اخلع اولش درسته هفت  
بجایزه قانونه اهلای بولندگی -

استغنیاره  
افندی

مکاتب خیریه اولش دره ایوم موجود اولوند که دره معنی در مطبوعه و در  
ایلیک بولندگی سکنی ماده احکانه مخالف البریه اولی السوب کتولند  
احدی امنت و زیاده بولندگی غیره مشهور اولوند که در بعضی افعال کتولند  
مقصد تدریس اولی که در مکتبه فاطمه حکومتیه لا مشغله بولندگی  
اولش دره بعضا مکاتبه مکتوبه اولش ساکون تمامه استولندگی  
احکانه توفیقا قبل الی عهده -

اولش دره  
اولش دره  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی

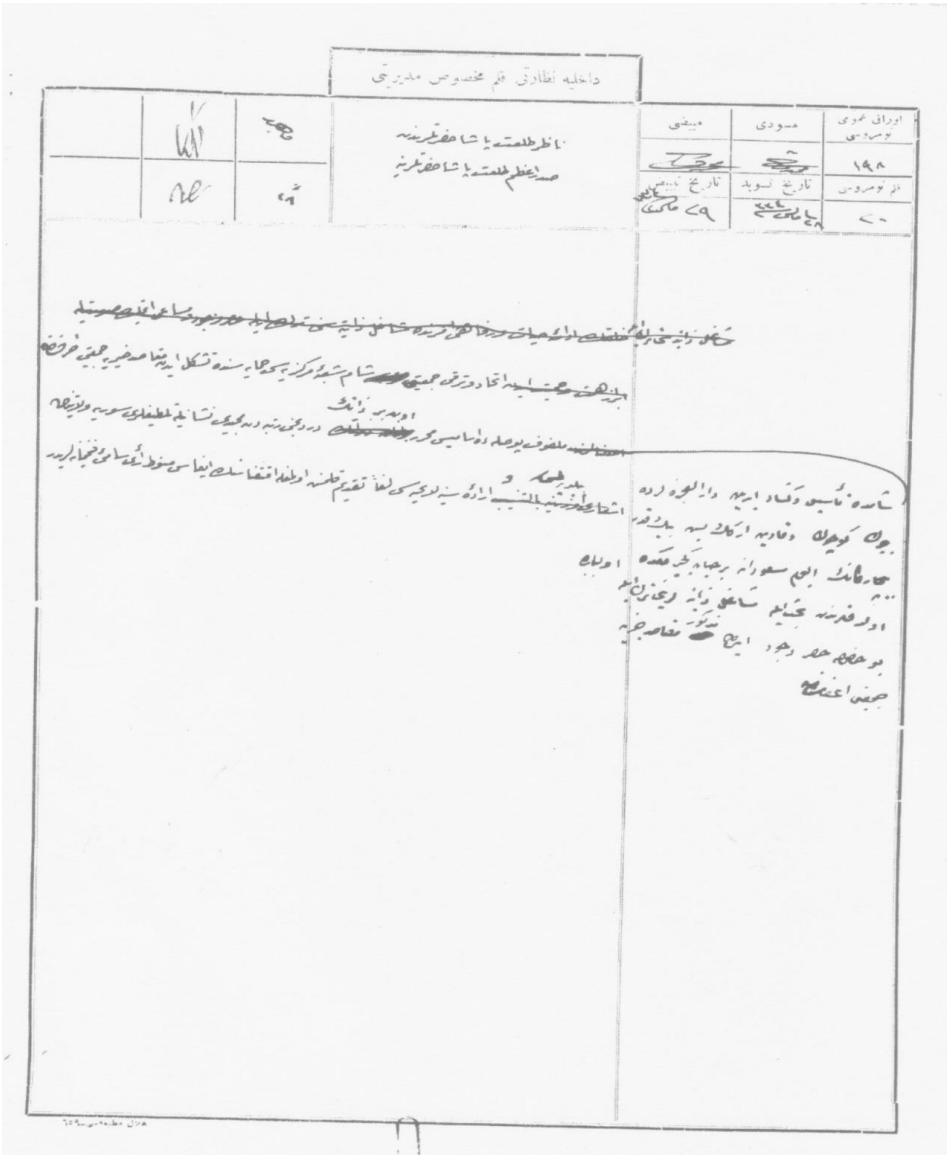
اولش دره  
اولش دره  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی

اولش دره  
اولش دره  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی

اولش دره  
اولش دره  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی

اولش دره  
اولش دره  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی  
تدریس ساکون تمامه اولش دره بولندگی

نظام التفتیش الذي أصدرته الدولة العثمانية على المدارس الإرسالية.



تظهر هذه الوثيقة أنّ جمعيات المقاصد التي أسست في عهد مدحت باشا والي سورية قد قام بإنشاءها ودعمها من جمعية الإتحاد والترقي



المكتب الرشدي العسكري الذي أسس في بيروت



المكتب الإعدادي في بيروت الذي كان المدرسة السلطانية الأولى ثم تحول إلى المكتب الإعدادي

عام 1886م.



مدرسة الصنائع التي أسست في بيروت

المبحث الثالث:

"التعليم العثماني في بلاد الشام

ودوره في الحفاظ على الهوية"



## المقدّمة

تأخّرت الدولة العثمانية في إنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية في الولايات العربية ومنها بلاد الشام، إلى ما بعد عصر التنظيمات. ومرد ذلك إلى عدّة أسباب (ليس المجال لحصرها). مما سمح للدول الأوروبية للإسراع في إنشاء العديد من المدارس الإرسالية والمسيحية الأهلية وخصوصاً في بلاد الشام بسبب وجود مزيج ديني متعدد، سمح لهذه الدول من نشر مبادئها في هذه البلاد، فكانت الساحة في بلاد الشام قبل عصر التنظيمات تكاد تكون حكراً لهذه الدول في غياب المدارس الحكومية العثمانية والمدارس الإسلامية حيث كانت هذه الإرساليات تبت سمومها في عقول الناشئة حقداً وكرهاً على الدولة العثمانية كونها دولة إسلامية حامية لجميع المسلمين. وبقي الحال كذلك إلى ما بعد عصر التنظيمات وخروج إبراهيم باشا من بلاد الشام، حيث شرعت الدولة العثمانية إلى تأسيس العديد من المدارس الحكومية وأصدرت الكثير من القرارات لربط جميع المدارس بها بما فيها مدارس الإرسالية والمسيحية واليهودية، وأصدرت نظام المعارف عام 1286هـ/1869م، وحددت بموجبه نظام شامل لجميع المدارس مما سمح لها

1- المدارس الإرسالية:

بمراقبة هذه المدارس على الأقل مراقبة نظرية!!!

يرى معظم الباحثين الذين تناولوا تاريخ التعليم في الدولة العثمانية أن المدارس الإرسالية التي تأسست في أراضي الدولة العثمانية أقيمت لغايات تبشيرية، وأن المبشرين استغلوا الحقوق الممنوحة لهم من قبل الدولة العثمانية بعد عصر التنظيمات والاصلاحات، واستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم التبشيرية، وأن ما يقيمونه من مؤسسات يصبح بعد مدّة وحيزة أداة بيد المستعمرين استغل هؤلاء المبشرون الحقوق الممنوحة لهم، من قبل الدولة العثمانية، من جهة، وتسامحها وعدالتها من جهة أخرى، وخصوصاً بعد إعلان التنظيمات والاصلاحات، فاستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم التبشيرية في أراضي الدولة. وكانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغل وإقامة النفوذ فيها. لذلك سعت هذه الجمعيات إلى مد الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط، وإقامة علاقات ودية معهم. وقد أولى هؤلاء المبشرون التعليم أهمية كبيرة، ووجدوا فيه خير وسيلة لتحقيق مآربهم، فهو مجال واسع لنشر أفكارهم، وإجراء تبادل ثقافي وديمقراطي في المجتمعات الشرق أوسطية، وكانوا يهدفون من وراء هذا التحويل، إنشاء جيل وزعماء المستقبل فيميل إليهم الجميع ويؤيدونهم. ولهذا أخذوا على عاتقهم تعليم أبناء رجالات الدولة الأقوياء من العائلات



النبيلة بغية إعدادهم زعماء مؤثرين في المستقبل. ولم يكن التعليم عند المبشرين مقتصرًا على الذكور، بل أعطوا الفتاة أهمية كبرى في هذا المجال.

وبدأت طلائع التبشير في بلادنا تتوافد على العالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر على شكل موجات من الرهبان والراهبات الدومينيكان والفرنسيسكان، إلى مراکش والجزائر وتونس ومصر وبلاد الشام، بدعوة إفتتاح المدارس والمستوصفات والمستشفيات، ثم لحق بهم العازاريون والكبوشيون والكرمليون، وكانت الكاثوليكية أولى الإرساليات في بلاد الشام منذ القرن السادس عشر، ممثلة بـ <<الكبوشيين وراهبات الأرض المقدسة واليسوعيين>>، مستهدفين جذب أتباع المذاهب المسيحية الأخرى والإسلامية إلى الكاثوليكية، وإيجاد أتباع وكنائس داخل البلاد العربية<sup>1</sup>. كانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغل وإقامة النفوذ فيها. ولهذا السبب لم تتوان من تأسيس العديد من الجمعيات التبشيرية إلى مد الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط وإقامة علاقات ودية معهم، وكان قسم من المبشرين الذين وفدوا إلى هذه البلدان لأول مرة أطباء قاموا بالتجوال في المناطق المختلفة لتقديم خدماتهم الطبية إلى الأهالي وإنشاء مستشفيات ومراكز صحيّة وتجهيزها بمراكز تبشيرية<sup>2</sup>.

وفضلاً عن هذا أولى المبشرون أهمية كبيرة بالتعليم، ووجدوا فيه خير وسيلة لتسيير نشاطاتهم الأساسية، فالتعليم مجال رحب وفضاء مفتوح لنشر الأفكار، وإجراء عملية التحويل الثقافي، وبهذا يستهدفون من خلال التعليم إعداد زعماء للمجتمع الإسلامي ليكونوا أصحاب في المسائل المحليّة والعالمية. ووجد المبشرون في الدولة العثمانية مجالاً خصباً لنشاطاتهم، ولم تجد الجمعيات التبشيرية أي صعوبة في تأسيس مدارس تبشيرية في مختلف أرجاء الدولة العثمانية بما فيها الولايات العربية. وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات والمدارس التبشيرية الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة العثمانية، فخاف السلطان من مغبة هذا الخطر. ولما كانت بلاد الشام تجمع بين النصراني والمسلم، كانت التفرقة بين الطوائف والملل أسرع إليها من سائر الأقطار. فدخلت

1 ( موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار البيارق، بيروت، الطبعة 8، 1996، ص: 165-166.

2 ( فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة إحصائية تاريخية في ضوء الوثائق العثمانية، منظمة التعاون الإسلامي (إرسیکا)، إستنبول، 2013، ص: 675.



للدخول فيها، وإبداء كل التسهيلات اللازمة لهم، وإشراك الطلاب المسلمين بالطقوس الدينية غير الإسلامية وإجبارهم أحياناً عليها، والحليولة دون تفتيشها من قبل المفتشين الحكوميين<sup>6</sup>.

ويستدل من التقارير التي رفعها مسؤولو الدولة واللوائح التي أعدوها مدى ما كانت تشكل المدارس الأجنبية من تهديد مباشر لكيان الدولة العثمانية وأمنها، وبخاصة بعد أن وصل الأمر بالدول الأجنبية القيام بفتح مدارس لها في أماكن لا يوجد فيها طلاب أجنب، وحثها أبناء المسلمين على الدخول فيها، والإمتناع عن تدريس اللغة العثمانية الرسمية، بغية إعداد جيل يجهلون لغة الدولة الرسمية. ولهذا طالب وزير المعارف زهدي باشا في تقريره اتخاذ بعض الإجراءات اللازمة بشأن المدارس غير الإسلامية ~~وهدأت القرى غير الإسلامية استخدام معلمين~~ أجنب وذلك للحد من فسادهم.

- 2- عدم فسح المجال للدول الأجنبية فتح مدارس أجنبية في الأماكن التي لا يوجد فيها طلاب أجنب.
- 3- منع دخول أبناء الرعايا العثمانيين في هذه المدارس.
- 4- فرض اللغة العثمانية في مدارس الطوائف غير الإسلامية.
- 5- تكثيف إجراءات التفتيش على مدارس الطوائف غير الإسلامية.
- 6- زيادة ميزانية المعارف<sup>7</sup>.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن الدول الغربية كثفت من نشاطاتها في تأسيس المؤسسات التعليمية في الدولة العثمانية بعد صدور فرمان الإصلاحات عام 1857م على وجه التحديد، فقامت بتأسيس مؤسسات دينية وتعليمية وصحية مختلفة. وأقامت جمعيات مختلفة أخذت على عاتقها بتأسيس هذه المؤسسات وإدارتها، وتسهيل دخول أبناء رعايا الدولة العثمانية فيها، وتسابقت هذه الدول فيما بينها في تأسيس هذه المؤسسات، وكان يكفيها وجود بضعة عوائل غير إسلامية في قرية من القرى لتأسيس مدرسة أو مدارس لأبنائها، حتى أنها ذهبت إلى تخصيص الموارد اللازمة لإدارتها من ميزانيتها، وطبقاً لما ورد في كتاب رفعه والي بيروت إلى الصدارة العظمى في 5 تشرين الثاني 1894م، فإن إنكلترا وأمريكا وإيطاليا كانوا يقدمون دعماً مالياً كبيراً للمدارس

( 6 ) فاضل بيات: مرجع سابق، ص 767.

7 ) Atilla Çetin: Maarif Naziri Zuhdi Paşa'nın Osmanlı Devletindeki Yabancı Okullar Hakkındaki: Raporu, İstanbul Uni Ede. Fak. Güney-Doğu Avrupa araştırmaları Dergisi Vol: 10-11, 1983, P-194.

التي أنشأها في ولاية بيروت، حتى أن فرنسا كانت تخصص لها سبعين ألف فرنك من ميزانيتها السنوية، ثم تم رفع المبلغ إلى 140 ألف فرنك<sup>8</sup>.

وكانت الطوائف المسيحية في بلاد الشام وجبل لبنان، تهيأ لها الإحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة قبل المسلمين. وكان ذلك أمراً طبيعياً ومنطقياً، فبين مسيحيي الغرب ومسيحيي الشرق وحدة حال من الناحية الدينية، وهذا الأمر أدى بصورة عفوية إلى وجود رابطة إجتماعية وثقافية بين الطرفين، أثمر على المستوى التعليمي مبادرة المسيحيين المحليين إلى محاكاة نظرائهم في الدين، وبخاصة في أسلوب إنشاء المدارس على الطريقة الأوروبية العصرية. فالتعليم المسيحي كان موجوداً في كل دير وكنيسة. فالمسيحيون لهم الحق في إنشاء مؤسساتهم الخاصة تحت سلطة رؤسائهم الروحيين تبعاً لنظام الملة<sup>9</sup>. وبخاصة الكنيسة المارونية، التي كانت المؤسسة الدينية الوحيدة في الدولة العثمانية التي لم تخضع كلياً لإدارة السلطان. ومنذ أواسط القرن السابع عشر، عمد رجال الدين الموارنة الذين عادوا من المدرسة المارونية في أوروبا، إلى تأسيس عدد من المدارس. ولم تلبث بقية الطوائف المسيحية أن سارعت إلى إنشاء مدارسها ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر في مختلف بلاد الشام<sup>10</sup>.

ومجمل القول، إن ساحة التعليم في بلاد الشام وخصوصاً بيروت خلال القرن التاسع عشر لا سيما في نصفه الأول، كانت مسرحاً يكاد يكون موقوفاً على المدارس الأجنبية التي خلا لها الجو لإرساء قواعد الثقافة الغربية قبل أن تنتبه السلطات العثمانية وتبادر إلى التعاون مع أبناء هذه البلاد في إنشاء المدارس الحكومية والأهلية، كي لا يبقى المواطنون المسلمون عيالاً على الإفرنج في أفضل من هذا الميدان الحساس. للدعم الأوروبي للمدارس الإرسالية، ما كتبه الشيخ عبد القادر قباني في جريدة ثمرات الفنون، حيث قال: "إن أوروبا لم تتجتم هذه المشاق، وتعرف تلك المعارف رحمة بالشرق، ولا رافة بأهل الشام، إنما رغبت أن تجعل لمشروعها السياسي حزياً لها يتغذى بمحبتها صغيراً، فإذا كبر إنتشر في البلاد، وكان عوناً لها على مساعيها"<sup>11</sup>.

8 ) B.O.A: B.E.O 579/43404.

9 ) أحمد سراج الدين: الحركة التربوية وتطورها في لبنان خلال القرن التاسع عشر، مجلة الأبحاث، السنة الرابعة، الجزء الثالث، أيلول 1951م، العدد 321.

10 ) حسان قبيسي: الدولة والتعليم في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، عدّة باحثين، رئيس التحرير: منير بشور، الطبعة 1، 1999، ص: 108-109.

11 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 203، 3 ذو الحجة 1295هـ\28 تشرين الثاني 1878م.

## 2- التصدي للإرساليات وتأسيس المدارس العثمانية:

شعر المسلمون في بلاد الشام وخصوصاً في بيروت، لا سيما في القرن التاسع عشر، بخطر الغزو الأوروبي الثقافي والسياسي والعسكري، الذي بدأ يجتاح بلدانهم، وأمام أطماع الدول الأوروبية، إرتأوا أنه لا بد من مواجهة الأخطار الفكرية والسياسية والعسكرية، فبدأوا يشعرون بأهمية الاعتماد على الذات، والتمويل الذاتي، لمواجهة خطر المشروعات الأوروبية والمحلية الداعية إلى تغريب "تتصير" أبناء المسلمين، مقدمة لتتصير الكثير من المدن الشامية، وإيجاد أجيال تدين بالولاء للغرب<sup>12</sup>، حال مدارس المسلمين مقارنة مع مدارس الطوائف الأخرى: "لا يخفى على ذي بصيرة من أبناء الوطن أنه منذ مدة ليست بقصيرة، أخذت الطوائف المختلفة الموجودة (في بيروت) فيها تؤول جمعيات خيرية تقوم بمصالحها اللازمة، كافتتاح مدارس للذكور والإناث يتعلمون فيها أنواع العلوم والمعارف واللغات...، واستحضرت لها معلمين بارعين ووجهت خواطرها في الدرجة الأولى إلى تعليم أولادها لغات الأجنبي الذين لهم مع بلادنا الإتصالات التجارية...، فما مضت مدة على سيرها بهذه الطريقة إلا وقد إنتشرت بينها أشعة شمس تلك العلوم والمعارف واللغات، فاهتدى أبناؤها بأنوارها إلى إيجاد المطابع ونشر الجرائد وتطبيب المرضى الفقراء...، ولما كانت تلك الجمعيات طائفية محضة، كذلك كانت أعمالها أيضاً، فلم تتخطأ دائرة طائفة غيرها. أما الطائفة الإسلامية فإنها كانت غافلة<sup>13</sup>. ويتابع الفجر الصادق بوصف المدارس التي كان يتعلم فيها أبناء المسلمين: "أما الطائفة الإسلامية فإنها كانت غافلة، مقتصرة من المدارس على بعض زوايا مهجورة مملؤه بالعفونة والرطوبة، مما يضر بصحة الأولاد، ومن المعلمين المشايخ العميان، ومن الأطباء على أناس من الحلاقين والحجامين. وبقي أبناء المسلمين من غير مدارس عمومية، مدة طويلة لأن المسلمين كانوا يرفضون إرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية، لأن مبادئ تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي، كأن يشترط في بعض هذه المدارس على التلاميذ الخضوع لدين المدرسة"<sup>14</sup>. وحرصاً من الطائفة الإسلامية على أبنائهم من التغريب والتتصير، بادر بعض الأهالي إلى توجيه عدد من الرسائل إلى السلطات العثمانية للمبادرة فوراً إلى تأسيس مدارس إسلامية،

12 ( الفجر الصادق هو الأعمال المدونة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية 1295\1878م.

13 ( الفجر الصادق: الأعمال الكاملة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، 1297، ص:4-7.

14 ( الفجر الصادق: مرجع سابق، ص:4.

للوقوف في وجه الإرساليات والمدارس الأهلية المسيحية: إلى الجناب الشريف بوزارة المعارف العمومية: بسبب كثرة المؤسسات الأجنبية في بيروت والمدارس المخصصة لغير المسلمين، ويريد الطلبة المسلمون التقدم لها، ولا يجدون مكاناً لهم، قام السيد صاحب العزة من أصحاب الفضل والعرفان عبد القادر أفندي (قباني) وصاحب الكرم عباس أفندي (الأزهري) بتأسيس المدرسة الرشدية الابتدائية، وينتظران الحصول على رخصة<sup>15</sup>.

وهكذا تصافرت الجهود في البدء لإنشاء جمعيات إسلامية تعني بتعليم أطفال المسلمين: "وفي بلاد الشام، كانت بدايات تلك الجمعيات التعليمية: "الجمعيات الخيرية" التي دعا إلى إنشائها والي سورية المصلح "مدحت باشا" سنة 1878م، عندما أراد التوسع في نشر المكاتب الابتدائية في الولاية، وكان يعيقه عدم توافر المال اللازم. وفي الوقت نفسه كان راعياً في إنشاء مدارس إسلامية محلية في مواجهة الإرساليات الأجنبية. وبالفعل تشكلت تلك "الجمعيات الخيرية الإسلامية" في بلاد الشام، وأسهم فيها عدد وفير من علماء دمشق وأعيانها، وجمعت التبرعات لغرض إنشاء تلك المدارس ونجحت في مهمتها. وفي عام 1878م كان هناك ثماني جمعيات موزعة في دمشق، وبيروت، وطرابلس، واللاذقية، وعكا، ونابلس، وجنين وصيدا<sup>16</sup>.

رأت جمعية المقاصد منذ بداية نشاطها، التصدي للإرساليات الأجنبية، وأنه لا بد من الإهتمام بالفتاة المسلمة، الذي حاولت الإرساليات تغريبها وأعطتها الكثير من الجهد، لذلك إنصب نشاط المقاصد الأول حول إنشاء مدارس للفتيات وإعدادهن إعداداً جيداً، حتى يتسنى لها المشاركة في تكوين جيل مسلم ناضج ومنفتح، فكان الهم المقاصدي الأول العمل على إنشاء مدرسة للبنات المسلمات، ومما جاء من حيثيات القرار قول أحد الأعضاء: "...فأخذنا في أول الأمر لنشر المعارف منها هو تعليم الإناث، إذ هي المربيات الأولى، وعلي تقدمهن المعول<sup>17</sup>. الفتاة المسلمة ثورة وينبغي توجّه جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت نحو تعليم الفتاة المسلمة ثورة بحد ذاتها. فقد لاقت هذه الفكرة إعتراضاً من معظم الأهالي، ومقاومة العلماء والمشايخ. لكن

15 ) B.O.A: MF.MKT, 302/45.

16 ) إكمال الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعيداوي، استنبول، 1999، ص: 429-430.

17 ) محاضر جلسات الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد: الأربعاء 7 شعبان 1297هـ.

الجمعية لم تكثرث للمعترضين ولم تعبأ بالمقاومة، فأست أول مدرسة للبنات في 5 شوال 1295هـ\20 تشرين الأول 1878م<sup>18</sup>.

ومن الأسباب الأخرى التي دعت جمعية المقاصد في بيروت إلى التفكير في إفتتاح مدارس للإناث أولاً، هو أن الإرساليات الأجنبية قد أنشأت في وقت مبكر مدارس للإناث، فخوف الجمعية من "تنصير" وتغريب الفتاة المسلمة، دفعها إلى فتح مدارس لهن. ومما يذكر لبعثات التبشير البروتستنتي في لبنان أنها كانت أول من فتح مدارس للبنات، حيث أنشأت مدرسة داخلية بإشراف السيدة "فورست" في عام 1847م، واستقبلت بالطبع فتيات من مسلمات بيروت. وفي عام 1851م قَدّمت الأنسة "آن وتيليسن" وافتتحت مدرسة للبنات<sup>19</sup>.

وهكذا توالفت إفتتاح المدارس من قبل جمعية المقاصد في بيروت لتعليم أطفال المسلمين حيث إفتتحت ثلاث مدارس للإناث وثلاث مدارس للذكور<sup>20</sup>.

بقيت بلاد الشام خالية من المدارس الحكومية العثمانية العصرية، حتى بعد عهد التنظيمات 1840م، وعندما تمّ جلاء الجيوش المصرية عن بلاد الشام، وعادت هذه البلاد إلى السيادة العثمانية أدرك المسؤولون العثمانيون أن الأجانب ومن والاهم من المسيحيين، يكادون يتفردون بالسيطرة على مصادر الثقافة في هذه البلاد، ويهددون بعزل الناشئة الإسلامية عن الحياة الإسلامية والعثمانية، ويبعدونهم عن التجاوب مع سياستها العامة<sup>21</sup>. وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة، فخاف السلاطين والحكّام العثمانيون من هذا الخطر. ولما كانت بلاد الشام تجمع من كل الملل والطوائف، كانت التفرقة بينها أسرع من سائر الأقطار، فدخلت الإنقسامات في ميدان التربية والتعليم، عبر الكتب التي كانت توزعها المدارس الأجنبية وفيها الطعن بالإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب طلابها النصارى لتغييرهم من الدولة العثمانية<sup>22</sup>.

---

18 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 187، الخميس 6 شوال 1295هـ\21 أيلول 1878م.

19 ( موفق بني المرجة: مرجع سابق، ص:167.

20 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 255، 3 ذي الحجة 1296هـ\5 تشرين الثاني 1879م.

21 ( الشيخ طه الولي: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، ص:209.

22 ( محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، ص:177.

على الرغم من إصدار الدولة العثمانية للعديد من القرارات إلى حكام الولايات ومديريات المعارف، بضرورة التشدد في مراقبة الكتب التي يتم التدريس فيها من قبل الإرساليات والمدارس الأهلية المسيحية<sup>23</sup>.

لذلك عمدت استنبول إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى بلاد الشام لإيلاء التعليم في المناطق التي كانت تحت إدارتهم، العناية اللازمة، حرصاً على إبقاء الرأي العام العربي، لا سيما المسلم، داخل الإطار الفكري للدولة العثمانية، فاستجاب الولاة لهذا التوجّه الرسمي وأخذت بلاد الشام وخصوصاً بيروت منذ ذلك الحين تحظى بحصّة الأسد من المدارس الحكومية الرسمية، وهذا الإهتمام الذي ظهر في الدولة العثمانية بالنسبة لفتح المدارس في بلاد الشام وغيرها في الولايات العربية، إنما كان نتيجة الملاحظات المتكررة التي أبداها المسؤولون في تقاريرهم وكتب مدحت باشا بهذا الخصوص رسالة إلى السلطات العثمانية جاء فيها: "... ومع الرسمية، وخصوصاً ما كتبه "مدحت باشا"<sup>24</sup>. فقد وجدت الحالة متغيرة عن ذي قبل<sup>25</sup>، فقد صبغت أحوال الولاية (سورية) الاجتماعية والسياسية بصبغة غير صبغتها الأولى، لأن الإنكليز والفرنسيين يبذلون جهودهم منذ زمن طويل لتقوية نفوذهم في هذه البلاد، وقد أوصلوا جبل لبنان إلى حالته الحاضرة، وهم يحاولون إيصال بقية البلاد الشامية إلى ما وصل إليه الجبل<sup>26</sup>. فالأمريكان يريدون إعلان حمايتهم لجبل النصرية فيفتحون لهم المدارس ويشوّقون الأهالي لقبول الحماية الأمريكية، والألمان يرسلون مهاجرينهم إلى سواحل القدس لإسكانهم في القرى المجاورة. والخاصة كل دولة تريد أن تضع يدها على قطعة من بر الشام، والخلل سائر في البلاد وليس ثمة اسم للعلاج. وجرائد أوروبا تكتب المقالات تلو المقالات مظهرة سوء المغبّة، وقام المستعمرون الذين أنشأوا

المدارس في بر الشام طالبين الإشتراك في إقتسام السلب"<sup>27</sup>. والجدير بالذكر، أنه لما قامت الدولة العثمانية بإفتتاح المدارس في المناطق الإسلامية لتعميم العلم في أوساط المسلمين، أظهر النصارى المحليون إمتعاضهم لما سمّوه محاباة الدولة لأبناء دينها، ولما نقلوا إحتجاجهم إلى مدحت باشا لعدم إفتتاح المدارس في مناطقهم، أجابهم -

23) B.O.A: DH.MKT, 173/47.

24) قدري قلجعي: مدحت باشا أبو الدستور وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 3، 1958م، ص:78-79.

25) إشارة إلى مدحت باشا عمل ككاتب في ولاية سورية لأكثر من سنتين 1865م.

26) إشارة من مدحت باشا إلى الفتنة الطائفية التي عصفت بجبل لبنان بين الموارنة والدروز سنة 1840م و1860م.

27) قدري قلجعي: مرجع سابق، ص:78-79.



مدحت باشا - بأن النصارى يلاقون من أبناء ملّتهم الأجنبي الرعاية الكافية في هذا الميدان، أما المسلمون فليس لهم من يهتم بهم سوى الدولة، وأياً ما كان، فإن تعليم المسلمين يخدم جميع الرعايا العثمانيين، لأن ذلك يؤدي إلى ارتفاع المستوى العلمي لدى الجميع، وإن اختلفت مصادر التعليم بين أجنبية وعثمانية<sup>28</sup>.

وبعد تسليم مدحت باشا ولاية سورية سنة 1878م، بدأ العمل الجدي لتحسين المستوى العلمي في بلاد الشام، وفي ذلك يقول: "أول ما وقع عليه نظري في تلك الولاية هو أن مسلميها قد فشا بينهم الجهل ما عدا العلماء، والسبب في ذلك سياسة الدول الأجنبية في مصر والشام، لأن تلك الدول تفتح المدارس بأموالها، وتمدّها بقوتها فيتعلم فيها أبناء المسلمين. وكانت مدارس الإفرنج تتقدّم كل يوم تقدّماً يلمس باليد، وليس للحكومة سوى بعض مدارس إبتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن الكريم، فأخذت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين وإصلاح مدارسنا"<sup>29</sup>.

إشارة إلى أن المعاهد والمدارس العثمانية كانت في جميع الأقطار العربية حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر نوع من المدارس الدينية التقليدية، فمنها مدارس تعليمية عرفت باسم "الكتّاب" خاصة بالصغار، وتهدف إلى تعليم العلوم الدينية والشرعية المختلفة مع بعض "العلوم الآلية" الضرورية. وقد كانت هذه المدارس منتشرة في جميع أنحاء البلاد، وكان معظمها ملحقاً بالمساجد والجموع العامّة. وبقي التدريس في هذه المدارس يسير وفق أساليب قديمة لم تتغير أو تتطور منذ قرون عديدة، ولم تأخذ أدنى حظ في التقدّم الكبير الذي كان قد حصل في أوروبا وفي عاصمة السلطنة العثمانية، في مختلف ميادين العلم والتعليم.

لذلك بقي التعليم في الولايات العربية حتى أواسط القرن التاسع عشر، شأناً خارج وظيفة الدولة، وذلك لإنشغال الدولة العثمانية بالكثير من الحروب - مع أسباب كثيرة غيرها - فكانت الدولة العثمانية تعتبر التربية والتعليم شأن ديني، يتولى أمرها أولو الأمر من الطوائف، فالسنة وهم طائفة الدولة، يدير أمر تربيتهم وتعليمهم مفتي يعينه السلطان، ويترك له حرية تسيير شؤون الطائفة والاهتمام بأمور الأوقاف والمؤسسات الدينية والتعليمية، كما فعلت مع سائر الملل<sup>30</sup>.

وإزاء ضعف الدولة، وتغلغل الإرساليات الأجنبية وإتساع نفوذها، والعمل على بث روح التفرقة بين أهالي بلاد الشام، والطعن في الإسلام، وبث الكراهية في نفوس التلاميذ ضد الدولة العثمانية،

( 28 ) طه الولي: مرجع سابق، ص: 210.

( 29 ) يوسف كمال بك حتاتة: مدحت باشا (حياته-مذكراته-محاكمته)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 49.

( 30 ) رؤوف الغصيني: الدولة والتعليم الخاص في لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1964م، ص: 17.

أصدر السلطان عام 1845م، خطأ همايونياً أكد فيه على الإصلاح وأن إنشاء مدارس صالحة في أرجاء الإمبراطورية كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر<sup>31</sup>. وكفئ يد رجال الدين عن المدارس وجعلها خاضعة لإشراف الدولة، بعد أن حول المفتي إلى موظف حكومي، وهذا التدبير كان الخطوة الأولى نحو تسلم الدولة زمام التعليم كإحدى وظائفها الأساسية.

وبعد أن تولى السلطان محمود الثاني الحكم (1808-1939م) قام بحركة إصلاحات واسعة في بنية الدولة وحياء المجتمع، وأقر بالدور الكبير لمؤسسة التعليم في هذه الإصلاحات، ورأى أن التعليم بوضعه الحالي ليس بوسعه الإستجابة لمتطلبات الدولة، فكان عليه أن يقوم بتحديث التعليم وإنشاء مدارس حديثة. وأكد على أن خلاص الدولة مما تعانيه من التخلف لا يمكن تحقيقه إلا بتطوير التعليم وتوسيعه<sup>32</sup>.

وهكذا أخذت الدولة في التصدى لتغلغل المدارس الأرسالية في بلاد الشام، والحد من إنتشارها. فعملوا جاهدين على عرقلة منح التراخيص لها من جهة، وإنشاء العديد من المدارس الحكومية من جهة أخرى، وأصدرت الدولة القانون الخاص بالتعليم عام 1289هـ/1869م، والذي نص في مادتها المئة والتاسعة وعشرون، على أن المكاتب الخاصة التي تأسست، سواء من طرف جماعة أو أفراد، هي من تبعة الدولة العثمانية أو الدول الأجنبية، تتم إدارتها من طرف مؤسسها أو الجماعات أو الأوقاف التابعة لها، وفي حال هذه المكاتب ستدرس دروساً مغايرة لما هو معمول به في المكاتب العثمانية الأخرى، يجب أن تخضع لمصادقة نظارة المعارف، ويجب أن تحصل المكاتب على رخصة من الجهات المختصة، وفي حال لم تتوفر هذه الشروط لا يحصل المكتب على ترخيص<sup>33</sup>. لم تكن الدولة العثمانية تعرف جيداً نوايا الدول الأجنبية المبيتة تجاهها، وتدرك أن الغاية الأساسية من تأسيسها هذا الكم الهائل في المؤسسات التعليمية في الولايات ليست لنشر التعليم بين أبناء جالياتها أو بين أبناء الطوائف غير الإسلامية من رعايا الدولة، بل جعل هذه المدارس مراكز لنشر أفكار معادية للدولة العثمانية، وتنشئة جيل موالٍ لهذه الدول. ولهذا ذهبت الدولة وبخاصة بعد نشرها مؤسسات تعليمية رسمية إلى إصدار قرار منعت بموجبه أبناء المسلمين من

---

31 ) Bernard Lewis: The Emergency of modern Turkey, London, Oxford, 1961, P82.

32 ) فاضل بيات: مرجع سابق، ص:16.

33 )B.O.A: Y.EE, 112/6.

الدخول في المدارس الأجنبية، إلا أن تطبيق هذا القرار لم يكن بالأمر السهل ، لإستغلال هذه الدول وضع الدولة العثمانية وعدم تمكنها من فرض إرادتها عليها بشكل أو بآخر<sup>34</sup> .

وعلى الرغم من تشدد الدولة العثمانية بعدم إعطاء الأذن بفتح أي مدرسة إلا بعد حصولها على ترخيص مسبق، نرى أن هذه الفرمانات لم تطبق فعليا، حيث إنتشرت هذه المدارس في أرجاء الدولة كالنار في الهشيم، ولم يمض وقت طويل حتى شهدت الدولة العثمانية أعدادا هائلة من هذه المدارس، وبمستويات مختلفة حتى أن بعضها كان خائفاً على الدولة: "وبخصوص إستخدام رهبان البروتستانت في الأماكن التي يقيمون بها في التجمعات مع الأهالي ونشر أفكارهم الدينية، وبث التلقينات المسيحية وافتتاحهم لبعض المكاتب بدون رخصة من الدولة، لذلك يجب التحقيق في هذا الأمر بسرعة"<sup>35</sup>، وفي رسالة أخرى شددت فيها الدولة على الولاة في بلاد الشام بضرورة التأكد ومراقبة أي مكتب يُفتح بدون رخصة: "وبخصوص قيام المسيو جورج بفتح مكتب ومستشفى في عكا وطبريا بدون رخصة من الدولة العلية وسبق أن أرسلنا إلى وزارة الداخلية تلغراف بذلك ، فالرجاء التأكيد من ذلك وإجابتنا"<sup>36</sup>، لكن هذه الدول لم تكن تلتزم بهذه الفرمانات لذلك طلبت الدولة من ولايتها تشكيل لجان للتحقيق بخصوص فتح ومما دفع الدولة العثمانية للتصدي لهذه المدارس، هو أن هذه المدارس الأجنبية كانت مدارس أجنبية بدون رخصة<sup>37</sup> من الصلاة، فخافت الدولة من التأثير على عقول التلاميذ، إما بتصيرهم أو تحريم أبناء المسلمين من الصلاة، تعبتهم بأفكارهم الهدامة ضد الدولة العثمانية . لذلك عمدت الدولة إلى إصدار العديد من الفرمانات التي تطلب فيها من إدارة هذه المدارس السماح لهؤلاء التلاميذ المسلمين بتأدية صلاتهم إسوة بالتلاميذ المسيحيين ومما جاء في إحداها: "يجب السماح للطلبة المسلمين الموجودين في المكاتب الأجنبية الذهاب إلى الصلاة في المساجد، كما يسمح للطلبة النصارى الذهاب إلى الكنائس، ولا يضيق عليهم أحد في هذا الجانب"<sup>38</sup>.

وعلى الرغم من تشدد الدولة العثمانية بمراقبة المدارس الأجنبية وغيرها من تلك التي كانت تفتح من دون ترخيص، إلا أنه وجد الكثير منها، وكانت خافية عن أعين الدولة، وتمارس دورها التبشيري، لذلك عمدت الدولة إلى تنبيه ولايتها بمراقبة هذه المكاتب، والتأكد من حصولها

34 ) B.O.A: ŞD: 2806/25.

35 ) B.O.A: DH.TMIK.M: 244/12-1.

36 ) B.O.A: DH.TMIK.M: 244/12-3.

37 ) B.O A: DH.TMIK.M: 244/12-4.

38 ) B.O.A: DH.MKT: 2726/85.

على رخصة لمزاولة العمل:"إلى ولاية بيروت, يتم إفتتاح عدد من المكاتب والكنائس والأديرة بلا رخصة من أجل التعليم وتدرّيس اللغة الفرنسية في مناطق بالقرب من لواء البلقاء, وذلك يؤدي إلى إفساد الكثير من الأطفال المسلمين وغيرهم , لذلك يجب التحقيق من زمن إنشاء هذه المكاتب"<sup>39</sup>, وكانت الدولة واعية للدور التبشيري الذي تقوم هذه الإرساليات , فتعتمد إلى إيقاف أي مبنى تابع إليها خلال عملية البناء ودون حصوله على ترخيص:"يجب إيقاف المكتب الذي تم إنشاؤه بدون رخصة من طرف الإيطاليين في مكان يعرف بسمعان القانوني"<sup>40</sup>.

وكانت أكثر هذه المكاتب والمؤسسات الخيرية والتعليمية معفاة من دفع الرسوم الجمركية , بإعتبارها مؤسسات خيرية , مثلها مثل أي أماكن العبادة , فقد أرسلت بعض المؤسسات الأمريكية طلباً إلى السلطان العثماني , تطلب فيه تجديد إعفاء المؤسسات الخيرية والمكاتب من الرسوم الجمركية"<sup>41</sup>.

ومن أجل ضبط هذه المدارس, أصدرت الدولة العثمانية فرماناً إلى كافة ولاياتها في المشرق العربي , من أجل مراقبتها لجهة بيع الكتب التي تدرس في مدارسها, والتحقق منها إن كانت تلائم توجهات الدولة:"إلى ولاية بيروت وحلب والموصل وديار بكر وأضنة وبغداد والبصرة والقدس الشريف , يجب منع الكتب غير الجائزة من التدريس في المدارس"<sup>42</sup>.

ولمراقبة عمل هذه المكاتب عن كثب , عمدت نظارة المعارف إلى إنشاء نظام للتفتيش على هذه المكاتب لتكون تحت أنظارها وقد جاء النظام من فصلين .

---

39 ) B.O.A: A.MKT.UM: 1819/78.

40 ) B.O.A: A.MKT.UM: 1838/73.

41 ) B.O.A: BEO: 2755/206573.

42 ) B.O.A: DH.MKT: 173/47.

- 1- يرتبط التفتيش على المكاتب الأجنبية غير المسلمة بوزارة المعارف الجلييلة.
- 2- يقدم المفتش على المكاتب تقرير للوزارة بما إطلع عليه وشاهده.
- 3- يفتش على المواد التي يدرسها الطلاب والتحقيق من المشاكل إن وجدت من ناحية التعليم أو الكتب الداراسية.
- 4- التدريس والمعاملات الأجنبية والديانات والمذاهب والملل كل أنظمتها تابعة للوزارة الجلييلة.
- 5- يستفسر المفتش على المكاتب الأجنبية والإجابة على أسئلته من المدير<sup>43</sup>.

وأصدرت الدولة العثمانية عدة فرمانات حاولت من خلالها تقييد عمل المدارس الأجنبية، والحد من تغلغلها في المجتمعات الإسلامية، ونشر أفكارها التي تشوش على عقول الطلاب، وأهمها الحفاظ على المميزات العامة للمجتمع الإسلامي العربي، وعدم زرع الكراهية والحدق ضد الدولة العثمانية، ومن هذه فرمانات، فرمان يمنع على هذه المدارس قبول أي مسلم، من يرتكب من هذه المكاتب غير المسلمة أي مخالفة ضد الدين الإسلامي والحقوق المقدسة أو المشروعة، ويروج لأفكار الفاسدة يعرض نفسه للمساءلة القانونية، ويجب التفتيش على الكتب المطبوعة، التي تدرس في المكاتب الأجنبية غير المسلمة<sup>44</sup>.

ونظراً إلى أهمية هذا النظام، حرص السلطان ووزارة المعارف في التشدد في مراقبة هذه المكاتب، ومتابعتها عن كثب، أصدرت نظارة المعارف فرماناً طلبت بموجبه من جميع المفتشين على المكاتب الأجنبية رفع تقاريرها إلى حضرة السلطان ووزير المعارف<sup>45</sup>.

وعلى الرغم من سعي السلطان عبد الحميد الثاني في التصدي لنشاطات المدارس الأجنبية المعادية للدولة العثمانية، والعمل على ثني أبناء الرعايا من الدخول فيها، إلا أن محاولاته لم تعط النتيجة المرجوة، فذهب إلى اختيار طريق آخر حيث أصدر نظاماً

43 ) B.O.A: Y.PRK.MF: 1/63.

44 B.O.A: Y.PRK.MF: 1/63.

45 B.O.A: Y.PRK.MF: 3/29.

في سنة 1896 م وسع بموجبه صلاحيات مدراء المعارف الأجنبية في الولايات وأهم ما ورد فيها :

- 1- ربط المدارس الخاصة ، أجنبية كانت أو غير إسلامية ، بالترخيص الرسمي .
- 2- تدريس اللغة التركية في المدارس غير الإسلامية ، على أن تكون إجبارية في المدارس الرشدية في بداية الأمر وفي المدارس الابتدائية فيما بعد ، ريثما يتوافر معلمين لتدريسها .
- 3- تصديق المناهج الدراسية والكتب المدرسية من قبل مدراء المعارف في الولايات قبل اعتمادها في هذه المدارس .
- 4- تقديم تعهد من قبل مؤسسي المدارس الأجنبية على استحصال الموافقات الرسمية لتأسيسها، والتقيّد بجميع الأنظمة والتعليمات التي تضعها الدولة، وعدم عرقلة تفتيشها من قبل مفتشي المعارف.
- 5- توفر عدد كافٍ من التلاميذ من أتباع الطائفة غير الإسلامية التي تعترزم تأسيس مدرسة في منطقة من المناطق<sup>46</sup>.

وبهذا سعت الدولة إلى تلافي الثغرات الموجودة في المادة 129 من نظام المعارف العام الصادر سنة 1869م<sup>47</sup>. ولكن وعلى الرغم من السياسة المتشددة التي انتهجها السلطان عبد الحميد الثاني تجاه هذه المدارس، إلا أن هذه السياسة لم تعرقل مسيرة هذه المدارس، بل شهدت هذه المدارس إزدياداً كبيراً. ولهذا لم يبق أمام الدولة إلا استخدام نفس السلاح الذي تستخدمه الدول الأجنبية، أي العمل على زيادة عدد المدارس الرسمية وتوسيعها ونشرها لتشمل أرجاء الدولة المختلفة، وتطويرها لتضاهي المدارس الأجنبية، وهذا ما حدث فعلاً وهو ما يفسّر لنا سبب تأسيس الأعداد الهائلة من المدارس الحكومية في الأماكن التي كانت تحظى بإهتمام الأجانب وخصوصاً إيلاك الشاهنك من كلمة تعكس وجهة نظرنا في الآثار التي ترتبت على وجود المدارس الأجنبية في بلادنا، فلا حرج من القول أن هذه المدارس، ينطبق عليها القول المأثور: "ربّ ضارة نافعة"، ذلك أن نشاط الإرساليات الأجنبية، قد أثار في أوساط المسؤولين من الحكام العثمانيين وفي الزعماء المحليين على حد سواء، الشعور بخطر الغزو الفكري والثقافي الأجنبي، وأيقظ فيهم الوعي القومي والديني، وحملهم على النزول إلى ساحة التعليم، وإنشاء المدارس على أسس

46 فاضل بيات، مرجع سابق، ص: 679-678.

47) B.O.A: Y.EE, 112/6.

عصرية جديدة، كي يساعدوا المواطنين على الإحتفاظ بشخصيتهم الفكرية الأصلية، واللاحق بركب المدينة الحديثة لمواجهة المستقبل، مزودين بالثقة بأنفسهم والقدرة على التطور والتقدم.

بدأت الدولة العثمانية تزيد من تأسيس المدارس الحكومية في ولايتي سورية وبيروت (في بلاد الشام) بناء على تقارير ولاتها ومديريات المعارف، ومنها ما أرسله مدير المعارف بيروت، وما جاء فيه: "إلى وزارة المعارف الجليلة: حيث لا توجد مكاتب إبتدائية بقدر كافٍ في بيروت حتى الوقت الحالي تكفي للطلبة الذكور والإناث، مع العلم بأن المكاتب الأجنبية كثيرة هناك، ينبغي أن تكثر الإدارة السنّية من المكاتب الإبتدائية، حتى لا يذهب أطفال المسلمين من الجنسين إلى المدارس الأجنبية"<sup>48</sup>.

وجاء في رسالة أخرى من والي بيروت تحذر السلطات العثمانية من مغبة ترك ساحة التعليم حكراً على الإرساليات الأجنبية، والإسراع بفتح مدارس للمسلمين: "إلى جناب الحضور السامي، تم من قبل الأهالي شراء بعض الأماكن والعقارات في بيروت من أجل تأسيس مكاتب ابتدائية للذكور والإناث، لأن المكاتب الموجودة فيها قليلة، ولا تكفي لأعداد الطلاب، وذلك حتى لا يذهب أطفال المسلمين إلى المكاتب الأجنبية الموجودة بكثرة في بيروت، وخصوصاً "البنات"<sup>49</sup>. ففي ولاية بيروت أوردت سالنامة الولاية لسنة 1311-1312هـ<sup>50</sup>، أن عدد المدارس الإبتدائية قد بلغ 211 مدرسة إما أعداد المدارس الإبتدائية في ولاية بيروت وحسب سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ<sup>51</sup>، فقد بلغ 236 مدرسة، بينهما سالنامة ولاية بيروت بلغ 300 مكتب للذكور والإناث"<sup>52</sup>.

أما في ولاية سورية فقد بلغت المدارس الإبتدائية 129 مدرسة وفي ولاية حلب 213 مدرسة، أما في القدس فقد بلغت 30 مدرسة<sup>53</sup>، وشهدت المدارس الرشدية إزدياداً وإنتشاراً بشكل ملفت للنظر بعد سنة 1870 م بحيث غطّت كل أرجاء الدولة، حتى بلغ عددها في السنة الداراسية 1874 - 1875 م حوالي 400 مدرسة إنتشرت في الولايات العثمانية المختلفة، الأمر الذي يدل

48) B.O.A: DEO: 52/39072.

49) B.O.A: BEO: 579/43404.

50) سالنامة ولاية بيروت لسنة 1311-1312هـ، ص: 244-248.

51) سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص: 498-514.

52) سالنامة ولاية بيروت لسنة 1326هـ، ص: 96-97.

53) معارف نظراتي عمومية إحصائيات قلمي 1329-1330هـ، ص: 1ب.

على مدى رغبة الدولة في نشرها وإقبال الأهالي على تعليم أبنائهم فيها هذا من جهة ، والتصدي للإرساليات الأجنبية من جهة أخرى<sup>54</sup>.

### الخاتمة

نتيجة تسامح الدولة العثمانية مع الأقليات الدينية وخصوصاً الأجانب إستقادت هذه الأقليات من الإمتيازات الممنوحة لها من قبل السلطان، وإستخدمت هذه الأقليات الإمتيازات بطرق غير مشروعة فراحت تعمل على بث روح التفرقة بين الطوائف والمذاهب عبر تأسيسها لمدارس إرسالية لجهة تعليم أبنائها.

فكان لمجئ هذه الإرساليات التبشيرية المسيحية وتنافسها على إجتذاب أهالي بلاد الشام إلى المدارس التي أنشأتها لخدمة أغراضها، أثر في إذكاء الخلاف الطائفي، وكانت هذه الإرساليات تعمل على بث روح الكراهية والحقد بين أبنائها ضد الدولة العثمانية .

لذلك فقبل تأسيس المدارس الحكومية العثمانية، كانت بلاد الشام ساحة مفتوحة للمدارس الإرسالية الأجنبية منذ بداية القرن التاسع عشر، وعندما أحست الدولة بخطرها شمرت عن ساعديها، ونزلت إلى ساحة التعليم على الرغم من تأخر الدولة في إفتتاح المدارس الحكومية إلا أنها أستطاعت خلال فترة وجيزة من ملئ الفراغ الذي أحدثه غيابها، وتمكنت من التصدي للأفكار الهدامة التي حاولت الإرساليات نشرها بين أهالي بلاد الشام، وبذلك إستطاعت الدولة، على الرغم من كثرة إنشغالاتها من الحفاظ على الهوية الإسلامية لبلاد الشام .

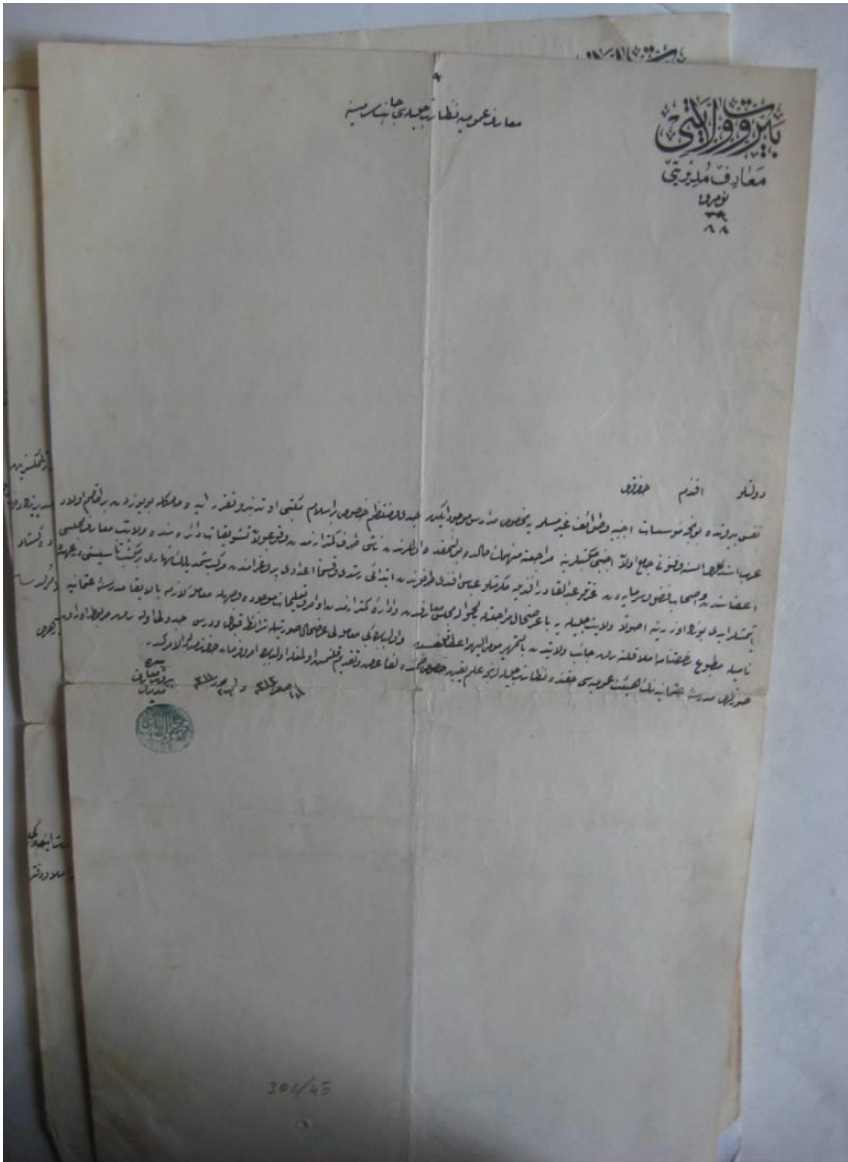
---

54 ( فاضل بيات: مرجع سابق، ص:235.



الملاحق





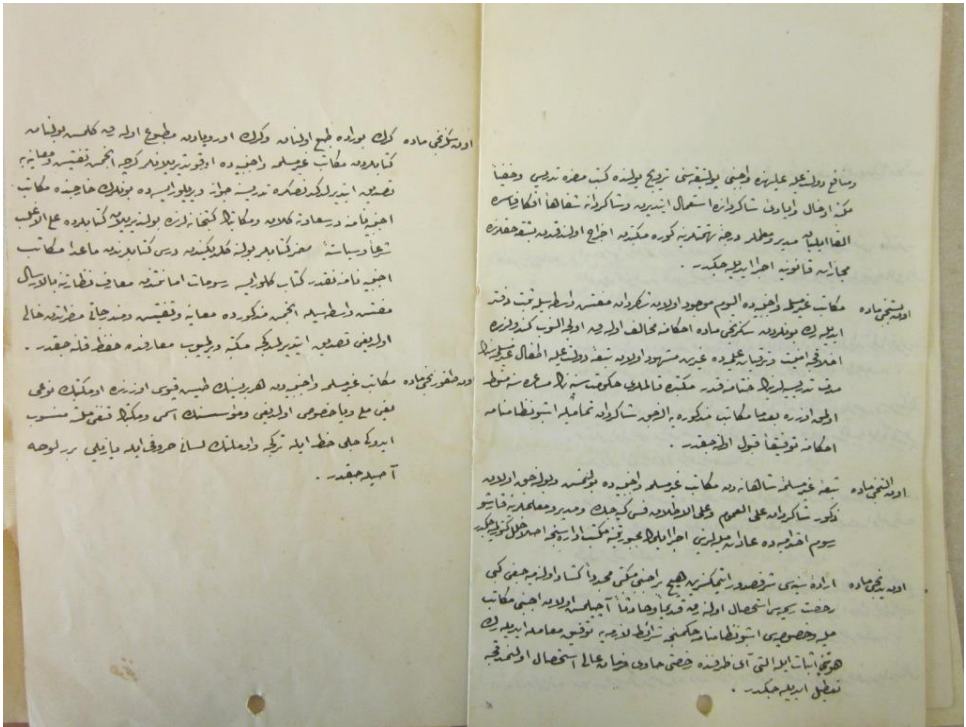
وثيقة من عبد القادر قباني وسليم الزهري إلى السلطات العثمانية بضرورة فتح مدارس للمسلمين في بيروت بسبب كثرة المدارس الإرسالية.











نظام التفتيش الذي أصدرته الدولة العثمانية على المدارس الإرسالية.





المبحث الرابع:

"دور البعثات التبشيرية في إيقاظ القومية  
العربية"



أنشأ العثمانيون بعد ظهور الإسلام أعظم دولة إسلامية وأقواها، عُرفت بالدولة العليّة العثمانية. كانت هذه الدولة تمتد في عهد من عهدها الزاهرة من مداخل فيينا إلى مضيق باب المندب، ومن بلاد القفقاز عبر شمالي إفريقيا إلى مشارف شواطئ الأوقيانوس الأطلسي. ففي سلسلة متلاحقة من الفتوحات أحرز العثمانيون سلسلة من الإنتصارات الحاسمة دفعت بهم إلى ذروة مجدهم وقوتهم العسكرية. وقد دخلت البلاد العربية تحت الحكم العثماني بدءاً من العام 1516م، إثر إنتصار السلطان سليم الأول على المماليك في معركة "مرج دابق"، حيث ظلت معظم البلاد العربية خاضعة للدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وفق نظام إداري تحدّد الدولة التي كانت تُقسم إلى ولايات، والولايات إلى ألوية (سناجق)، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح.

كانت الدولة العثمانية عبر تاريخها الطويل، تستوعب قوميات كثيرة، وطوائف ومذاهب دينية مختلفة، وكانت هذه الطوائف والمذاهب والأعراق تعيش جنباً إلى جنب وبسلام، إلا أن تدخل الدول الأوروبية وتغذيتها للروح القومية عند أكثر الشعوب، كان يؤدّي أحياناً إلى صراعات دموية، خلّفت أحقاداً لا تزال آثارها تلقي بظلالها حتى يومنا هذا على الأتراك من جهة، وعلى العرب من جهة أخرى. يمكن العثمانيون يميزون أنفسهم عن باقي القوميات المنضوية تحت لواء السلطنة، اللهم في نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية القرن العشرين، حيث تبدلت الصورة بتدخل الدول الأوروبية، فحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يك للعرب أي نزعة قومية أو عرقية، فقد عاش العثمانيون مع غيرهم من الأقليات سبعة قرون متتالية آمنين في ظل الإسلام. وفي ظل تنامي الشعور القومي في الدول الأوروبية، مما ولد نزعة قومية طورانية لدى

العثمانيين. وكان الشعور القومي في السلطنة في بدايته يسلك إتجاهاً إسلامياً عثمانياً، ثم تركياً، إلا أنّ تدهور السلطنة وخسارتها للكثير من الأراضي، وتكاثر العرق التركي فيها، دفع بتيار الفكرة القومية الطورانية للجهر بأفكارهم. ولم يكتف الكثيرين من زعماء هذه الحركة حقدهم على بقية القوميات وإظهار الكره لهم. وقد صرّح وزير المالية "جاويد بك" ووصف العرب بـ"العرق الأسود"<sup>1</sup>.

وكانت الدولة العثمانية ضد القومية، فلا تمييز بين مواطنها على أساس العرق أو القبيلة، وإنما كان على أساس الدين أو الملة، وكان التمييز وظيفياً لا عنصرياً، فالذين يختلفون مع

1 ( توفيق بزّو: العرب والتّرك في العهد الدستوري 1908-1914م، دار طلاس، ط1، 1991م، ص:475.

الدين الرسمي للدولة والعرق هم رعايا للسلطان أيضاً، يربطه بهم عقد يتبادل فيه الطرفان في الحقوق والواجبات. وكان بوسع المخالفين للدولة في دينها وعقيدتها أن يكونوا جزءاً من الأمة العثمانية، لهم ما لبقية مواطنيها وعليهم ما عليهم. ولم يك لمصطلح "عثماني" أو "الأمة العثمانية" سوى دلالة حضارية على كل الذين يعيشون في الدولة العثمانية، من المسلمين وغيرهم، ومن الأتراك وسواهم، أي إن مصطلح "عثماني" هو الأوسع من حيث دلالاته السياسية من مصطلح "مسلم" و"تركي" لأنه يشير إلى "الجنسية" أو "المواطنة" في لغتنا السياسية المعاصرة. وفي وقت كان العالم يضج فيه بالممارسات الوحشية من قبل جماعة مسيطرة، ضد الجماعات الأخرى التي تتجاوز معها في المجتمع الواحد، بسبب مخالفتها لها في الدين أو في المذهب أو في العرق. وكانت الحروب ضد المجتمعات الأخرى تُشنّ بسبب الدين أو العرق، والدولة العثمانية تقف في شموخ حضاري وأخلاقي، لا تمارس فيه ضد مواطنيها أية ممارسة متميزة<sup>2</sup> ممن ولم يعرف العثمانيون مصطلح الأقلية، شأنهم في ذلك شأن الدول الإسلامية، ممن سبقوها. وكان هذا المصطلح يطلق للإشارة إلى الذين يتميزون عن الأغلبية في العرق أو اللغة أو القومية أو الدين.

وأطلق العثمانيون لفظة "أهل الذمة" أو "أهل الملة" على أولئك الذين كانوا يتميزون عن الدولة في الدين أو العقيدة أو العرق.

والدولة العثمانية لم تعرف مصطلح الأقلية إلا في خضم صراعها مع العالم الغربي بعد ظهور المسألة الشرقية، حيث كانت الجماعات غير المسلمة وغير التركية، إحدى آليات الضغط الغربي للتدخل في شؤون الدولة العثمانية<sup>3</sup>.

إزاء هذا الواقع من العلاقات الجيدة بين الدولة العثمانية وأهل الذمة والملة، ما الذي غير هذا الأمر، وحوله إلى علاقات متوترة؟ بل وحتى متفجرة بين الدولة العثمانية والأقليات الدينية والعرقية؟ خصوصاً في القرن التاسع عشر. فالعثمانيون لم يكونوا يميزون أنفسهم عن باقي القوميات المنضوية تحت لوائهم، اللهم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث تبدلت الصور، بتدخل الدول الأوروبية. فحتى منتصف القرن التاسع عشر، لم يكن لدى العثمانيين أي نزوع قومي أو عرقي، بدليل المساواة بين جميع المواطنين، على الأقل في (2) عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ج1، ص:16.

(3) فهمي هويدي: مواطنون لا ذميون، موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين، دار الشرق، القاهرة، ط1، 1989م، ص:42.

الوظائف، وخصوصاً في وزارة الخارجية. فنرى أن اليهودي والأرمن واليوناني واللاتيني والعربي، قد تولوا المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية<sup>4</sup>.

وكان معظم الوعي القومي لأهل الذمة مبنياً على الهوية الدينية، وليس هذا بمستغرب لأن الكنائس المسيحية كانت، ولقرون عديدة، مؤتمنة على الثقافة لكل مجموعة مسيحية<sup>5</sup>. فكانت الدولة العثمانية تقوم بكل واجباتها تجاه رعاياها، وقد سمحت لكل الطوائف بإقامة شعائرها الدينية، واعتمدت لكل منها رئيساً دينياً، حتى اليهود، فسمحت لهم ببناء الكنائس، وقدمت لهم المساعدات<sup>6</sup>. ومع تقدّم القرن التاسع عشر ونمو الوعي "القومي" بين أهل الذمة وبقية الأعراق، إتخذت عصبية أهل الذمة العثمانية الطابع "العنصري"، كالقومية الإيطالية والألمانية. ولعبت الدول الأوروبية دوراً فعالاً في تقويض دعائم الدولة العثمانية، عبر تحريض الأقليات "الدينية والعرقية" وإثارة الفتن. ولم يك هذا الدور طارئاً أو غريباً على تاريخ الدولة العثمانية التي أصبحت في نظر الدول الأوروبية خطراً جسيماً، يهدّد مصالح أوروبا في الشرق، فأطماع الدول الأوروبية بأمالك الدولة، قديمة، ولولا اختلافها على اقتسام الغنائم، لكان إنهيار الدولة العثمانية قبل ذلك بكثير.

وقدمت الدول الأوروبية كل أنواع الدعم للأقليات لنيل استقلالها، وكان هذا الصراع قد أخذ شكل صدام بين الدولة والأقليات، بحجة نيل هذه الأقليات استقلالها، وهو الصراع الذي عُرف في التاريخ باسم "المسألة الشرقية". ويلخص وزير خارجية الدولة "نوردانجيان الأرمني" معاناة الدولة مع الدول الأوروبية، وتدخلها في شؤونها. وعرف "المسألة الشرقية" بتصريح إلى جريدة لسان الحال، جاء فيه: "لم يبق أحد إلا ويعلم، أن مملكتنا جعلت لأوروبا يداً في شؤوننا الداخلية، عبر الكثير من الإمتيازات والمعاهدات، حيث كنّا مكبلين بمواثيق وسلاسل، فكنا كمن يحكم على نفسه بالإعدام"<sup>7</sup>.

---

4 ) Bernard Lewis and Benjamin Braude: Christians and Jews in the ottoman empire, first published in the United States of America, 1982, P.P:343-344.

5 ) Kamal Karpat: Ottoman population (1850-1914), the university of wisconsin press, 1985, P:60.

6 ) B.O.A: A.MTZ(04), 16/18-38.

7 ) جريدة لسان الحال: العدد 7202، 4 نيسان 1903م.

ومما زاد في ضعف الدولة العثمانية، وجعلها لقمة سائغة وفريسة سهلة للدبلوماسية الأوروبية، كما يقول السفير الأمريكي في الأستانة: "إعتلاء السلطة من قبل جمعية تركيا الفتاة عام 1908م، فكانت حزباً غير مسؤول ونوعاً من جمعية سرية. وقد استطاع أعضاؤها من القيام بالمؤامرات، وإعتماد وسائل الترغيب والترهيب، واستلام معظم مناصب الدولة، مما زاد عدد المعارضين داخلياً وخارجياً، حيث استطاعت أوروبا أن تمُد يد المساعدة إلى هؤلاء المعارضين الذين سهلوا عليهم تدمير الدولة وبأيدي العثمانيين أنفسهم"<sup>8</sup>. ومن الأساليب التي اتبعتها الدول الأوروبية لإحياء الشعور القومي لدى الشعوب المنضوية تحت سلطة الدولة العثمانية وخصوصاً العرب، إنشاء الإرساليات التبشيرية، حيث يرى أكثر الباحثين أن المبشرين ومن خلال المدارس، قد استغلوا الحقوق الممنوحة لهم من قبل الدولة العثمانية من جهة، وتسامحها وعدالتها من جهة أخرى، خصوصاً بعد إعلان عهد التنظيمات والإصلاحات، فاستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم التبشيرية والاستعمارية في أراضي الدولة العثمانية. وكانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغل وإقامة النفوذ فيها. لذلك سعت هذه الجمعيات إلى مد الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط، وإقامة علاقات ودية معهم. وقد أولى هؤلاء المبشرون التعليم أهمية كبرى، ووجدوا من خلاله خير وسيلة لتحقيق مآربهم، فهو مجال واسع لنشر أفكارهم، وإجراء تبديل ثقافي في المجتمعات الشرق أوسطية. وكانوا يهدفون من وراء هذا التحويل إنشاء جيل وزعماء المستقبل فيميلوا إليهم ويؤيدوهم. التبشيرية التابعة للغرب الأوروبي أي صعوبة في تأسيس مدارس لها في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، بما فيها الولايات، واستغلت عدم وجود أي قانون أو نظام يقيد عملها (قبل صدور قانون المعارف العام سنة 1286هـ/1869م)<sup>9</sup>، في هذا المجال، بل على العكس من ذلك كانت الإمتيازات الممنوحة إلى الدول الأجنبية تتيح لها المضي قدماً في هذا المجال، وكان بمقدورها تأسيس أي مدرسة في أي مكان وبالعدد الذي ترغب على الرغم من إصدار الدولة العثمانية العديد من الفرمانات التي تطلب منهم عدم فتح أي مدرسة إلا بعد حصولهم على ترخيص مسبق<sup>10</sup>.

8 ) Henry Margenthow: Ambassador Margenthow's story, New York, 1918, P:6.

9 ) B.O.A: Y,EE, 112/6.

10 ) B.O.A: MKT.UM, 1831/21.

لقد اتفق الكثيرون من الباحثين على أن المدارس والمستشفيات ومؤسسات الإحسان، إنما هي مؤسسات منظمة للتبشير في الدرجة الأولى. ولكن القليلين أدركوا أن هذه المؤسسات نفسها، كانت ولا تزال وسائل للتبشير الممهّد لبسط النفوذ الأجنبي. ومن هنا كان يعتقد أن الفتن الطائفية كان ينفخ فيها رجال أتوا إلى هذه البلاد، يضعون على أجسامهم ثياب التقوى، وينتحلون مظاهر العلم.

ويظن بعض الباحثين أن المبشرين يأتون إلى الشرق فقط لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى. والحق أن هذا الأمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية. فقد نجد أشخاصاً قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق، ثم أفراداً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين، حباً به، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعملٍ سامٍ على أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات، أو يأتون فيها، لا صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين، الذي يزعمون أنهم جاؤوا لنشره. وإذا تأملنا العالم الغربي، وخصوصاً بعد عصر النهضة، وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن

بدين، ومادياً لا يعرف للروح معنى. فأمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبتترول، قد غطت نصف الكرة الأرضية بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني، بينما نرى فرنسا دولة علمانية في بلادها، نجدها تحمي رجال الدين في الخارج. فرجال الدين اليسوعيون المطرودين من فرنسا، هم خصوم الدولة في الداخل. وكذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان، كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين. وكثيراً ما كان العسكريون من الإنكليز خاصة، يحضون حكوماتهم على بث

المبشرين في العالم<sup>11</sup>. ولا ريب في أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير، إنما هو "القضاء على الأديان غير النصرانية"، توصلوا إلى استبعاد أتباعها. إن المعركة بين المبشرين وبين الأديان غير المسيحية، ليست معركة دين، بل هي في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية، وإن تعددت، حتى أن البروتستانت مثلاً لا يكتفون بأن يظل المسيحي أرثوذكسياً، بل يجب أن يصبح مسيحياً بروتستانتيّاً، وهوى الكاثوليك مع فرنسا كهوى الأرثوذكسي مع روسيا، فإذا انتقل هذان إلى البروتستانتينية، أصبح هوهما مع أمريكا بالدرجة الأولى، ومع إنكلترا بالدرجة الثانية<sup>12</sup>.

---

11 ( مصطفى خالدي وعمر فرّوخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص: 46-47.  
12 ( المرجع نفسه: ص: 48.



لقد أساء المبشرون إلى أشرف مبادئ الإنسانية - إلى العلم - لما اتخذوا منه سبيلاً إلى التبشير، فالأب الذي ياتمن على ابنه في مدرسة ما من المدارس، يقدم أثنى ما لديه، وهو يعتقد بأنه وضع ابنه بين يدي أنبل الناس، أي المعلمين. ولكن المعلم المبشّر، مخلوق قد نفرت من قلبه أجمل معاني الإنسانية، كالأمانة والاستقامة والصدق. وهكذا يتعرّض المبشر لرجل ناضج، ويحاول أن يستميله بضروب شتى، فقد يتخذ ثوباً أسبغه الله على الإنسانية ليخادع به الأطفال، فهذا أمر في منتهى الكفر للأمانة التي علقت في رقاب البشر.

على الرغم من أن المبشرين قد استغلوا العلم النبيل فجعلوه ستاراً لغايات تختبئ خلفها غايات أخرى، فتظاهروا بالعلم والإحسان إلى الناس، وتظاهروا بالدين، ولكنهم في الحقيقة يريدونهم ومن استخدمهم، أن يصلوا عن طريق هذا النشاط البريء في الظاهر إلى استعباد الشرق واستغلاله سياسياً واقتصادياً. ولقد استغل المبشرون التعليم لأن له أثراً فعالاً، بل هو أقوى وسائل التبشير. وعلى هذا الأساس بدأوا بإنشاء مدارسهم.

بدأت طلائع التبشير تتوافد إلى بلادنا والعالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر على شكل موجات من الرهبان والراهبات الدومينيكان والفرنسيسكان إلى مراكش والجزائر وتونس ومصر وبلاد الشام، بدعوة إفتتاح المدارس والمستوصفات والمستشفيات. ثم لحق بهم العازاريون والكبوشيون والكرمليون. وكانت الكاثوليكية أولى الإرساليات في بلاد الشام منذ القرن السادس عشر ممثلة بـ"الكبوشيين وراهبات الأراضي المقدسة واليسوعيين"، مستهدفين جذب أتباع المذاهب المسيحية الأخرى والإسلامية إلى الكاثوليكية، وإيجاد أتباع وبناء كنائس داخل البلاد العربية<sup>13</sup>.

كانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغل وإقامة النفوذ فيها. ولهذا لم تتوان في تأسيس العديد من الجمعيات التبشيرية لمد الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين. وكان قسم من المبشرين الذين وفدوا إلى البلاد العربية لأول مرة أطباء قاموا بالتجوال في المناطق المختلفة لتقديم خدماتهم الطبية إلى الأهالي، وإنشاء مستشفيات ومراكز صحية وتجهيزها بمراكز تبشيرية<sup>14</sup>.

وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات والمدارس التبشيرية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة العثمانية، فخاف السلطان من مغبة هذا الخطر. ولما كانت بلاد الشام تجمع بين

13 ( موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار الديار، بيروت، ط8، 1996م، ص:165-166.

14 ( فاضل بيّات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة إحصائية تاريخية في ضوء الوثائق العثمانية، منظمة التعاون الإسلامي (إرسیکا)، إستنبول، 2013م، ص:675.

المسيحي والمسلم، فقد كانت التفرقة في ميدان التربية والتعليم عبر الكتب التي كانت توزعها المدارس الأجنبية وبعضها فيها الطعن بالإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب المسيحيين لتفجيرهم من الدولة العثمانية<sup>15</sup>.

ومما ساعد على إيجاد روح العداة في بلاد الشام وخصوصاً في المقاطعات اللبنانية تجاه العثمانيين إنتشار التعليم الغربي وتغلغل آراء الثورة الفرنسية وتأسيس المطابع وإصدار الصحف، إضافة إلى أن المسيحيين كانوا يعدّون أنفسهم مواطنين غرباء في ظل السيادة العثمانية ولم يشعروا بأن الحكومة العثمانية حكومتهم<sup>16</sup>.

لذلك عمدت الحكومة العثمانية إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى بلاد الشام، لإيلاء أمر التعليم في المناطق التي تحت إدارتهم العناية اللازمة، حرصاً على إبقاء الرأي العام العربي، لا سيما المسلم، داخل الإطار الفكري للدولة العثمانية، فاستجاب الولاة لهذا التوجّه الرسمي وأخذت بلاد الشام خاصة والولايات العربية منذ ذلك الحين تحظى بحصّة الأسد من المدارس الحكومية الرسمية التي كان الولاة يفتحونها باسم السلطان العثماني. وهذا الاهتمام الذي ظهر من الدولة العثمانية بالنسبة لفتح المدارس الحكومية في الولايات العربية، إنما كان نتيجة الملاحظات المتكررة التي أبدتها الحكومتون مهجرتهم "السيمة" الذي أرسل في هذا الموضوع تقريراً قال فيه: "...ومع سابق معرفتي بهذه البلاد، فقد وجدتُ الحالة متغيرة عن ذي قبل<sup>18</sup>. فقد صبغت أحوال الولاية (سورية) الاجتماعية والسياسية بصبغة غير صبغتها الأولى، لأن الإنكليز والفرنسيين يبذلون مساعيهم منذ زمن لتقوية نفوذهم في هذه البلاد، وقد أوصلوا جبل لبنان إلى حالته الحاضرة، وهم يحاولون إيصال بقية البلاد الشامية إلى ما وصل إليه الجبل، فالأمريكان يريدون إعلان حمايتهم لجبل النصيرية فيفتحون المدارس ويشوقون الأهالي لقبول الحماية الأمريكية/ والألمان يرسلون مهاجريهم إلى سواحل القدس لإسكانهم في القرى المجاورة. خلاصة الكلام: كل دولة تريد أن تضع يدها على قطعة من بر الشام، والخلل سائر في البلاد وليس ثمة

15 ( محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، شركة فرج الله للطبوعات، بيروت، ص:177.

16 ( زين نور الدين زين: نشو القومية العربية، دار النهار، بيروت، ط3، 1979م، ص:46.

17 ( طه الولي: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، ط1،

1993م، ص:206.

18 ( إشارة إلى أن مدحت باشا عمل ككاتب في ولاية سورية لأكثر من سنتين (1865م).

إسم للعلاج، وجرائد أوروبا تكتب المقالات مظهرة سوء المغبة، وقام المستعمرون الذين أنشأوا المدارس من بر الشام طالبين الاشتراك في إقتسام السلب<sup>19</sup>.

ولعل أفضل وصف لأهداف الدول الأوروبية في هذا المجال، ما كتبه الشيخ عبد القادر قباني في جريدة ثمرات الفنون، حيث قال: "إن أوروبا لم تتجشّم هذه المشاق، وتعرف تلك المعارف رحمة بالشرق، ولا رافة بأهل الشام، إنما رغبت أن تجعل لمشروعها السياسي حزباً لها يتغذى بمحبتها صغيراً، فإذا كبر انتشر في البلاد، كان عوناً لها على تحقيق مساعيها"<sup>20</sup>.

وحرصاً من الطائفة الإسلامية على أبنائها من التغريب، سارع الأهالي إلى توجيه عدد من الرسائل إلى السلطات العثمانية للمبادرة فوراً بتأسيس مدارس إسلامية، للوقوف في وجه الإرساليات: "إلى الجناب الشريف بنظارة المعارف العمومية: بسبب كثرة المؤسسات الأجنبية في بلاد الشام، والمدارس المخصصة لغير المسلمين، ويريد الطلبة المسلمون التقدّم لها ولا يجيدون مكاناً لهم، قام السيد صاحب العزة من أصحاب الفضل والعرفان عبد القادر أفندي (قباني) وصاحب الكرم عباس أفندي (الأزهرى) بتأسيس المدرسة الرشدية وينتظرون الحصول على رخصة"<sup>21</sup>.

وفي رسالة أخرى وجّهت من مدير المعارف في بيروت رسالة إلى السلطان تحذّر فيها من ضياع أطفال المسلمين بآنتسابهم إلى المدارس الأجنبية ومما جاء فيها: "حضرة السلطان صاحب العظمة، كل الممالك الشامية التابعة لكم لها أهمية كبيرة بالنسبة للدولة العثمانية، لذلك أكثر الإنكليز والأمريكان والفرنسيون من إنشاء المكاتب لهم، لذلك أردت أن أعرض على سيادتكم إنشاء مكاتب إسلامية مماثلة لتعليم الطلاب المسلمين. فالمكاتب الموجودة في بيروت وغيرها غير كافية لعدد الطلاب، مع أن المكاتب الأجنبية لها عظيم القدرة والفائدة، لذلك ينبغي تخصيص مبلغ من حصّة نظارة المعارف من أجل إنشاء مكاتب في بيروت وسورية، من أجل إنقاذ أطفال المسلمين وبناتهم من الذهاب إلى المكاتب الأجنبية وتعليمهم وتربيتهم تربية إسلامية خالصة ويجب ذهابهم إلى مكاتب إسلامية، وتقوم بعض المكاتب بتحريف بعض الكتب في مطابعهم الموجودة في بيروت"<sup>22</sup>.

19 ( قدرى قلعي: مدحت باشا أبو الدستور وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، بيروت، 1958م، ط3، ص:78-79.

20 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 203، 3 ذو الحجة 1295هـ/28 كانون الثاني 1878م.

21 ( B.O.A: MF.MKT, 301/45(5-6).

22 ( B.O.A: Y.PRK.MF, 2/53.

وتعددت الرسائل من بلاد الشام إلى السلطات العثمانية التي تحذّر من مغبة ذهاب أطفال المسلمين إلى المدارس الإرسالية: "من أجل حفظ وصيانة عقائد وأخلاق الطلبة المسلمين الموجودين في المكاتب غير المسلمة والأجنبية الموجودة في بيروت يجب إخراجهم من هناك وإرسالهم إلى المكاتب المسلمة"<sup>23</sup>.

وقد أرسلت بعض الرسائل إلى السلطات العثمانية تفيد أنّ المكاتب الأجنبية تمنع المسلمين من الذهاب إلى الصلاة: "إلى نظارة الداخلية الجليّة، حضرة السيد صاحب الدولة، بخصوص السماح للطلبة الموجودين في المكاتب الأجنبية الذهاب إلى الصلاة في المساجد كما يسمح للطلبة المسيحيين الذهاب إلى الكنائس ولا يضيق أحد عليهم في هذا الجانب"<sup>24</sup>.

وبعد قيام بعض القساوسة والرهبان بنشر أفكارهم الهدّامة، بدأت الرسائل تتوالى إلى السلطات العثمانية: "إلى نظارة الخارجية الجليّة، بخصوص استخدام بعض الرهبان والراهبات البروتستانت الأماكن التي يقيمون فيها التجمعات مع الأهالي ونشر أفكارهم الدينية وبثّ التلقينات المسيحية وإفتتاح المكاتب بدون رخصة من الدولة"<sup>25</sup>.

لم يقتصر أثر النشاط الديني الذي كانت تقوم به معظم الإرساليات التبشيرية على إثارة الشك والريبة في نفوس غالبية السكّان من المسلمين والمسيحيين في هذه الديار، بل كان سبباً في إثارة النزاع الطائفي لا بل في إنكفاء نار العداوة والبغضاء بينها. فكان من الضروري أحياناً أنه يتدخل القناصل الأجانب في هذا النزاع لئلا يؤدي إلى مضاعفات سياسية خطيرة، والحقيقة التي يجب أن تقال هي أن ليس جميع الإرساليات كانت تكرّس جهودها وأعمالها في حقل العمل الديني. إذ يبدو أن بعض الإرساليات باستثناء الإرساليات الأمريكية التابعة للدول الكبرى والتي كان لها مصالح في الشرق، كانت ترى أن من واجبها تعزيز النفوذ السياسي لدولها في هذه المنطقة، ورعاية مصالحها فيها، تساندها في ذلك دولها التابعة لها. فكان أفرادها يحاولون بنشاط وهمّة غرسوكلنبتجوهطالهمبشيريقلولأملاكيتهمألمذيلأنثيوهمونفضلارهمكأن يوجهها من أفكار وما كان يدفعها من حماسة. وأدركوا أن ما كانت تحتاج إليه البلاد، قبل كل شيء، هو نظام تعليمي يلائم تراثها. وأدركوا كذلك أن الأمة إذا أضاعت تراثها فإنها لا تستطيع إستعادته إلا عن طريق أدبها. وكان أولى الأمور تأليف باللغة العربية وكتب مدرسية مختصرة وإستثمر المبشرون الأمريكيان

23 ) B.O.A: MF.MKT, 613/12-3.

24 ) B.O.A: DH.MKT, 2726/85-1.

25 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-1.

26 زين نور الدين زين: مرجع سابق، ص:52.

جهود إثنين من العلماء هما: ناصيف اليازجي وبطرس البستاني، فعهدوا إليهما بتأليف هذه الكتب وإقرارها حتى طبعوها في مؤسساتهم ووزعوها على جميع أنحاء البلاد<sup>27</sup>.

حاولت الدولة العثمانية كبح جماح المدارس التبشيرية عبر عدة طرق، كان أهمها بعدم إعطائهم تراخيص لفتح مدارس جديدة، وثانيهما مراقبة هذه المدارس عن كثب عبر إنشاء جهاز للتفتيش يقوم بزيارات دورية لهذه المدارس ومراقبة الكتب التي تدرّسها. حيث كانت التقارير التي رفعها المسؤولين المحليين إلى الدولة تدل على مدى التهديد المباشر الذي تشكّله المدارس الأجنبية لكيان الدولة العثمانية وأمنها، وبخاصة بعد أن وصل الأمر بالدول الأجنبية إلى فتح مدارس لها في أماكن لا يوجد فيها طلاب أجنب، وحثّها أبناء المسلمين على الدخول فيها، والامتناع عن تدريس اللغة العثمانية الرسمية، بغية إعداد جيل يجهلون لغة الدولة الرسمية. ولهذا طالب ناظر المعارف زهدي باشا في تقريره إتخاذ بعض الإجراءات اللازمة بشأن المدارس غير الإسلامية وهي: 1- عدم السماح للمدارس الكائنة في البلدات والقرى غير الإسلامية إستخدام معلمين أجنب وذلك للحدّ من فسادهم.

2- عدم فسخ المجال للدول الأجنبية بفتح مدارس لها في الأماكن التي لا يوجد فيها طلاب أجنب.

3- منع دخول أبناء الرعايا العثمانيين إلى هذه المدارس.

4- فرض اللغة العثمانية في مدارس الطوائف غير الإسلامية.

5- تكثيف إجراءات التفتيش على مدارس الطوائف غير الإسلامية.

6- زيادة ميزانية المعارف<sup>28</sup>.

لم تكن الدولة العثمانية تعلم جيداً نوايا الدول الأجنبية المبيتة تجاهها، ولم تكن تدرك الغاية الأساسية من تأسيسها هذا الكم الهائل من المؤسسات التعليمية في الولايات ليست لنشر التعليم بين أبناء جالياتها أو بين أبناء الطوائف غير الإسلامية من رعايا الدولة، بل جعل هذه المدارس مراكز لنشر أفكار معادية للدولة، ولتشتتة جيل موالٍ لهذه الدول. ولهذا ذهبت الدولة

---

27 ) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، قدّم له بنيه أمين فارس، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، 1987م، ص:105.

28 ) Atilla Cetin: Maarif nazirati zuhdi pasanin osmanli devletindeki yabanci, Okullar Hakkindaki: Raporu Istanbul Uni ede, fak, Guney-Dogu avrupa arastirmarlari dergisi, vol: 10-11, 1983, P:194.

وبخاصة بعد نشرها مؤسسات تعليمية رسمية، إلى إصدار قرار منعت بموجبه أبناء المسلمين من الدخول في المدارس الأجنبية<sup>29</sup>.

وأخذت الدولة تحذّر ولايتها من بيع الكتب التي تخالف الشرع الإسلامي وتخالف السياسة العامة للدولة، فقد جاء في بعض الوثائق ما يلي: "إلى ولايات بيروت وحلب والموصل وديار بكر وأضنة وبغداد والبصرة والقدس الشريف: يجب أخذ الحذر وكامل الإحتياطات اللازمة من أجل منع الكتب غير الجائزة للتدريس في المدارس"<sup>30</sup>. وجاء في وثيقة أخرى ما يلي: "إلى نظارة المعارف: يجب منع الكتب التي بها أشياء مخالفة للأداب والحقيقة من التدريس في المدارس المختلفة التابعة لولايات الدولة العثمانية"<sup>31</sup>.

وكما أسلفنا أنشأت الدولة نظام التفتيش لمراقبة عمل هذه المكاتب عن كتب، وقد جاء هذا النظام من فصلين<sup>32</sup>. وأصدرت الدولة العثمانية عدّة فرمانات حاولت من خلالها تقييد عمل المكاتب الأجنبية، والحد من تغلغلها في المجتمعات الإسلامية، ونشر أفكارها التي تشوش على عقول الطلاب، وأهمّها الحفاظ على المميزات العامة للمجتمع الإسلامي العربي، وعدم بث الكراهية والحقّد ضد الدولة العثمانية. ولنأخذ مثلاً واحداً عن الحجم الكبير للمدارس الإرسالية في ولاية بيروت:

أولاً: عدد المكاتب الأجنبية في الولاية بلغ 132 مكتباً<sup>33</sup>.

ثانياً: عدد السكان الأجانب في الولاية 1236 نسمة.

ثالثاً: عدد السكان المسيحيين المحليين بكل مذاهبهم بلغ 115565 نسمة<sup>34</sup>. هذا العدد يشمل اليهود أيضاً.

فإذا اعتبرنا أن الإرساليات الأجنبية قد فتحت لأبناء جلدتها الأجانب فعدد المدارس ضخم جداً، وإذا اعتبرنا أن هذه الإرساليات قد فتحت أيضاً للسكان المسيحيين المحليين، فإنه أيضاً كبير جداً، ويسدل من التقارير واللوائح التي أعدها مسؤولو الدولة مدى ما كانت تشكّله هذه المدارس

29) B.O.A: SD, 2806/25.

30) B.O.A: DH.MKT, 173/47-1.

31) B.O.A: DH.MKT, 173/47-5.

32) B.O.A: Y.PRK.MF, 1/63.

33) سالنامه نظارة المعارف العمومية لعام 1321هـ، ص:425-433.

34) سالنامه ولاية بيروت لعام 1322هـ، ص:308.

الأجنبية من تهديد مباشر لكيان الدولة العثمانية وأمنها، وبخاصة بعد أن وصل الأمر بالدول الأجنبية القيام بفتح مدارس لها في أماكن لا يوجد فيها سكان أجنب ولا سكان مسيحيين محليين أصلاً<sup>35</sup>. إذاً من هنا يتضح هدف هذه المدارس التبشيرية من فتح هذا الكم الهائل من المدارس، فهو لم يكن كما تدعي هذه المدارس تعليماً بحتاً، بل كان هدفها الحقيقي نشر الدين المسيحي واستعمار هذه الشعوب وتفتيت الدولة العثمانية.

يبقى لدينا سؤال يجب أن نطرحه: أي أثر كان للتربية الغربية في تنمية الشعور القومي والعدائي نحو العثمانيين في البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى؟

يكاد كل كاتب تطرق إلى قضية "يقظة العرب" أن يشدد على أهمية الأرساليات التبشيرية في إيقاظ العرب السياسي. ويعتقد هؤلاء الباحثين أن إنتشار الأفكار السياسية والديمقراطية الغربية في الولايات الآسيوية ناجم عن المعاهد التربوية الغربية، إذ أن البعثات التبشيرية، كانت تعمل على تنشئة جيل جديد على أسس غربية في الشرق الأدنى.

أدركت الدول الأوروبية منذ وقت مبكر محاولات القوميات المختلفة المنضوية تحت الحكم العثماني في التحرر والانفصال عنها، واللاحق بالدول الأوروبية التي قطعت شوطاً كبيراً في التقدّم في كافة المجالات. فقد كان هناك عدد من الشخصيات العثمانية التي تنتمي إلى قوميات عديدة، ممن تلقوا تعليماً أوروبياً في المدارس والمعاهد والكليات التابعة للدول الأوروبية وأخذ هؤلاء يحملون الفكر الغربي، ويسعون جاهدين لنشر أفكارهم بين شعوبهم لمطالبة الحكومة العثمانية بتبني نهج الحرية والديمقراطية. كانت الدول الأوروبية تقيم العلاقات الثقافية والسياسية مع هؤلاء لاستغلالهم في تنفيذ المخطط الاستعماري، ففي الوقت الذي نشطت فيه الحركات القومية من تركية وعربية...ألخ لتحقيق آمال شعوبها كان لهذه الدول الغربية أهداف أخرى ألا وهي استغلال هذه الحركات من أجل تفتيت الدولة العثمانية من الداخل وتوزيع ممتلكاتها بينها.

لقد كانت الدولة العثمانية خليطاً من الشعوب والقوميات، يحكمها العثمانيون الأتراك. وفي القرن التاسع عشر بدأت الشعوب المنضوية تحت السيطرة العثمانية تتطّلع إلى الغرب وتطوره ولا سيما الذين تلقوا علومهم في الغرب، والذين بدوا مختلفين عن أقرانهم المتعلمين في المدارس العثمانية، ومن الطبيعي أن ينقل هؤلاء أفكارهم التي تلقوها إلى أبناء جلدتهم ونشرها في ربوع الدولة العثمانية، وبذلك بدأت جذور الحركات القومية تنمو في الولايات العثمانية، ونتيجة لهم رابعاً سادت ولا الحركات القومية من الأجزاء الأوروبية من الدولة العثمانية. واستقلت

اليونان ورومانيا وبلغاريا وصربيا وألبانيا، كما إحتلت بريطانيا قبرص ثم توجّهت إلى أفريقيا واحتلت مصر والسودان وتوجهت فرنسا نحو الجزائر وتونس والمغرب، وإيطاليا نحو ليبيا. ولم يبق إلا الولايات الآسيوية فبدأت بالضغط الدبلوماسية لتغيير الأوضاع فيها لتحقيق مصالحها.

لذلك سعت الدول الأوروبية إلى مساعدة الحركات القومية وتقديم الدعم المادي والمعنوي للأحزاب والجمعيات القومية الداعية إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، وتحت ستار القومية نشأت العديد من الأحزاب والجمعيات لتحقيق أهداف وطموحات خاصة. وأخذت الجمعيات تتشكل في الولايات العربية، فكانت "جمعية الآداب والعلوم" التي شكّلها اليازجي والبستاني خلال إرتباطهم مع البعثة التبشيرية الأمريكية. وبعد عامين على تأسيسها بلغ أعضاؤها خمسين عضواً، أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت. ولم يك فيها عضو مسلم واحد<sup>36</sup>.

ثم توالى إنشاء الجمعيات تحت ستار علمي، فأنشأت الجمعية "العلمية السورية" سنة 1857م، وبلغ أعضاؤها 150 عضواً، واشترك فيها زعماء العرب من مختلف العقائد<sup>37</sup>.

وأنشأت جماعة من المفكرين والمتقنين في لبنان عام 1876 "جمعية ثورية سرية"، وجلهم من النصارى. والواقع أن المسلم لم يك يشعر بأنه غريب في ظل الحكم العثماني، بل كان يعتبر أن الدولة دولته. أما المسيحي فكان يشعر دوماً بأن الحكومة ليست حكومته. لكن لم يكذب ينقض وقت طويل حتى شعر أولئك الشبان النصارى إذا أرادوا بلوغ هدفهم "بالتخلص من الحكم التركي" ينبغي لهم أن يتعاونوا مع المسلمين لكي يكونوا سنداً وعاوناً لهم.

إقتنع الأعضاء المسيحيون في الجمعية الثورية السرية أن السبيل الوحيد للتححرر من "الحكم التركي" والسبيل الوحيد للمساواة بينهم وبين المسلمين هو تأليف جبهة عربية موحدة تقوم على فكرة العروبة وتستطيع أن تقف في وجه "الأتراك". ولجأ أولئك الأعضاء المسيحيون إلى خطة أخرى، هي إدخال بعض الوجهاء المسلمين في المحافل الماسونية من بيروت وكان بعض الأعضاء البارزين في هذه الجمعية السرية قد إنضم إلى عضوية هذه المحافل الماسونية، وكانوا يأملون أن يستميلوا المسلمين، بعد أن يكونوا قد إنضموا إلى عضوية هذه المحافل الماسونية، الجمعية السرية وفيه يقع: 116-117. قليل من المسلمين إلى المحافل الماسونية، (37) المرجع نفسه: ص: 119.



وعلموا بوجود جمعية سرية، وقد إتفق الجانبان، المسلمون والمسيحيون، على مبدأ المساواة بين العرب والأتراك. غير أنهم اختلفوا على الهدف الأعلى للجمعية، وهو طرد الأتراك من ولاية سورية التي كانت تشمل آنذاك المناطق اللبنانية. وبذلك أضعوا، كما صرح فارس نمر باشا للمؤلف، "ساحة قل أن يجود الزمان بمثلها"<sup>38</sup>.

وفي عام 1908م أعيد العمل بالدستور، وشهدت البلاد نوعاً من تحسن العلاقات العربية-العثمانية. فأنشأ العرب في إستنبول جمعية عربية باسم جمعية "الإخاء العربي - العثماني". وقد افتتحت الجمعية رسمياً وسط مظاهر الحماسة في إجتماع كبير عقدته الجالية العربية في إستنبول، وحضره بعض أعضاء جمعية الإتحاد والترقي. وكانت أهدافهم الرئيسية المحافظة على الدستور، وتوحيد جميع العناصر في الولاء للسلطان، وتحسين أوضاع المقاطعات العربية على أساس المساواة الحقيقية مع الأجناس الأخرى في الدولة، ونشر التعليم باللغة العربية وتنمية الشعور بالمحافظة على العادات العربية. وكانت عضويتها مباحة لكل العرب على إختلاف أديانهم، وتقرر إنشاء فروع لها في جميع الولايات العربية، وأصدرت صحيفة باسم الجمعية<sup>39</sup>. لم يدم شهر العسل طويلاً، إذ أقدمت جمعية الإتحاد والترقي على حل جمعية "الأخاء العربي - العثماني"، وكان لحل هذه الجمعية أن اتبع العرب الوسائل السرية، فنشأت عدّة جمعيات لم يعلم الأتراك بوجود بعضها قط وأصبح نشر أفكار العرب القومية يتم في ميدانين:

الأول: ميدان علني مجاله النوادي والجمعيات المعترف بها رسمياً.

الثاني: سري تعمل فيه المنظمات السرية المتأمرة في الخفاء.

وقد أنشئ عدد من هذه الجمعيات ومارست نشاطها بين سنتي 1909 و 1914م<sup>40</sup>.

ومن هذه الجمعيات "المنتدى الأدبي" 1909م، "وحزب اللامركزية الإدارية العثماني" تأسس عام 1918م، "والجمعية القحطانية" تأسست أواخر عام 1909م، "وجمعية العربية الفتاة" التي تأسست في باريس وكان مؤسسوا هذه الجمعية من الشبان العرب، وجميعهم مسلمون، وكانوا يواصلون دراستهم في العاصمة الفرنسية، وكانت أهداف الجمعية السعي لاستقلال البلاد العربية

38 ( زين نور الدين زين: مرجع سابق، ص:60-61.

39 ( جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص:173.

40 ( جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص:183-184.

وتحريرها من السيطرة التركية أو أي سيطرة أجنبية أخرى. ونقلت الجمعية مركزها إلى بيروت عام 1913م، ثم في السنة التالية إلى دمشق، وازداد عدد أعضاؤها على المائتين، وكانوا جميعاً من المسلمين ما عدا فئة قليلة من المسيحيين<sup>41</sup>.

على الرغم من إنخراط بعض مثقفي العرب المسلمين ممن تلقوا علومهم في الغرب في العمل السياسي والمطالبة بالانفصال عن العثمانيين، وهكذا نرى أن عبارة "يقظة العرب" التي شاعت كثيراً، وأسيء فهمها كثيراً، لم تك تعني في بادئ الأمر سوى نوع من التيقظ والوعي لما كان يكتنف الحكم العثماني من سوء وفساد واستبداد. كانت تعني في بادئ الأمر المطالبة بالإصلاح، والقضاء على الفساد فيه، وكانت تعني أيضاً مطالبة العرب بمساواتهم مع الأتراك في الحقوق والواجبات، والمطالبة بقسط أوفر من الحرية السياسية والمدنية. لكن لم يكن يخطر في بال الغالبية الساحقة من المسلمين أن البديل، في حال عجزهم عن نيل مطلبهم بالإصلاح والمساواة، هو قيام دولة عربية مستقلة، إما عن طريق الانفصال عن الدولة العثمانية أو عن طريق زوالها من الوجود. ذلك لأن مثل هذا البديل لم يكن أمراً مرغوباً فيه ولا أمراً يمكن تحقيقه. وبينما كان النصارى يطالبون بالإصلاح السياسي وبالاستقلال السياسي كان مفكرو المسلمين في سائر أنحاء الدولة العثمانية يطالبون بتطهيرها من الفساد الذي لحق بها، وبتقويتها عن طريق إصلاح الإدارة فيها، وبالرجوع إلى الإسلام الصحيح والمؤسسات الإسلامية الصحيحة. ولذلك كان هؤلاء الزعماء المسلمون من رواد الحركة التي كانت تهدف إلى قيام "الوحدة الإسلامية" وكان من أشهرهم الشيخ محمد عبده (1849-1905) وعبد الرحمن الكواكبي بعد إستانام جمعية الإنقاذ والترقي مقاليد الحكم، أخذت تجاهر بفكرة القومية الطورانية، مما جعل دعاة القومية يمتنعون بامتيازات كبيرة، ويحركون نشطين، بغطاء من السلطة. وتأسس في 24 كانون الأول 1908م باستنبول المنتدى التركي "ترك درنكى"، وهو أول نادٍ تركي أسس لغاية أدبية علمية، وليكون في خدمة القومية التركية أو الرابطة الطورانية. أما المواضيع التي تفرغ المنتدى لدارستها فكانت كل ما يتعلق بالشعب التركي، من تاريخ ولغة وخصائص عرقية وحضارة وأدب وحياة إجتماعية، وجغرافية تركية قديمة<sup>42</sup>.

41 ( المرجع نفسه: ص: 184-188.

42 ( زين نور الدين زين: مرجع سابق، ص: 69-70.

43 ( توفيق بزو: مرجع سابق، ص: 471.

بدأت جمعية الاتحاد والترقي سياسة أكثر تشدداً تجاه الأقليات غير التركية. وكانت المناداة المفرطة بالمساواة بين الأعراق، أثبتت أن معناها العملي، هو إلغاء كل الخصوصيات التي يتمتع بها كل عرق، ووضع هذه الأعراق في إطار موحد، خيالي لا يمت إلى الحقيقة بصلة. كما رأى زعماء الحركة، أن تعدد القوميات في دولتهم سيؤدي في النهاية إلى تدميرها. فوضعوا القوانين، وسنوا الأحكام والتشريعات التي تحقق تفوق العنصر التركي، وتميزه في المجتمع العثماني. وحاولوا إرغام المواطنين، من القوميات الأخرى، على الانتماء إلى القومية التركية، بعد أن يتم سلخهم عن قوميتهم الأصلية<sup>44</sup>.

وعن السياسة التي إنتهجتها جمعية الإتحاد والترقي تجاه الشعوب غير التركية، كتب السفير البريطاني في إستنبول، إلى وزير الخارجية البريطاني "إدوارد غراي Edward Grey" في 6 أيلول 1910م، يقول: "أشرف بأن أطلع سعادتك، أنني تلقيت سراً ومن مصدر لا يرقى إليه الشك، خلاصة خطاب، ألقاه طلعت بك في سلايك على أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، الذين عقدوا إجتماعاً سرياً كلكم تعلمون - والكلام لطلعت بك - أن الدستور ينص على فرض المساواة بين المسلم والكافر، وجميعكم تشعرون، أن هذا أمر مثالي لا يمكن تحقيقه واقعياً. إن شريعتنا الإسلامية، وتاريخنا بجملته، وشعور المئات والألوف من المسلمين، لا بل إن شعور الكفار أنفسهم الذين يقاومون بعناد كل محاولة لتتريكهم. لقد عدلت الجمعية عن فكرة تتريك جميع الشعوب غير التركية بالطرق الدستورية وعدلت كذلك عن الأساليب الودية لاستمالتها وكسب عطفها ووثقها"<sup>45</sup> وسياسة التتريك، وسياسة المركزية التي إتبعتهما جمعية الإتحاد عند تسلمها السلطة، وإتباع سياسة متشددة مع معارفيها إلى استنكار واسع في جميع الولايات وخصوصاً العربية منها، وعمقت الهوة بين الجمعية والعرب. ولم يكتم الكثيرين من زعماء هذه الجمعية حقدهم على العرب، إذ صرح وزير المالية "جاوويد بك" ووصف العرب بـ"العرق الأسود"<sup>46</sup>.

وقد جاء شعور العرب (مسلمين ومسيحيين) بالنقمة على الأتراك في العقد الأول من القرن العشرين نتيجة لعوامل مختلفة. أما الأسباب المباشرة فقد كانت سياسة التتريك، وإتباع

---

44 ( جهاد صالح: الطورانية التركية بين الأصولية والفاشية، دار الصداقة، بيروت، ط1، 1987م، ص:27.

45 ) F.O: Doc 181, sir G. Lawther to sir E. Grey, September 6, 1910.

46 ( توفيق بزو: مرجع سابق، ص:475.

سياسة أكثر تشدداً مع العرب. وكان زعماء الاتحاد والترقي أكثر تشدداً مع أهل الحجاز، مما دفع بالشريف حسين إلى إعلان الثورة العربية عام 1916م ضد العثمانيين. ومن الأسباب غير المباشرة تغلغل التعليم الغربي وما تركه من آثار سلبية على أفكار العرب ممن تشبعوا بالثقافة الغربية.

لم يتوقف الغزو الفكري للتدخل الأوروبي في الدول العربية بزوال الدولة العثمانية، إنما تغيرت أساليبهم، فبالإضافة إلى المدارس الإرسالية التي تكثفت أكثر فأكثر جاء الاستشراق الغربي ليكون أحد أساليب التدخل الأوروبي في البلاد العربية، ليس فقط عن طريق التدخل المباشر، بل عن طريق تزوير وتشويه التاريخ الإسلامي بغية إنشاء جيل جاهل لتاريخه. وعلى مدار هذه القرون تقاطع الاستشراق كأداة من أدوات التبشير من خلال تعلم اللغة العربية والاضطلاع بالدراسات الإسلامية، فانتشر تعليم اللغة العربية في الجامعات والمدارس الأوروبية<sup>47</sup>.

---

47 ( سعد تامر الحميدي: الصراع بين القوميتين العربية والتركية وأثره في إنهيار الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين، الدوحة، ط1، 2011م، ص:228.

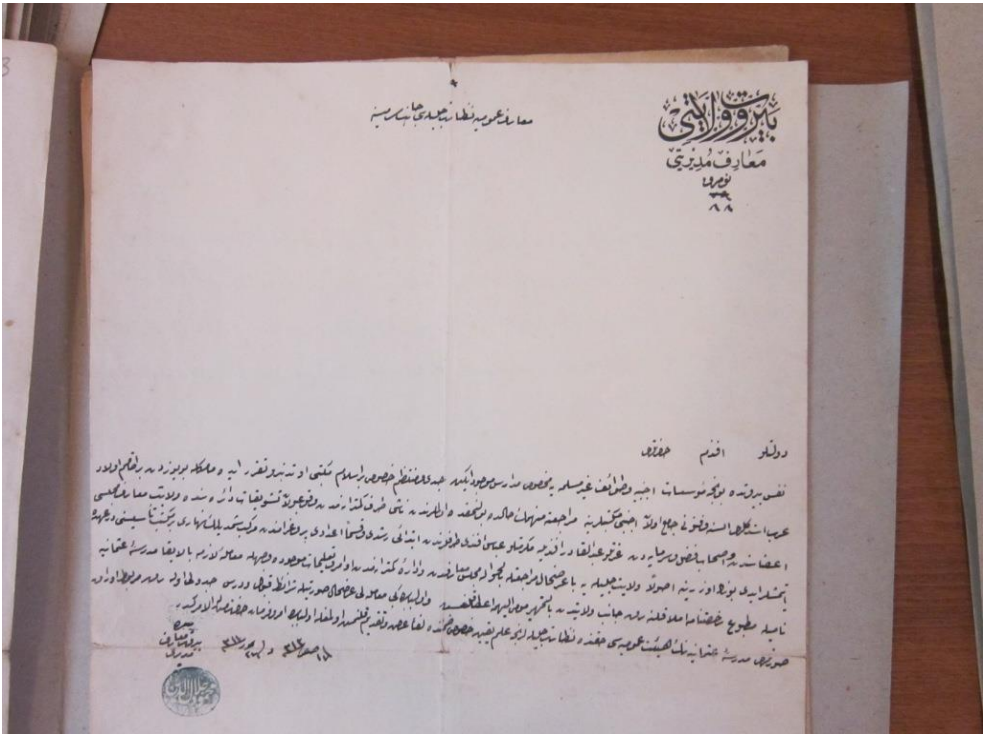
## الخاتمة

وهكذا لم يك إنتشار التعليم الغربي نعمة خالصة من الشوائب، فمع أنه رفع مستوى الثقافة إلى درجة عالية نسبياً في بلاد الشام، غير أنه كانت له مساوئه من نواحٍ متعددة. فقد ثبتت الخلافات والانقسامات الطائفية وزاد عددها بينما كان وجود هذه الخلافات والانقسامات في تلك البلاد هو العقبة الرئيسية في طريق تقدّمها. وكذلك أصبح هذا التعليم أداة من أدوات التغلغل السياسي بالاضافة إلى أنه وسيلة للثقافة. وأسوأ من ذلك كله أنه يسّر السبيل لرجال الدين المسيحيون ليمتلكوا أسباب القوة السياسية، بل كان أحياناً يدفعهم إلى ذلك عمداً.

فقد كان من الطبيعي أن تؤدي جهود المدارس والكلّيّات الأجنبية إلى أن يتعلم التلاميذ اللغة الأجنبية لكل معهد. ولكن الشيء المهم الذي حدث بمرور الزمن أن إتقان اللغة الأجنبية كان يزداد على حساب اللغة العربية. وكان لهذه الظاهرة أثر مهم في مستقبل الحركة القومية. فقد كانت الكثرة من تلاميذ المدارس الأجنبية نصارى، لأن المسلمين كانوا يخشون أن تؤثر هذه المدارس في أبنائهم وتحويلهم عن دينهم، فأثروا أن يرسلوهم إلى المدارس الإسلامية التي تؤسسها الدولة أو الجمعيات الإسلامية على الرغم من أن هذه المدارس أقل كفاية من المدارس الأجنبية. لذلك إنتقلت الآراء القومية التي بذرها التعليم التبشيري والنصارى في البداية، تجد تربة صالحة للنمو بين المسلمين، حين إتبعت جمعية الإتحاد والترقي سياسة أكثر تشدداً مع القوميات غير التركية وخصوصاً العربية.

الملاحق





وثيقة من مدير معارف بيروت يطلب من الدولة العثمانية فتح مدارس تابعة للدولة بسبب كثرة المدارس الإرسالية والمسيحية





المبحث الخامس:

"النشاطات العلمية في القدس العثمانية"

"المدارس نشأتها وتطورها"



تحتل مدينة القدس عند الديانات الثلاثة مكانة كبيرة، أما المسلمين فهي قبلتهم الأولى، ومعراج الرسول صلى الله عليه وسلم الى السماء، أما النصارى فهي مهد السيد المسيح وفيها كنيسة القيامة، أما اليهود فإنهم يزعمون بوجود الهيكل و حائط المبكي. لذلك كان التنافس شديد بين هذه الديانات، وقد حاول كل طرف مدّ جذوره في هذه المدينة المقدسة، ناهيك عن تدخل الدول الأوروبية التي حاولت إيجاد موطئ قدم لها في المدينة بحجة حماية الأقليات الدينية، مستفيدة من نظام الامتيازات الذي منحه الدولة العثمانية لهذه الدول منذ وقت مبكر. فأخذت هذه الدول تتسابق على إقامة المؤسسات الخيرية والدينية والتعليمية المختلفة بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر من خلال رعايا الدولة العثمانية من الطوائف المسيحية واليهودية، مستفيدة أيضا من تسامح الدولة العثمانية مع الأقليات الدينية، وإعطاء هذه الأقليات ما يشبه الحكم الذاتي في الأحوال الشخصية والتعليمية، فأخذت الدول الأوروبية تعمل على تأسيس جمعيات متعددة تحت مسميات مختلفة أخذت على عاتقها إقامة هذه المؤسسات، والعمل على ديمومتها وتوسيعها والأشراف عليها. وعلى الرغم من أن هذه الجمعيات أبدت نشاطاً ملحوظاً في المؤسسات الخيرية والدينية والتعليمية المختلفة إلا أنّ ما قامت به في مجال التعليم فاق كل التوقعات، ولم يمر وقت طويل حتى عجزت كالتدبير والولاية على العثمانيين تعلم الجدارس الغابرة المختلفة الكامنقرو ولزها: إقليمية أئمة هذا ورلكية، الهائل ادمين للمطالبة الإوساطة غيور الأنسلافية في ذلك الذي عواترك الهائل اطلو مختلفة سيتوالفها في الإلمام تقبل لإمكان اجباكهم فيها مقدورها الحد من انتشارها أو إغلاقها أو حتى التصدي لها، وذلك لأسباب كثيرة منها عدم وجود قانون للتعليم، وسياسة التسامح التي كانت تتبعها الدولة تجاه الطوائف غير الإسلامية والإمكانيات الممنوحة للدول الأوروبية والضغوطات التي كانت تمارسها هذه الدول عليها، ولهذا ذهبت الدولة العثمانية إلى استخدام نفس الأسلوب الذي استخدمته الطوائف غير الإسلامية والدول الأجنبية أي إقامة المؤسسات التعليمية بمستوياتها المختلفة، والعمل على تشجيع الرعايا بما فيهم غير المسلمين لإدخال ابنائهم فيها. غير أنّ الدولة أحسّت بشكل ملموس إزدیاد مخاطر هذه

المنظمات الصهيونية، فأصدرت أوامرها بعدم ترخيص بعضها أو حتى إغلاقها ولاسيما بعد إنفجار الحرب العالمية الأولى.

#### ١- التعليم في المساجد:

ساهمت المساجد إلى جانب كونها دوراً للعبادة في نشر العلوم الدينية. وقد تمثل الدور التعليمي لها في مدينة القدس فيما كان يقوم به الحرم القدسي الشريف (المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة) بما فيها من أئمة وخطباء ومدرسين في تدريس العلوم الدينية التي شملت القرآن الكريم وتفسيره، والحديث النبوي الشريف، وعلوم الفقه<sup>1</sup>.

كانت وظيفة التدريس في المسجد الأقصى وراثية، ومحصورة في معظم الأحيان في عائلات معينة، يتوارثها الأبناء عن الآباء، كما كانت تباع وتشتري، حيث يتنازل عنها متوليها إلى آخر مقابل مبلغ من المال<sup>2</sup>.

وكان عدد هذه المدارس في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في لواء القدس 19 مدرسة<sup>3</sup>. توزعت على الأفضية التالية:

أ- قضاء القدس: أنشئت المدارس الدينية الإسلامية داخل الحرم القدسي الشريف<sup>4</sup>، وكان عددها سبع مدارس<sup>5</sup>.

---

1 ( محمد عبد الرحيم غنيمية: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، 1953م، ط1، ص:37.  
2 ( عبد الكريم غرايبة: مقدّمة في تاريخ العرب الحديث (1500-1981م)، ج1، دمشق، 1960م، ص:86.  
3 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص:1472.  
4 ( ياسر الخطيب: الحركة العلمية في مدينة القدس في القرن الثاني عشر هجري - الثامن عشر ميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة اللغة العربية، قسم التاريخ، جامعة الأزهر، 1424هـ/2003م، ص:51.  
5 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص:1472.

ب- قضاء غزة: أقيم فيه أربع مدارس دينية إسلامية، اثنتين منها في الجامع الكبير (العمرى) في حي الدرج، وواحدة في جامع السيد هاشم، ومدرسه واحدة في جامع

السيدة رقية في حي الشجاعية<sup>6</sup>.

ج- قضاء يافا: وجد في قضاء يافا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ست مدارس دينية

إسلامية، وجميعها أقيمت في الجامع الكبير<sup>7</sup>.

د- الخليل: انتشرت المدارس الدينية الإسلامية في الخليل في الحرم الإبراهيمي وكان هذا

المسجد مقصداً للعبادة والمحاورة، أي الإقامة في المسجد من قبل طلاب العلم، فالمسكن

موجود، والطعام موجود، حيث يلتقي الطلبة بالعلماء<sup>8</sup>.

## ٢- الكتاتيب والزوايا:

أ- **الكتاتيب:** إعتد التعليم بشكل رئيسي في القرى، والمدن الصغيرة والأحياء على

الكتاتيب. حيث كان الصبيان ما بين سن الخامسة والثانية عشرة من أعمارهم يجتمعون

في مسجد أو في بيت خاص، يقوم الشيخ بتدريسهم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة

والكتابة والحساب. ولم تكن الدولة تمارس أي رقابة على هذه الكتاتيب، وكان أولياء

أمر التلاميذ هم من يقومون بدفع نفقات التعليم إلى الشيخ والتي تعرف بالخميسية<sup>9</sup>.

ومن أشهر الكتاتيب التي وجدت في القدس:

---

6 ( نفس المصدر وصالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1319 هـ، ص:966.

7 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1319 هـ، ص966.

8 ( محمد شراب: الخليل مدينة عربية فلسطينية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 2006، ط1، ص:95.

9 ( علي البواب: موسوعة يافا الجميلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2، بيروت، ط1، 2003م، ص:906.

## ١- الكتابات في قضاء غزة: ويوجد فيه ثلاثة كتاتيب:

أ- حي الزيتون: كتاب جامع أبي ركاب، كتاب العجمي، كتاب الشيخ عطية<sup>10</sup>.

ب- حي الشجاعة وبه خمسة كتاتيب: كتاب المحكمة، كتاب جامع الغزالي، كتاب الطيار،

كتاب جامع أبي عثمان، كتاب مسجد علي المغربي، وكتاب واحد للبنات هو كتاب

ج- حي الدرج<sup>السيدة رقية</sup>: كانت الكتابات في حي الدرج ملحقة بالمساجد، كتاب مسجد السدرة، كتاب

مسجد ابن سلطان<sup>11</sup>.

## ٢- الكتابات في قضاء غزة وعددها خمسة:

الكتاب القديم، الكتاب الواقع بجوار حوش قرنفة، كتاب جامع وهبة محرم، كتاب أحمد

مراد، كتاب الواقع بجوار حمام البيك<sup>12</sup>.

## ٣- الكتاب في الخليل:

كتاب الشيخ محمد المصري، كتاب الشيخ إبراهيم الشاعر، كتاب الشيخ شعبان، كتاب

الشيخ هاشم الطريفي<sup>13</sup>.

## ٤- الكتابات في قضاء بئر السبع:

انتشرت الكتابات في قضاء بئر السبع بين القبائل البدوية التي تسكن في القضاء، فكان

لكل قبيلة أو عشيرة كتاب خاص بهم يتم فيه تعليم اطفال القبيلة في الخيام او بيوت الشعر من قبل

معلم واحد يتم دفع أجرته من قبل القبيلة<sup>14</sup>.

---

10 ( سليم المبيض: غزّة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص:399.

11 ( المرجع نفسه: ص:399.

12 ( علي البواب: مرجع سابق، ص:966-969.

13 ( عز الدين غريبة: قصّة مدينة يافا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة

بمنظمة التحرير الفلسطينية، تونس، ص:95.

٢- الزوايا: أنشئ معظم الزوايا في القدس في العهد المملوكي، واستمرت هذه الزوايا في أداء رسالتها التعليمية حتى نهاية العهد العثماني.

يمكن تقسيم الزوايا في قضاء القدس إلى قسمين:

أولاً: زوايا أنشئت في العهد المملوكي واستمرت حتى العهد العثماني وهي: زاوية المغاربة وزاوية المهمازية<sup>15</sup>. الزاوية المحمدية، الزاوية الطواشية، الزاوية الأدهمية، الزاوية الداوودية والزاوية البسطامية الأزرق<sup>16</sup>.

ثانياً: زوايا تم تأسيسها في العهد العثماني: النقشبندية، الهندية<sup>17</sup>، القادرية، المولوية، الرفاعية<sup>18</sup>.

- الزوايا في قضاء غزة: زاوية أبي مدين الغوث، زاوية الشيخ نبهان، زاوية الهند، الزاوية الأحمدية<sup>19</sup>.
- الزوايا في قضاء يافا: زاوية الشيخ إبراهيم الملاحي، زاوية الشيخ رسلان البكري<sup>20</sup>.
- الزوايا في قضاء الخليل: زاوية البكا، زاوية القواسمة، زاوية الأشرف، زاوية الجعبري<sup>21</sup>، زاوية الشيخ عبد الرحمن الأخرومي، زاوية الجبابرة، زاوية أبو الريش<sup>22</sup>.

---

14 ( حسن أبو سمور: قصّة مدينة بئر السبع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، تونس، ص:48.

15 ( محمد كرد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، 1403هـ-1938م، ج6، ص:149.

16 ( عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، المؤسسة العمرية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ط3، ص:720.

17 ( محمد كرد: مرجع سابق، ص:151.

18 ( عارف العارف: مرجع سابق، ص:720.

19 ( هارون رشيد، قصّة مدينة غزّة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، تونس، ص:49.

20 ( علي البواب: مرجع سابق، ص:232.

21 ( محمد شراب: الخليل مدينة عربية فلسطينية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ط1، ص:95-96.

22 ( محمد عبد الرحمن: قصّة مدينة الخليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، تونس، ص:58.



### ٣-التعليم التقليدي:

تعدّ المدارس المحور الرئيسي للحياة التعليمية والثقافية في بيت المقدس، وهي تعود في نشأتها إلى أواسط القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي<sup>23</sup>. وقد بلغ عدد هذه المدارس في العهدين الأيوبي والمملوكي نحو 70 مدرسة إستمر منها في العهد العثماني ما بين (31- 44) مدرسة، وحبست عليها الأوقاف العديدة في العهد العثماني مما وفر ما يلزمها من أموال تغطي نفقات ترميمها، كما توفر المخصصات المالية للعاملين فيها<sup>24</sup>.

تدين المدارس التقليدية الإسلامية بوجودها الى الأوقاف التي حبست عليها: سواء من السلاطين أو الميسورين، حيث لعبت الأوقاف دوراً مهماً في التعليم، سواء في المدارس، او المكاتب، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها، وكان الربيع الذي تعود به المصادر الموقوفة على المدرسة شهرياً أو سنوياً، نقداً أو عينياً، هو الضمان لاستمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة، والطلبة حسب شروط تلك الأوقاف<sup>25</sup> السلاطين العثمانيين وأمرؤهم على رصد الأوقاف الكثيرة على المؤسسات التعليمية، للصرف عليها من أجل استمرار العمل بصورة منتظمة، مما جعل العصر العثماني أزهى العصور الإسلامية في مجال وفرة الأوقاف خدمة للعلم والتعليم<sup>26</sup>. وقد قامت

---

23 ( يوسف درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، عمان، 1982م، ط1، ص:147.

24 ( رفع محمود العثماني: القدس في العهد العثماني (1640-1799م)، الجزء الثاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001م، ص:370.

25 ( محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م، ص:240.

26 ( حياة ناصر حجي: صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم، الكويت، 1992م، ط1، ص:15.

الأوقاف بهذا الدور فأدت خدمات جليلة، وكانت بمثابة العمود الفقري للمؤسسات التعليمية والمدارس<sup>27</sup>. والتي كانت تزدهر بمقدار ازدهار الأوقاف الموقوفة عليها، والعكس صحيح<sup>28</sup>.

ولم يقتصر أثر الوقف على التعليم على أنها المورد المالي للمؤسسات التعليمية، بل تعدى الأمر ذلك إلى الجوانب العملية والتعليمية كافة، حتى انه يمكننا القول أن وثيقة الوقف او كتاب الوقف كان بمثابة اللائحة الاساسية للمؤسسة التعليمية، التي تضم الأسس التربوية للتعليم، والشروط التي يجب أن تتوفر في القائمين بالتدريس، و مواعيد الدراسة وما الى ذلك من التنظيمات الإدارية والوثائق والأوقاف<sup>29</sup>، فمنها ما كان في القدس نفسها، او في ضواحيها، او سائر أنحاء فلسطين<sup>30</sup>. وقد عبّر عن ذلك ابن جبير في وصفه للمراكز التعليمية في بلاد الشام بقوله: "ولكلّ مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء ورياح حتى أن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه"<sup>31</sup>. بناء على ذلك، دفع هذا الأمر الكثير من طلبة العلم و العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي إلى القدوم إلى فلسطين عامة، وبيت المقدس خاصة، حيث الأوقاف

الكثيرة التي توفر أسباب العيش، وتكفل لهم الاشتغال بالعلم<sup>32</sup>. وأهم هذه المدارس التي مازالت موجودة في العهد العثماني: المدرسة الغازية، المدرسة التتكوية، المدرسة الناصرية (الصلاحية)، المدرسة اللؤلؤية، المدرسة الحسنية، المدرسة الحنبلية، المدرسة السلامية (الموصلية)، المدرسة الفارسية، المدرسة المزهرية، المدرسة العثمانية،

---

27 ( كامل جميل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1981م، ص:123.

28 ( محمد محمد أمين: مرجع سابق، ص:242.

29 ( محمد عثمان الخطيب وإبراهيم حسني ربابعة: مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، شعبان 1435هـ-يونيو 2004م، المجلد 11، العدد 1، ص:149.

30 ( كامل جميل العسلي: مرجع سابق، ص:126-127.

31 ( ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1964م، ص:248.

32 ( محمد عثمان الخطيب: مرجع سابق، ص:150.

المدرسة الصامتية، المدرسة الكاميلية، المدرسة المأمونية، المدرسة الكريمة، المدرسة  
الوجيهة<sup>33</sup>.

### المدارس الأجنبية الإرسالية (التبشيرية):

يرى أكثر الباحثين، أن المبشرين استغلوا الحقوق الممنوحة لهم من قبل الدولة العثمانية من جهة، وتسامحها وعدالتها من جهة أخرى، خصوصاً بعد إعلان التنظيمات والإصلاحات، فاستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم التبشيرية في أراضي الدولة. وكانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة، وتسعى إلى التوغل وإقامة النفوذ فيها. لذلك سعت هذه الجمعيات إلى مد الجسور مع الأهالي المسلمين و المسيحيين في الشرق الاوسط، وخصوصاً القدس لما لها من أهمية ومكانة دينية عند المسيحيين، وإقامة علاقات ودية معهم، وقد أولى هؤلاء المبشرون التعليم أهمية كبيرة، ووجدوا فيه خير وسيلة لتحقيق مآربهم، ولقد وجد المبشرون في العالم الإسلامي مجالاً خصباً لنشاطاتهم، حيث لم تجد الجمعيات فهو مجال واسع لنشر أفكارهم، وإجراء تبادل ثقافي في المجتمعات الشرق أوسطية. التبشيرية التابعة للغرب الأوروبي إي صعوبة في تأسيس مدارس لها في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، وخصوصاً في بلاد الشام وعلى وجه الاخص القدس لأنها تجمع كافة الملل. فرأت المؤسسات التبشيرية أن خير وسيلة للوصول إلى الأهالي و تلقين ما تريده من

أفكار مسمومة هو المؤسسات التعليمية، فسعت إلى نشر هذه المؤسسات اما مباشرة من قبلها أو من قبل الطوائف التي تبنتها مستغلة عدم وجود أي قانون أو نظام يقيد بها بهذا الأمر، بل على العكس من ذلك كانت الامتيازات الممنوحة لها تتيح لها ذلك. ولهذا كان بمقدورها إقامة أي مدرسه وفي أي مكان وبالعدد الذي ترغب بفتحها وإدارتها حسب رغبتها وتنظيمها بشكل يتناسب وتوجهاتها. ولهذا انتشرت المدارس غير الإسلامية والأجنبية انتشاراً و بسرعة مذهلة، ولم يمر وقت طويل حتى أقيمت أعداد هائلة من هذه المدارس وبمختلف المستويات وفي كافة أرجاء

33 ( المرجع نفسه: ص:152-158).

الدولة العثمانية، إلا أن ما أقيم في لواء القدس ضاهى ما أقيم في أي لواء من ألوية الولايات بل في بعض الولايات برمتها<sup>34</sup>.

وبدأت طلائع التبشير تتوافد الى بلادنا والعالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر على شكل موجات من الرهبان والراهبات الدومنيكان والفرنسيسكان، بدعوة افتتاح المدارس والمستوصفات والمستشفيات. ثم لحق بهم العازاريون والكبوشيون والكرمليون. وكانت الكاثوليكية أولى الإرساليات في بلاد الشام منذ القرن السادس عشر ممثلة ب"الكبوشيون وراهبات الأراضي المقدسة واليسوعيين" مستهدفين جذب اتباع المذاهب المسيحية الأخرى والإسلامية إلى الكاثوليكية، وإيجاد أتباع وبناء كنائس داخل البلاد العربية والإسلامية<sup>35</sup>.

كانت الجمعيات التبشيرية تتعامل مع كل مناحي الحياة وتسعى إلى التوغل وإقامة النفوذ فيها. ولهذا لم تتوان في تأسيس العديد من الجمعيات التبشيرية لمد الجسور مع الأهالي المسلمين والمسيحيين. وكان قسم من المبشرين الذين وفدوا إلى هذه البلدان لأول مرة أطباء قاموا بالتجوال في المناطق المختلفة لتقديم خدماتهم الطبية إلى الأهالي وأنشاء مستشفيات ومراكز صحية وتجهيزها بمراكز تبشيرية<sup>36</sup>.

وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات والمدارس التبشيرية الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة العثمانية، فخاف السلطان من مغبة هذا الخطر. ولما كانت بلاد الشام وخصوصاً القدس، تجمع بين الديانات الثلاث (الإسلامية واليهودية والمسيحية)، فقد كانت التفرقة بين الطوائف والملل أسرع إليها من سائر الأقطار، فدخلت التفرقة في ميدان التربية والتعليم عبر

---

34 ( فاضل بيات: ظاهرة إنتشار التعليم في القدس في ضوء التنافس العثماني الأجنبي، بحوث المؤتمر الدولي حول القدس في العهد العثماني، دمشق 22-25 حزيران 2009، منظمة التعاون الإسلامي، استنبول، 2012م، ص: 151.

35 ( موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار البيارق، بيروت، ط8، 1996م، ص: 165-166.

36 ( فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة إحصائية تاريخية في ضوء الوثائق العثمانية، منظمة المؤتمر الإسلامي، استنبول، 2013م، ص: 675.

الكتب التي كانت توزعها المدارس الأجنبية وفيها الطعن بالإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب النصارى لتغييرهم من الدولة العثمانية<sup>37</sup>.

لذلك عمدت الحكومة العثمانية إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى ولاية سوريا (كانت ما زالت القدس تابعة لها)، لإيلاء أمر التعليم في المناطق التي تحت إدارتهم العناية اللازمة، حرصاً على إبقاء الرأي العام العربي لاسيما المسلم داخل الإطار الفكري للدولة العثمانية، فاستجاب الولاة لهذا التوجه الرسمي وأخذت بلاد الشام عامة والقدس خاصة تحظى بحصة الأسد من المدارس الحكومية الرسمية التي كانا الولاة يفتحونها باسم السلطان العثماني<sup>38</sup>. لذلك كثفت المدارس التبشيرية نشاطها في مجال التعليم في الدولة العثمانية بعد صدور

فرمان الإصلاحات على وجه التحديد، فقامت بفتح المدارس والمستشفيات وغيرها. و أقامت جمعيات مختلفة، وأخذت على عاتقها تأسيس المؤسسات الدينية والتعليمية، وتخصيص الموارد اللازمة لإدارتها وتسهيل دخول أبناء رعايا الدولة العثمانية إليها. وتسابقت هذه الدول فيما بينها في إقامة المؤسسات وكان يكفيها وجود بضعة عوائل غير إسلامية في قرية من القرى لإقامة مدرسة أو مدارس لابنائها، فكيف لمدينة كالقدس تضم تنوعاً سكانياً وتضم أماكن مقدسة تستقطب اتباع الديانات الثلاث. فلا غرو أن تأتي القدس في مقدمة المدن التي حظيت باهتمام الدول والمؤسسات الغربية لإقامة مؤسسات دينية وتعليمية وصحية واجتماعية، ولكن ما يلفت الإنتباه هنا أن تشهد المدينة أعداداً هائلة من هذه المؤسسات في غضون فترة وجيزة دون أن يجد قبل ذلك تعدد المدارس التي أسستها الإرساليات التبشيرية في القدس وأقصيته، لا بد من

مؤسسيها أي عرقلة للمضي قدماً في هذا المجال. الدول التابعة لهذه المدارس، واكتفت بذكر الطائفة الإشارة إلى أن السلنات لم تذكر أسماء الدول التابعة لهذه المدارس، واكتفت بذكر الطائفة الدينية التي أسستها، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون هذه المدارس مرتبطة بالمؤسسات الدينية

---

37 ( محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ والحضارة والعمران، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، ص:177.

38 ( طه الولي: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م، ص:206.

أكثر من ارتباطها بحكومات الدول، وقد حاولت قدر الإمكان تحديد عدد المدارس التابعة لكل دولة من خلال أسماء المدارس والمؤسسين لها. فكانت أعداد المدارس الإسرائيلية وفقا لما يلي:

أ- حسب سالنامة نظارة المعارف العمومية للسنوات: 1313 هجري و 1318 و 1321 على النحو التالي: 73 مدرسة<sup>39</sup>.

ب- أما الدليل الإحصائي: معارف عمومية نظارتي لسنة 1895-1896 ميلادي فقد ضم لواء القدس 64 مدرسة توزعت على الشكل التالي: فرنسا 15، إنجلترا 21، ألمانيا 21، روسيا واحدة، النمسا ثلاثة، أمريكا ثلاثة<sup>40</sup>.

ج- أما "S. Mutlu" فيورد تعداد للمدارس الإسرائيلية على الشكل التالي: 66 مدرسة موزعة على الشكل التالي: ألمانيا 13، فرنسا 24، إنجلترا 29<sup>41</sup>.

من خلال العرض السريع للتعليم في المدارس الإسرائيلية نتبين النقاط التالية:

1- سرعة انتشار التعليم الأجنبي.

2- تركيز المكاتب الأجنبية على تعليم الطلاب المسلمين تعاليم الدين المسيحي في محاولة لتتصيرهم.

3- التنافس واضح بين الدول الأوروبية في تأسيس المكتب بهدف السيطرة الاستعمارية.

4- الزام الطلاب بلغة الدولة الأجنبية التي فتحت المكتب.

---

39 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1317 هـ، ص: 972-973، وسالنامة 1318 هـ، ص: 1656-1662، وسالنامة 1321 هـ، ص: 732-734.

40 ( معارف عمومية نظارتي: إدارة سنده بولنان مكاتب، مطبعة عامرة، إستنبول، 1318 هـ، ص: 54-58.

41 ) S. Mutlu: Osmanli Devletinde Misyoner Okullari, 2 Bask, Gokkubbe, Istanbul, 2005, PP:134-141.

## ٢- التعليم المسيحي المحلي:

أنّ الطوائف المسيحية بكل مذهبها في بلاد الشام، تسنى لها الاحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة قبل المسلمين، وكان ذلك أمراً طبيعياً ومنطقياً، ذلك أنّ بين مسيحيي الغرب ومسيحيي الشرق وحدة حال من الناحية الدينية، وهذا الامر أدى بصورة عفوية إلى وجود رابطة اجتماعية وثقافية بين الطرفين، أثمر على المستوى التعليمي عن مبادرة المسيحيين المحليين إلى محاكاة نظائرهم في الدين في اسلوب إنشاء المدارس على الطريقة الأوروبية العصرية. وقد باشر مسيحيو الشرق إلى إنشاء العديد من المدارس بمساعدة المبشرين الذين لم يبخلوا بخبرة رجالهم وسخاء اموالهم، وكذلك بالكتب المدرسية التي ترجموها وألفوها بما يتلاءم وأغراضهم التبشيرية نصت المادة المائة التاسعة والعشرون، من قانون المعارف العام الصادر 1286 هـ/ 1869 ميلادي، على أنّ المكاتب الخاصة التي تأسست، سواءً من طرف جماعة أو أفراد، هي من تبعية الدولة العثمانية او الدول الأجنبية تتم إدارتها من طرف مؤسسيها أو الجماعات أو الأوقاف التابعة لها. ويجب أن يكون المعلم حاصلاً على شهادة "تامة" سواءً من طرف نظارة المعارف أو من طرف إدارة المعارف من الجهة التي ينتمي إليها. وفي حال كانت هذه المكاتب ستدرس دروساً مغايرة كما هو معمول به في المكاتب العثمانية الأخرى يجب أن تخضع لمصادقة نظارة المعارف، ويجب أن تحصل المكاتب على رخصة من الجهات المختصة.

وفي حال لم تتوافر هذه الشروط لا يحصل المتدرب على ترخيص<sup>42</sup>.  
على الرغم من تشدد الدولة العثمانية بعدم فتح أي مدرسه خاصةً الا بعد الحصول على

ترخيص بناءً على المادة التاسعة والعشرون من قانون نظام المعارف، إلا أنّ بعض هذه المدارس كان خافياً عن الدولة، إذ نجد أن وزير المعارف "زهدي باشا" ذكر في تقرير مقدم الى السلطان "عبد الحميد الثاني" سنة 1894 ميلادي انه من غير الممكن تقديم إحصائية دقيقة لعدد المدارس

42 ) B.O.A: Y.EE, 112/6, P:36.

والمؤسسات التبشيرية والمدارس غير الإسلامية في الدولة العثمانية، ومع هذا فقد ذكر أنّ عدد المدارس للأقليات في البلاد، لا يقل عن 4547 مدرسة، منها 4049 غير مرخصة<sup>43</sup>. لا مجال لتعداد المدارس الأهلية المسيحية في كل قضاء وفي كل حي إنما سنشير إلى عددها بشكل عام حسب كل طائفة ومذهب:

١- سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1319هـ<sup>44</sup>:

أ- روم: 20 مدرسة.

ب- لاتين: 13 مدرسة.

ج- أرمن: 5 مدارس.

د- يهود: 45 مدرسة.

أما سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ<sup>45</sup>:

أ- روم: 20مدرسة.

ب- لاتين: 12 مدرسة.

ج- أرمن: 5مدارس.

د- يهود: 46مدرسة.

أما الدليل الإحصائي لسنة (1895-1896م)<sup>46</sup>، فإنه يعطينا عدد مغاير للسالنامات، فقد بلغ عدد المدارس المسيحية الأهلية في القدس 103 مدارس، منها ثلاث مدارس إعدادية غير

---

43 (فاضل بيّات: المؤسسات التعليمية في المشرق...، مرجع سابق، ص:676.

44 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1319هـ، ص:966-971.

45 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ، ص:729-731.

46 ( معارف عمومية نظاراتي: إداره سنده بولنان مكاتب، مطبعة عامرة، استنبول، 1318هـ، ص:54-58.



مرخصة، أربع مدارس رشدية أيضاً غير مرخصة، و96 مدرسة ابتدائية منها 35 مرخصة 61

غير مرخصة، وتوزعت تبعثها على النحو التالي:

أ- روم:20 مدرسة.

ب- أرمن:5مدارس.

ت- كاثوليك:14مدرسة.

ث- يهود:64مدرسة.

### ٣- المدارس الحكومية العثمانية:

إزاء الانتشار الكبير للمدارس الإرسالية والمسيحية الأهلية، والتي كانت تعمل على إثارة الروح العدائية تجاه الدولة العثمانية، فخاف السلاطين والحكام العثمانيون من هذا الخطر، ولما كانت مدينة القدس تجمع بين المسلم والمسيحي واليهودي ومن كل الملل والطوائف، كانت التفرقة بينها أسرع من سائر البلاد، فدخلت الانقسامات في ميدان التربية والتعليم، عبر الكتب التي كانت توزعها المدارس الأجنبية وفيها الطعن بالإسلام، وألقاء الرعب في قلوب طلابها النصراري وإذا كان لابد من كلمة تعكس وجهة نظرنا في الآثار التي ترتبت على وجود المدارس لتتغيرهم من الدولة العثمانية.

الأجنبية في بلادنا، فلا حرج من القول أن هذه المدارس ينطبق عليها القول المأثور: "رب ضارة نافعة" ذلك أن نشاط الإرساليات الأجنبية قد أثار في أوساط المسؤولين من الحكام العثمانيين، الشعور بخطر الغزو الفكري والثقافي الأجنبي، وأيقظ فيهم الوعي، وحملهم على النزول إلى ساحة التعليم، وإنشاء المدارس على أسس عصرية جديدة، كي يساعدوا المواطنين على الاحتفاظ بشخصيتهم الفكرية الاصلية، واللاحق بركب المدنية الحديثة لمواجهة المستقبل، مزودين بالنقطة بأنفسهم والقدرة على التطور والعلم والإسراع في التصدي للمدارس الإرسالية، والإكثار من إنشاء المدارس الحكومية العثمانية، فأصدر السلطان عبد المجيد الأول سنة 1261هجرى/1845 ميلادي

خطاً همايونياً أكد فيه على الإصلاح وأنَّ إنشاء مدارس صالحة في أرجاء الإمبراطورية كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر<sup>47</sup>، وكف يد رجال الدين عن المدارس وجعلها خاضعا لإشراف الدولة، بعد أن حوّل المفتي إلى موظف حكومي، وهذا التدبير كان الخطوة الأولى نحو تسلم الدولة زمام التعليم كإحدى وظائفها الأساسية. وبعد أن تولى السلطان محمود الثاني الحكم قام بحركة إصلاحية واسعة في بنية الدولة وحياء المجتمع، وأقر بالدور الكبير لمؤسسة التعليم في هذه الإصلاحات، ورأى أنَّ التعليم بوضعه الحالي ليس بوسعه الاستجابة لمتطلبات الدولة فكان عليه أن يقوم بتحديث التعليم وإنشاء مدارس حديثة، وأنَّ خلاص الدولة مما تعانيه من التخلف لا يمكن تحقيقه إلا بتطوير التعليم وتوسيعه<sup>48</sup>. وهكذا أخذت الدولة بالتصدي لتغلغل المدارس الإرسالية الأجنبية في القدس، والحد من

انتشارها، واتبعت الدولة طريقتين للحد من تغلغلها:

أولاً: عرقلة المدارس الإرسالية بعدم إعطائها تراخيص ومراقبتها عن كثب.

ثانياً: الإكثار من المدارس الحكومية.

أولاً: على الرغم من إصدار الدولة العثمانية العديد من الفرمانات التي تطلب منهم بعدم فتح أي مدرسه الا بعد الحصول على إذن مسبق ( ترخيص) حسب البند المئة والتاسع والعشرون من قانون نظام المعارف العام<sup>49</sup>. ولكن على الرغم من تشدد الدولة بعدم إعطاء الإذن بفتح أي مدرسه الا بعد حصولها على ترخيص مسبق، نرى أن هذه الفرمانات لم تطبق فعلياً، حيث انتشرت هذه المدارس في أرجاء الدولة، وكان بعضها خافياً عن الدولة، حيث أنَّ بعض المدارس باشرت التعليم دون الحصول على ترخيص مسبق من الدولة<sup>50</sup>. لذلك عمدت الحكومة العثمانية

---

47 ) Bernard Lewis: The emergency of modern Turkey, London, Oxford, 1961, P:82.

48 ) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...، مرجع سابق، ص:16.

49 ) B.O.A: Y.EE, 112/6, P:36.

50 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-1.

إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى بلاد الشام امر التعليم في المناطق التي تحت ادارتهم العناية اللازمة، ومراقبة المدارس التي تفتح بدون اخذ ترخيص مسبق، فكان الولاة أيضاً حريصين كل الحرص على شان التعليم، فقد وجهوا عدة رسائل الى السلطات العثمانية يحذرونها من مغبة ترك ساحة التعليم للإرساليات التبشيرية، ومما جاء في إحدى هذه التقارير ما كتبه مدحت باشا عندما كان والياً على سورية ( كانت القدس ما زالت تابعة لولاية سورية)، قال فيه: "ومع سابق معرفتي بهذه البلاد<sup>51</sup>، فقد وجدت الحالة متغيرة عن ذي قبل. فقد صبغت أحوال الولاية (سورية) الاجتماعية والسياسية غير صبغتها الأولى، لأن الإنجليز والفرنسيين يبذلون مساعيهم منذ زمن لتقوية نفوذهم في هذه البلاد، فالأمريكان يريدون إعلان حمايتهم لجبل النصرية فيفتحون المدارس ويشوقون الأهالي لقبول الحماية الأمريكية، والألمان يرسلون مهاجرينهم إلى سواحل القدس لإسكانهم في القرى المجاورة"، خلاصة الكلام لمدحت باشا: " كل دولة تريد أن تضع يدها على قطعة من بر الشام، والخلل سائر في البلاد، وليس ثمة اسم للعلاج، وبعد فيم تبعض القساوسة والرهبان بنشر أفكارهم الهدامة، بدأت الرسائل تتوالى إلى وقام المستعمرون الذين أنشأوا المدارس في بر الشامة طالبين الاشتراك في اقتسام السلب<sup>52</sup> ورهبان السلطات العثمانية: إلى نظارة الخارجية الجبيلة بخصوص استخدام بعض راهبات ورهبان البروتستانت الاماكن التي يقيمون فيها التجمعات مع الأهالي ونشر أفكارهم الدينية وبث التلقينات المسيحية وافتتاح لبعض المكاتب بدون رخصة من الدولة يجب التحقيق في هذا الأمر بسرعة<sup>53</sup> .

وفي رسالة أخرى وجهت من مديرية المعارف في بيروت إلى السلطان تحذر فيها من ضياع أطفال المسلمين بانتسابهم إلى المدارس الأجنبية ومما جاء فيها: " حضرة السلطان صاحب العظمة كل الممالك الشامية التابعة لكم لها أهمية كبيرة بالنسبة للدولة العثمانية لذلك أكثر الإنكليز والأمريكان والفرنسيون من إنشاء المكاتب لهم، لذلك أردت أن أعرض على سيادتكم إنشاء

51 ( إشارة إلى أن مدحت باشا عمل ككاتب في ولاية سورية لأكثر من سنتين 1865م.

52 ( قدرتي قلعي: مدحت باشا أبو الدستور وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، بيروت، 1958، ط2، ص:78-79.

53 ) B.O.A: DH.TMIK, 244/12-1.

مكاتب إسلامية مماثلة لتعليم الطلاب المسلمين، من أجل إنفاذ اطفال المسلمين وبنات المسلمين من الذهاب الى المكاتب الأجنبية. وتقوم بعض المكاتب الأجنبية بتحريف بعض الكتب في مطابعهم<sup>54</sup>.

وقد وصلت بعض الرسائل إلى السلطات العثمانية تفيد أنّ المكاتب الأجنبية تمنع المسلمين من الذهاب إلى الصلاة: "إلى نظارة الداخلية الجلية حضرة السيد صاحب الدولة، بخصوص السماح للطلبة المسلمين الموجودين في المكاتب الأجنبية الذهاب الى الصلاة في المساجد كما يسمح للطلبة المسيحيين الذهاب إلى الكنائس ولا يضيق أحد عليهم في هذا الجانب<sup>55</sup>".

وعلى الرغم من تشدد الدولة العثمانية بعدم إعطاء الأذن بفتح أي مدرسه الا بعد حصولها على ترخيص مسبق، لكن نرى أن هذه الفرمانات لم تكن لتطبق فعلياً. وقد أرسلت الدولة إلى ولايتها في الشام بضرورة التأكد ومراقبة أي مكتب يفتح بدون رخصة<sup>56</sup>. لكن الدول الأوروبية لم تكن لتلتزم بهذه الفرمانات لذلك طلبت الدولة من ولايتها تشكيل لجان للتحقيق بخصوص فتح مدارس اجنبية بدون رخصة<sup>57</sup>.

حتى أنّ الدولة اخذت بالتضييق على المكاتب التي بحاجة إلى إصلاح وترميم، حيث أجبرتها على أخذ رخصة، إن كان لجهة التوسعة أو الترميم<sup>58</sup>.

وقد أمهلت الدولة العثمانية المكاتب الأجنبية التي فتحت قديماً وبدون رخصة مهلة زمنية لتسوية أوضاعها وإلا ستضطر إلى إقفال كل مكتب لا يعتمد بالسرعة القصوى الى الحصول على رخصة: " بخصوص فتح بعض المكاتب والمعابد في الممالك العثمانية بدون رخصة قررت

---

54 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 2/53.

55 ) B.O.A: DH.MKT, 2726/85-1.

56 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-3.

57 ) B.O.A: DH.TMIK.M, 244/12-4.

58 ) B.O.A: A.MKT.UM, 1831/24.

الحكومة تركهم فترة سماح 10 أشهر من أجل الحصول على رخصة<sup>59</sup>. ثم أصدرت الدولة قراراً آخر قلصت فيه فترة السماح بالحصول على رخصة: "بخصوص سماح نظارة الداخلية الجلييلة للمعابد والمكاتب التي فتحت بدون رخصة لمدة ثلاثة أشهر، وإذا لم يحصلوا على رخصة يتم إغلاقها<sup>60</sup>".

وعندما لم تلتزم المكاتب بفرمان الحصول على رخص، عمدت الدولة إلى مراقبة هذه المكاتب عن كثب، إذ عمدت نظارة المعارف إلى إنشاء نظام للتفتيش على هذه المكاتب، لتكون تحت أنظارها وقد جاء النظام من فصلين:  
**الفصل الأول:**

- ١- يرتبط التفتيش على المكاتب الأجنبية غير المسلمة بنظارة المعارف.
- ٢- يقدم المفتش على المكتب تقريراً للنظارة بما إطلع عليه وشاهده.
- ٣- يفتش في المواد التي يدرسها الطلاب ويقوم بالتحقيق في المشاكل إن وجدت، من ناحية التعليم أو الكتب الدراسية.
- ٤- التدريس والمعاملات الأجنبية و الديانات والمذاهب والملل كل أنظمتها تابعة للنظارة الجلييلة.
- ٥- يستفسر المفتش على المكاتب الأجنبية، و يجب المدير على أسئلته.

---

59 ) B.O.A: MF.MKT, 314/24-2.

60 ) B.O.A: MF.MKT, 144/44-1.

## الفصل الثاني:

١- كل من يريد فتح مكاتب أجنبية غير مسلمة في الدولة يقدم عريضة إلى نظارة المعارف الجلية.

٢- ممنوع قبول أي من المسلمين في المكاتب الأجنبية من أي عمر كان، ومن يجدونه يسلم إلى الشرطة.

٣- من يخالف من المكاتب الأجنبية غير المسلمة الدين الإسلامي والحقوق المقدسة والمشروعة وحضرة السلطان ويروج لأفكاره الفاسدة يعرض نفسه للمساءلة القانونية<sup>61</sup>.

ونظراً لأهمية نظام التفتيش، حرص السلطان ونظارة المعارف على التشدد في مراقبة هذه المكاتب، ومتابعتها عن كثب، أصدرت نظارة المعارف فرماناً طلبت بموجبه من جميع

المفتشين على المكاتب الأجنبية رفعت تقاريرها إلى حضرة السلطان وناظر المعارف مباشرة<sup>62</sup>. وعلى الرغم من سعي السلطان عبد الحميد الثاني التصدي لنشاطات المدارس الأجنبية

المعادية للدولة العثمانية، والعمل على تتي أبناء المسلمين من الدخول إليها، إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل، فذهب إلى إختيار طريق آخر حيث أصدر نظاماً سنة 1314 هجري/ 1896 ميلادي، وسع بموجبه صلاحيات مديري المعارف في الولايات لمراقبة المدارس الأجنبية، وأهم ما جاء فيه: «رابط المدارس الخاصة، أجنبية كانت أو غير إسلامية بالترخيص الرسمي».

٢- تدريس اللغة العثمانية في المدارس غير الإسلامية، على أن تكون إجبارية في المدارس الرشدية في بداية الامر وفي المدارس الابتدائية فيما بعد، ريثما يتوافر معلمين لتدريسها.

3- تصديق المناهج الدراسية والكتب من قبل مدرء المعارف في الولايات قبل اعتمادها في هذه المدارس.

61 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 1/63.

62 ) B.O.A: Y.PRK.MF, 3/29.

٤- تقديم تعهد من قبل مؤسسي المدارس الأجنبية على استحصال الموافقات الرسمية لتأسيسها، والتقدير بجميع الانظمة والتعليمات التي تضعها الدولة، وعدم عرقلة عمل المفتشين.

٥- توافر عدد كافٍ من التلاميذ من اتباع الطائفة غير الإسلامية التي تعتزم تأسيس مدرسة في منطقة من المناطق<sup>63</sup>.

وكما أسلفنا سابقاً كانت الإرساليات والمدارس الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة، عبر الكتب التي كانت توزعها هذه المدارس وفيها الطعن بالإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب طلابها النصارى لتفجيرهم من الدولة العثمانية، لذلك عمدت الدولة إلى إصدار فرمان إلى كافة ولاياتها في المشرق العربي، من أجل مراقبتها، لجهة بيع الكتب، والتحقق منها إن كانت تلائم توجهات الدولة:" إلى ولاية بيروت وحلب والموصل وديار بكر وأضنة وبغداد والبصرة والقدس الشريف: يجب اخذ الحذر وكامل الاحتياطات اللازمة من أجل منع الكتب الغير جائزة

#### فنياً التبريد في المدارس الحكومية:<sup>64</sup>

كانت مدينة القدس بمثابة مصدر قلق للدولة العثمانية لما لها من حساسية شديدة لدى الديانات السماوية الثلاث، حيث تسابقت الطوائف المحلية والدول الاجنبية لإفتتاح مؤسسات تعليمية فيها، مما دفع بالدولة العثمانية إلى بذل جهداً مضاعفاً لنشر المدارس للوقوف في وجه المؤسسات التبشيرية التي انتشرت بكثرة في لواء القدس. فقد تم استحداث العديد من المدارس في القدس وفي خليل الرحمن كما تم المباشرة بتأسيس مدارس في القرى<sup>65</sup>.

63 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1317هـ، ص:140-157.

64 ) B.O.A: DH.MKT, 173/47.

65 ) B.O.A: MF.MKT, 82/69.

## مديرية المعارف:

ونظراً لحساسية مدينة القدس لجهة التعليم مما يستلزم وجود موظفين لمعالجة الامور فوراً تم استحداث مديرية للمعارف سنة 1884 ميلادي، وتم تعيين أحمد أفندي كأول مدير للمعارف في القدس<sup>66</sup>. وقد اوردت سالنامه نظارة المعارف لسنة 1317 هجري و 1316 و 1321 هجري، أنّ مدير المعارف هو اسماعيل حقي<sup>67</sup>. اما لجان المعارف في أفضية القدس فكانت مؤلفة على النحو التالي: رئيس لجنة المعارف في يافا الشيخ إبراهيم أفندي، رئيس لجنة المعارف في غزة محمد سعيد أفندي، رئيس لجنة المعارف في خليل الرحمن موسى حموري أفندي، رئيس لجنة المعارف في الرملة محمد سليم أفندي<sup>68</sup>. وقد أشيع في القدس عن نية الدولة العثمانية عزم نظارة المعارف عن إلغاء مديريات المعارف في الألوية، لذلك ناشد متصرف القدس إستثناء اللواء من هذا القرار، وذلك لكثرة المؤسسات التعليمية الأجنبية فيها، واستجابت نظارة المعارف لنداء المتصرف<sup>69</sup>.  
**المدارس الابتدائية:**

جاء في قانون المعارف العام الصادر سنة 1286 هجري / 1869 ميلادي، حول إنشاء

المدارس الابتدائية في الولايات العثمانية:

- 1- سيكون في كل محل وفي كل قرية مكتب للصبيان (ابتدائي) وأيضاً سيكون مخصصاً للأطفال المسلمين وآخر للأطفال المسيحيين داخل القرى التي يكون سكانها مختلطين.
- 2- تتكفل جماعة الهيئة العمومية المتواجدة في المحلة والقرية بمصاريف الإنشاء والترميم وما يتعلق بالمعلمين.

---

66 ( فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...، مرجع سابق، ص:72.

67 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية للسنوات 1316-1317-1321 هـ، ص:1470، 1246، 827.

68 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1317 هـ، ص:727.

69 ) B.O.A: MF.Aly, 21/26.



٣- مدة الدراسة أربع سنوات.

٤- إجبارية التعليم بالنسبة للأناث يكون من سن السادسة حتى العاشرة، و بالنسبة للذكور من سن السابعة حتى الحادية عشر.

٥- في حال تغيب الطالب عن الدروس أو إنقطع، فإنّ مدير المدرسة مطالب بأخبار مختار المحلة، ليقوم هذا الأخير بأخبار ولي الأمر<sup>70</sup>.

ونظراً لحساسية مدينة القدس، طلب الصدر الأعظم من متصرف القدس تقصي وضع التعليم في المدينة سنة 1882 ميلادي، وكانت نتيجة التحقيق، أنّ هناك نقص كبير في عدد المدارس الحكومية، مما يفتح في المجال للمدارس الإسرائيلية بالتغلغل في المجتمع المقدسي، و نشر أفكارهم الهدامة، لذلك أصدر الصدر الأعظم أوامره إلى نظارة المعارف بضرورة استحداث مدارس جديدة في القدس وترميم القديم منها<sup>71</sup>. ولم يمر وقت طويل حتى تم في غضون سنة ونصف تأسيس مدرسة رشدية وست مدارس للذكور وثلاث مدارس للأناث في مدينة القدس وسبعين مدرسة في القرى و النواحي التابعة لها، وثلاثين مدرسة في قسبة الخليل وقراها وسبعة وعلى الرغم من قلة المدارس المقامة لأبناء المسلمين في القدس، إلا أنّ أتباع الديانات وأربعين مدرسة في غزة وقراها أي ما مجموعه 159 مدرسة ضمت 7760 مدرسة<sup>72</sup>.

الأخرى أسسوا في مركز اللواء وأفضيته وقراه عدد كبير من المدارس. وفي بعض الحالات أجبر قسم من اطفال المسلمين على التوجه إلى المدارس الأجنبية، الأمر الذي أدى إلى أن تكون

له محاذيره السياسية والدينية، وتعود أقدم المعلومات الإحصائية التي حصلنا عليها عن المدارس الابتدائية في لواء القدس إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي وتحديدًا سنة 1871 ميلادي، حيث كانت مدينة القدس تابعه لولاية سورية، ووفقاً لما ورد في

سالنامه ولاية سورية فإنّ أعداد المدارس الابتدائية و التلاميذ كانت على النحو التالي<sup>73</sup>:  
70 ) B.O.A: Y.EE, 112/6.

71 ) B.O.A: MF.MKT, 82/69.

72) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...، مرجع سابق، ص:168.

73) سالنامه ولاية سورية لسنة 1888 هـ، ج3، ص:150-168. وأيضاً

عدد الطلاب	عدد المدارس غير الإسلامية	عدد الطلاب	عدد المدارس	القضاء
1243	19	341	7	قضاء القدس
-	-	156	11	ناحية بني مزيد
-	-	214	11	ناحية بني مرة
-	-	122	7	ناحية بني مالك
-	-	60	5	ناحية بني حسن
-	-	635	11	ناحية وادية
-	-	248	18	ناحية حارات
-	-	183	23	ناحية البيرة
-	-	225	9	قضاء غزة
287	7	190	4	قضاء يافا
4	2	225	6	قضاء الرحمن

ولم يمض وقت طويل حتى تضاعفت أعداد المدارس الحكومية العثمانية في القدس، وذلك للوقوف في وجه المدارس الإرسالية التبشيرية وغير الإسلامية المحلية، وخصوصاً بعد وصول تقارير من متصرف القدس، بضرورة إكثار الدولة من فتح المدارس: "يسعى بطريك

الروم لجعل المنطقة (القدس) مسيحية ومحاولته استدراج اطفال المسلمين، لذلك يتمنى المتصرف بإسراع الدولة الى تأسيس مدارس حكومية<sup>74</sup>.

بدأت الدولة تأخذ على محمل الجد الغزو الفكري الذي تمارسه الإرساليات التبشيرية على الجيل الناشئ وخصوصاً على الأطفال المسلمين الذين إنتسبوا إلى هذه المدارس، في الوقت الذي أصدرت فيها الدولة قراراً بعدم قبول المسلمين في المدارس التبشيرية<sup>75</sup>. لذلك أصدر السلطان العثماني قراراً ينص على تأسيس 12مكتب ابتدائي في القدس وست مكاتب ابتدائية بقصبة خليل الرحمن، وأيضاً تأسيس مكتبتين ابتدائية للذكور والإناث بقصبة القدس. وأيضاً تأسيس مكاتب ابتدائية بقصبة يافا وغزة<sup>76</sup>. وفي جردة قامت بها مديرية المعارف في لواء القدس حول اهم الإنجازات التي قامت بها نظارة المعارف، كانت على النحو التالي:

- 1- سيتم تأسيس مكتبتين للإناث في مراكز القدس الشريف ويافا، وتجاوز عدد الطلاب 150 طالبة.
- 2- تم تأسيس 21 مكتب ابتدائي في مركز خليل الرحمن وفي عين كارم التابعة للقدس وفي العديد من القرى، وكان يوجد مكتبتين في الخليل بلغ عددهم 80 مكتب.
- 3- تم البدء في إنشاء مكتب ابتدائي يسمى "درس خانة" في قرية قبان الواقعة في طريق القدس- يافا ولكن لم ينته بعد.
- 4- تم تعميم مكتب الذكور الابتدائي الموجود في الرملة ومكتب الإناث الابتدائي في القدس<sup>77</sup>.

---

74 ) B.O.A: DH.ID, 34/18-3.

75 ) B.O.A: MF.MKT, 309/6-3.

76 ) B.O.A: MF.MKT, 82/69.

77 ) B.O.A: DH.UMVM, 143/21-1-1.

فقد شهدت القدس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تزايداً لافتاً في عدد المدارس الحكومية، فطبقاً لما ورد في إحدى الوثائق، وجاء فيها<sup>78</sup>:

أعداد المدارس				أعداد التلاميذ				
غير إسلامية		إسلامية		غير مسلمين		مسلمين		
إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	
6	8	3	7	944	299	250	650	قصة القدس
4	1	0	85	396	16	380	2400	قرى القدس
0	0	1	7	0	0	30	668	قصة الخليل
0	0	0	33	0	0	0	1388	قرى الخليل
0	0	1	8	0	0	130	748	قصة غزة
0	0	0	50	0	0	0	1637	قرى غزة
5	10	1	9	218	489	85	639	قصة يافا
0	0	2	46	0	0	80	1590	قرى يافا
15	19	8	245	1558	804	955	9720	المجموع

ووفقاً لما ورد في الدليل الإحصائي لنظارة المعارف العثمانية للسنة الدراسية -1913

1914 ميلادي، فإن عدد المدارس الابتدائية بلغ 30 مدرسة، 25 منها للذكور وخمسة للإناث<sup>79</sup>.

الأمر الذي يتناقض مع ما ذكر قبلاً من إحصائيات لسنة 1311 هجري. لأنه من المفترض أن يكون عدد المدارس أكثر من ذلك، لأن الدولة زادت من عدد المدارس كثيراً في لواء القدس.

78 ) B.O.A: MF.IST, 1/102 + B.O.A: MF.IST, 1/413.

79 ) معارف نظارتي عمومية إحصائيات قلمي: 1329-1330 هـ، ص:1.

فإذا ما نظرنا إلى نفس الأحصاءات نجد أن المدارس الأجنبية وغير الإسلامية فاقت المدارس الحكومية. صحيح أنّ القدس كانت من أكثر المدن العثمانية اهتماماً من قبل الدول الأوروبية، حيث سارعت هذه الدول إلى تأسيس العديد من المدارس، فاق ما أسسته في أي مدينة أخرى. حيث سخرت لها إمكانيات مادية كبيرة، لكن ذلك لا يبرر العدد الضئيل من المدارس الحكومية الواردة في إحصائيات 1913-1914 ميلادي، حيث بلغت المدارس الحكومية 30 مدرسة فيما بلغت المدارس غير الحكومية 290 مدرسة<sup>80</sup>.

المكاتب الرشدية:

في عهد السلطان عبد المجيد الأول (1839- 1861 ميلادي) ازدادت الحاجة إلى إجراء إصلاحات جذرية في المدارس الابتدائية بعد أن ثبت عدم قدرتها على إعداد تلاميذ للمدارس الإعدادية لوجود فجوة كبيرة بين المواد التي تدرس في كلتا المرحلتين، فنقرر تأسيس مدارس أعلى مستوى من المدارس الابتدائية، تحت اسم "مدارس الصفوف الثانية" وعلى الرغم من مصادقه السلطان على القرار، إلا أن السلطان لم يستحسن تسميتها بهذا الاسم، وطلب تغيير الاسم إلى المدارس الرشدية. وبوشر بإفتتاح هذا النوع من المدارس في الجزء الأوروبي من الدولة في بدايتها، ثم انتشرت في كافة الولايات، وحددت مدة الدراسة في المدارس الرشدية في أول الأمر بأربع سنوات، ثم زيدت إلى ست سنوات في سنة 1863 ميلادي/ 1286 هجري/ 1869 ميلادي، والشروط الأساسية للانتساب لهذه المدارس وافتحتها.

---

80 ) معارف نظارتي عمومية إحصائيات قلمي: 1329-1330هـ، ص:1.  
81 ) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، مرجع سابق، ص:233.  
82 ) B.O.A: Y.EE, 112/6.

١- في حال تجاوز عدد سكان القرية من المسيحيين خمسمائة وكذلك بالنسبة للمسلمين يتم استحداث مكتب رشدية لأطفال المسلمين وآخر لأطفال المسيحيين.

٢- تتكفل إدارة المعارف بالولاية بمصاريف إنشاء وترميم و تجهيز مكاتب الرشدية والمعلمين.

٣- مدة الدراسة في المكاتب الرشدية أربع سنوات.

٤- يتم استحداث مكتب رشدية للإناث من أبناء المسلمين وآخر للمسيحيين، في حال كان سكان المدينة مختلطين.

٥- يجب أن يكون مدير مكاتب الأنثاء إمراة ويجوز تعيين رجل للإدارة في حال عدم وجود إمراة.

٦- مدة الدراسة في المكاتب الرشدية للإناث أربع سنوات.

٧- يتم قبول طلاب المدارس الابتدائية في المكاتب الرشدية شرط أن يكونوا حاصلين على شهادة ختم الدروس، وإذ لم يكونوا حاصلين على الشهادة يخضعون إلا امتحان.

وقد عرفت القدس وأقضيتها ثلاثة مكاتب رشدية حسب سالنامه 1316 هجري<sup>83</sup>:

١- مكتب يافا الرشدي:

- معلم أول: عبد الرحمن ثريا أفندي.

- معلم ثاني: محمد راتب أفندي.

---

83 ( سالنامه نظارة المعارف العمومية لسنة 1316هـ، ص:1247-1247.

- معلم خط: محمد فوزي أفندي.

- طلبية: عدد 39.

- خدم: واحد.

٢- مكتب غزة الرشدي:

- معلم أول: محمد شوكت أفندي.

- معلم ثاني: عبد اللطيف أفندي.

- عدد الطلبة: 45.

- خدم: واحد.

٣- مكتبة خليل الرحمن الرشدي:

- معلم أول والخط شريف ذهني أفندي.

- عدد الطلبة 80 .

- خدم: واحد.

أما الوثائق العثمانية فقد أمدتنا بأربع مكاتب رشدية<sup>84</sup>:

١- المقدس: عدد طلاب المسلمين ذكور: 100 عدد المكاتب: 1

٢- الجليل: عدد طلاب المسلمين ذكور: 30 عدد المكاتب: 1

٣- غزة: عدد طلاب المسلمين ذكور: 35 عدد المكاتب: 1

٤- في يافة: عدد طلاب المسلمين ذكور: 63 عدد المكاتب: 1

### ٣- المكاتب الإعدادية:

في سنة 1869 ميلادي شهدت المدارس الرشدية تزايداً أكبر في أعداد الطلاب، مما إنعكس على إعداد المدارس إزدیاداً كبيراً، فازدادت الحاجة إلى تأسيس مدارس أعلى مستوى من الرشدية لمواصلة خريجها تعليمهم فيها<sup>85</sup>. وقد جاء في قانون نظام المعارف العام الصادر

1286 هجري/ 1869 ميلادي، بالنسبة لتأسيس المكاتب الإعدادية ما يلي:

١- يتم العمل بالنظام الدراسة المختلطة بالمكاتب الإعدادية بين أبناء المسلمين وغير المسلمين من الطلبة.

٢- في حال تجاوز عدد منازل القصبة الألف يستوجب إنشاء مكتب إعدادي.

٣- تقوم خزينة إدارة المعارف بالولاية بتسوية مصاريف الإنشاء والترميم والتجهيزات للمكتب والمعلمين.

٤- مدة الدراسة في المكاتب الإعدادية ثلاث سنوات.

---

85 (فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...، مرجع سابق، ص:289).



لم تسجّل لنا السالنامات والوثائق العثمانية سوى مكتب إعدادي واحد. بالنسبة لسالنامة نظارة المعارف لسنة 1316هـ<sup>86</sup>. كان يتألف المكتب من الهيئة التعليمية وأعداد الطلاب على الشكل التالي:

- 1- المدير: محمد فائق أفندي.
- 2- معلم التركي والفارسي: مصطفى فهمي أفندي.
- 3- معلم الدين والعربي: أبو السعود زاده وطاهر أفندي.
- 4- معلم الخط: حسن زاده سعيد أفندي.
- 5- معلم الخط التركي والحساب والجغرافيا: بديري زاده موسى أفندي.
- 6- معلم التاريخ: عبده أفندي.
- 7- معلم الرسم: جركس علي أفندي.
- 8- حارس: نمر زاده عبد الكريم أفندي.
- 9- خدم: عدد 1.

عدد الطلبة: مسلم 80 - غير مسلم: 1 = المجموع: 81

وبحسب سالنامة نظارة المعارف لسنة 1321هـ<sup>87</sup>، فقد إزداد عدد الطلاب بشكل لافت:

- 1- المدير: خالد أفندي.
- 2- معلم الخط العربي: شيخ طاهر أفندي.

---

86 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1316هـ، ص: 1246-1247.

87 ( سالنامة نظارة المعارف العمومية لسنة 1321هـ، ص: 727-728.

- 3- معلم حسن الخط: سعيد أفندي.  
 4- معلم التاريخ: إسحق أفندي.  
 5- معلم الجغرافيا: رشدي أفندي.  
 6- العلوم الدينية: شيخ توفيق أفندي.

عدد الطلبة لسنة 1318-1319هـ: مسلم: 123، غير مسلم صفر = المجموع 123، خدم: 2

أما عدد الطلاب للعام 1337هـ<sup>88</sup> بحسب صفوفهم فكانت على النحو التالي:

المجموع	الصف الخامس	الصف الرابع	الصف الثالث	الصف الثاني	الصف الأول
156	17	20	31	40	48

#### ٤- المدرسة السلطانية في القدس:

هي المدارس التي تلي المرحلة الإعدادية مباشرة من حيث المستوى الدراسي، بدئاً بتأسيسها في سنة 1868 ميلادي في استنبول، لتكون بمثابة مرحلة تحضيرية للدخول إلى المدارس العليا (الكليات)، وفتحت المدرسة أبوابها للمسلمين وغير المسلمين و نظراً للإقبال الكثيف عليها فكرت الدولة بإنشاء مثل هذه المدرسة في الولايات العربية<sup>89</sup>. ومما جاء في نظام المعارف العام

الصادر 1286 هجري/ 1869م،<sup>90</sup> بالنسبة لنظام المدارس السلطانية ما يلي:

١- يستوجب إيجاد مكتب سلطاني في كل مدينة مركز الولاية.

٢- تعود تكاليف إنشاء المكاتب السلطانية الى خزينة الدولة.

88 ) B.O.A: MF.IST, 12/122

89 ) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...، مرجع سابق، ص:349.

90 ) B.O.A: Y.EE, 112/6.

٣- تتكون المكاتب السلطانية من نظامين ليلي ونهاري.

أسست المدرسة السلطانية في القدس، مكان المدرسة الإعدادية في القدس سنة 1913، وكانت الدراسة فيها تنقسم إلى قسمين: القسم الابتدائي والدراسة فيها مجانية، والقسم المتقدم والدراسة فيه بأجور، إلا أن الدولة أعفت طلاب العوائل الفقيرة من هذه الأجور<sup>91</sup>.

وبحسب الجدول التالي لعدد الطلاب يظهر الإقبال الشديد على المدرسة السلطانية لعام

1333هـ<sup>92</sup>:

المجموع	نهاري	ليلي	الصف
25	25	-	الأول
32	29	3	الثاني
41	37	4	الثالث
36	22	14	الرابع
22	16	6	الخامس
156	129	27	مجموع القسم الأول
17	9	8	السادس
13	4	9	السابع
5	3	2	الثامن
4	3	1	التاسع
39	19	20	الدورة الأولى
1	1	-	الفنون الحادي عشر
1	1	-	الدورة الثانية فنون
196	149	47	المجموع العام

91 ( فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...، مرجع سابق، ص:376 )  
92 ) B.O.A: MF.IST, 39/418.

## 5- دار الأيتام في القدس أو مدرسة الصنائع:

كانت الدولة العثمانية حريصة على كل ما شأنه الحفاظ على أبناء المسلمين وخصوصاً المشردين والأيتام، وعملت جاهدةً على تني الأهلالي عدم إدخال أولادهم في المدارس الأجنبية في القدس، وعملت جاهدةً على جمع الأولاد المشردين والأيتام في دور خاصة بهم، وكانت الدولة تخشى من قيام دور الأيتام الأجنبية باستقطاب الأيتام فيها. ففي تقرير رفعه مدير المعارف في القدس يحذر فيه السلطات العثمانية من مغبة ترك الساحة للدول الاجنبية بإقامة دور للأيتام، حتى لا يذهب الأطفال المسلمين إليها والسعي إلى تغيير دينهم ومذاهبهم. ففي دار الصنائع التي أقاموها في القدس، قاموا بإطعام الاطفال وإكسائهم ومداواة المرضى مجاناً ودخل فيها بعض أطفال المسلمين. و نتيجة لتداعيات هذا الأمر أوصت مديريةة معارف القدس بإقامة مدرسة للصنائع يتم تعليمهم بعض الحرف الرائجة، كالحداة وصناعة الأحذية والخياطة، وتكون مرتبطة بوزارة المعارف. وتكون في مستوى المدارس الابتدائية وجعل مدة الدراسة فيها ست سنوات و تسميتها بالمدرسة الحميدية الخاصة بالأيتام<sup>93</sup>. وإتخذ مكان مدرسة الصنائع مكان مكتب الأناث

6- دار المعلمين في القدس:

في القدس<sup>94</sup>.

تأسست دار المعلمين في القدس عام 1906 ميلادي، ولكنها ظلت تعاني من بعض الصعوبات، نظراً للإحتياجات التي تحتاجها أي دار للمعلمين، لكنها أغلقت أول الأمر ثم افتتحت عام 1914 ميلادي، واتخذت من مبنى المدرسة الإعدادية في القدس مكاناً لها، وهي كانت عبارة عن دار معلمين ابتدائي ليلي، وإتخذ فيها مكان لسكن الطلاب حيث بلغ عددالطلاب 29 طالب، ومن المتوقع أن يصبح العدد قرابة 200 طالب<sup>95</sup>.

93 ) B.O.A: MF.MKT, 175/169.

94 ) B.O.A: MF.MKT, 218/18.

95 ) B.O.A: DH.UMVM, 143/21-1.

## الخاتمة

يمكننا القول بعد كل ما تقدم أن القدس شهدت تنافساً شديداً بين الدول الغربية في إقامة المؤسسات التعليمية وشمل هذا التنافس كذلك الطوائف غير الإسلامية ومن ضمنهم اليهود. وكانت الدولة العثمانية تنظر إلى المؤسسات التي أقامتها هذه الدول و بعض الطوائف الدينية بعين الريبة والقلق. وكانت محقة في نظرتها، لأن هذه الدول كانت تسخر كل هذه المؤسسات لتنفيذ مخططاتها في المدينة وتنفث سمومها بين الأهالي والدولة العثمانية على حد سواء. ولم يكن بوسع الدولة العثمانية التصدي لهذه المؤسسات بالشكل اللازم، لأن مؤسسيها كانوا يستغلون الامتيازات الممنوحة للأجانب وما ورد في بنود فرماني التنظيمات والإصلاحات. ولهذا اضطرت إلى مواجهة هذه المؤسسات بمؤسسات أقامتها هي وكانت تعول على الأهالي، لأنها رأت أن تعليمهم وتنقيفهم سيجعلهم أكثر وعياً وإدراكاً لمعرفة مخططات الأجانب و مواجهتها، ولكن الإمكانيات المادية التي كانت تمتلكها الدولة لم تكون كافية لإشغال محطاتهم. كافيأً قياساً على عدد المدارس الإرسالية التبشيرية. فالمدارس التي أقيمت لا تلبّي حاجات السكان. وأعتقد أن هناك أسباب كثيرة ومجموعة وقعت حائلاً أمام إنتشار التعليم الحكومي في القدس، أهمها:

- 1- إن الدولة العثمانية ركّزت جهودها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الناحيتين السياسية والدينية، والسبب في ذلك محاولة درء خطر اليهود المتكرر إلى القدس.
- 2- عدم تعاون الأهالي بشكل جدّي في إنشاء المدارس، الذي يقع على كاهلها بناء المدارس حسب القوانين العثمانية.
- 3- كثرة المدارس الدينية الإسلامية، والتي تهتم بتعليم المسلمين القرآن الكريم، وهذا ما كان أفضل ما يريه الأهّل تعلّم أبنائهم تلاوة القرآن الكريم.
- 4- ضعف الإمكانيات المادية لنظارة المعارف.
- 5- كثرة المدارس الإرسالية والمسيحية الأهلية.

لملاحق



دست‌نویست فایده  
عبدالله بن محمد  
تحریر فی شعبه  
سنه  
۹۹۷

معارف عمومی نظر رحید بن

خلاصه

دوینو انتم حقیقہ  
وجوب یکدیگر است این همه اوستاد  
مطلبنا جبه و فرصله معاملتند که قور و کیف لوس امور معارفی ساز الوبه منقله اشرفیه قطعاً فیست اولیست  
بر هیوه ولایتیست معاملتند رهاکیز و صلور بوضوح و تینم تقیر در جبهه این کینده بود معارف میری کور است  
سنه و میجاز بر سه اول تا سیار است - نیاه عیو لئ معاملت معارف میری کینده بقوه عطفه نقه - حیدر بخ برتو - از  
قد استیظا لوسنک ساز الوبه قیاس اینست در الحقیقه لئ معارف میری کینده بقوه عطفه نقه - حیدر بخ برتو - از  
جهت معوضت نیاه قور لوسنک اشتیاق است انتم - ملاذق نقه - نیاه کینه و عظیم زیند سرو ساد و فرستاده کور  
لایحه  
۱۹۱۰



MF. ALY 21/26

MF.ALY.00021

وثیقه من متصرفیه القدس الی نظاره المعارف العمومیة تطلب منها معامله لواء القدس غیر  
الألویة العربیة الباقیة بسبب كثرة المدارس التبشیریة الإرسالیة.





فائز في سنة ١٣٠٥ هـ

ملاحظات	مكة المكرمة						مكة المكرمة						مكة المكرمة					
	عدد تلاميذ		عدد تلاميذ		عدد تلاميذ		عدد تلاميذ		عدد تلاميذ		عدد تلاميذ		عدد تلاميذ		عدد تلاميذ			
	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر	سنة	شهر		
	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١	١٣٠٥	١		
	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢	١٣٠٥	٢		
	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣	١٣٠٥	٣		
	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤	١٣٠٥	٤		
	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥	١٣٠٥	٥		
	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦	١٣٠٥	٦		
	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧	١٣٠٥	٧		
	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨	١٣٠٥	٨		
	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩	١٣٠٥	٩		
	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠	١٣٠٥	١٠		
	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١	١٣٠٥	١١		
	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢	١٣٠٥	١٢		
	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣	١٣٠٥	١٣		
	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤	١٣٠٥	١٤		
	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥	١٣٠٥	١٥		
	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦	١٣٠٥	١٦		
	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧	١٣٠٥	١٧		
	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨	١٣٠٥	١٨		
	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩	١٣٠٥	١٩		
	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠	١٣٠٥	٢٠		

١٣٠٥

MF.IST: 1\413

وثيقة تبين أعداد المدارس الابتدائية والرشدية والعالية في لواء القدس.



المبحث السادس:

"التاريخ الإقتصادي لولاية بيروت 1887-

1918م"



شكّلت "ولاية بيروت" منذ أواخر القرن التاسع عشر، جزءاً إدارياً مهماً من أجزاء السلطنة العثمانية، والتي صنّفقتها مع ولايات الدرجة الأولى من ولاياتها، ولم يكن هذا التصنيف مسألة شكلية، فهو ينبع من عدّة إعتبارات:

أولها: أن الولاية قد اشتملت على جزء أساسي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، دارت عليه صراعات تاريخية وخلفت نتائج بالغة الأهمية في تركيبه البشري المتعدد الأديان والطوائف والمذاهب.

ثانيها: أن هذا الجزء قد شكّل حلقة وصل بين حركة التجارة الدولية والداخل السوري، في وقت كانت فيه السفينة وسيلة النقل الأساسية بين هذا الساحل وبلاد ما وراء البحر، وشكّلت مدن هذا الداخل محطات لقوافل التجارة البرية الآتية من جهات "إيران" في الشرق وشبه الجزيرة العربية" في الجنوب. لذلك كانت مرافئ هذه الولاية معبراً للبضائع الأوروبية باتجاه الداخل، ومخرجاً لمواد التجارة الخارجية إلى مختلف أنحاء العالم عبر البحار.

ثالثها: هو أن هذا الموقع وبهذه الوظيفة، قد تقاطرت إليه أعداد كبيرة من تجار مختلف القوى الدولية خلال مرحلة طويلة من الحكم العثماني، حتّى باتوا في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر يشكلون فيه ثقلًا تجارياً واجتماعياً ومالياً، ونتيجة ما استجد على السلطنة، من تطورات سياسية وعسكرية في هذه الفترة، كان هذا الجزء عرضة لصراع المخططات الدولية، التي إنغمس فيها هؤلاء التجار لتحويل ثقلهم الإقتصادي إلى ثقل سياسي يخدم تواصل مصالحهم ومصالح الدول التي ينتمون إليها. مواجهة هذه المخططات، بإعتماد وتنظيم إداري كان في صلب خطتها التنظيمية والإدارية التي التزمت بها أمام ممثلي القوى الدولية عام 1839م، وفي الوقت نفسه كانت محاولة منها للحد من التدخلات الأجنبية، "فنظام تشكيل الولايات الصادر عام 1839م، جعل سورية وفلسطين ولايتين كبيرتين هما: "ولاية حلب" في الشمال ومركزها مدينة "حلب"، و"ولاية سورية" في الجنوب ومركزها مدينة "دمشق".

لقد أرادت السلطنة من خلال التقسيم الإداري الجديد لعام 1864م أن تمسك بحركة التجارة الناشطة التي يسيطر عليها التجار الأجانب، وأن تجعلهم تحت رحمة الإدارتين المركزيتين في حلب ودمشق، مما يتعارض مع مصلحة التطورات الاقتصادية الجارية على الساحل، التي تحتاج إلى السرعة في حركة المسؤولين، ممن يحملون صلاحية الحل والرباط بشأنها خاصة أن مصلحة التجار كانت تقتضي أن يكون مركز هؤلاء المسؤولين قريباً منهم، كي

لا يتكبدوا مصاريف إضافية للإنتقال بين الساحل ومركز القرار، ليأخذوا موافقتهم على معاملاتهم التجارية.

لقد تجاهل هذا التقسيم الأهميّة التي أصبحت عليها مدينة بيروت، كما تجاهل وضع المدن الساحلية الأخرى التي كانت فيما مضى مراكز إيلات "كطرابلس الشام"، و"صيدا"، و"عكا". لذلك إعتبرت القوى الدولية وخاصة فرنسا، أن هذا الإجراء الإداري هو لإعاقه حركة تطور المصالح الدولية المتكونة على الساحل. فهي مصالح تستحيل إدارتها من دمشق وحلب. وإقترحت على السلطنة أن تكون مدينة بيروت مركزاً لولاية تمتد من "اللاذقية" شمالاً إلى "حيفا" جنوباً، بعد أن أنشأت متصرفيتي "جبل لبنان" و"القدس الشريف". وطلبت أن تجري التعديلات المطلوبة<sup>1</sup>. وخصوصاً أن الدولة العثمانية كانت تنظر إلى بيروت على أن الهيمنة فيها للمسيحيين وخصوصاً الموارنة. لذلك خافت من أن ينعكس هذا الأمر على الإمساك بالحياة الاقتصادية والتجارة الدولية، يدعمهم بذلك القوى الدولية وخصوصاً فرنسا<sup>2</sup>. استمر الصراع حول هذه المسألة خفياً تارةً وعلنياً تارةً أخرى بين مسؤولي السلطنة العثمانية من جهة وتجار بيروت من جهة أخرى الذين يدعمهم تجار القوى الدولية. منذ العام 1865م حتى العام 1887م حين فرض تطور النشاط التجاري وتعاضم النفوذ الأجنبي في بيروت ومنطقة الساحل قناعات جديدة على مسؤولي السلطنة، دفعهم إلى إنشاء ولاية بيروت<sup>3</sup>. وفي السادس من ربيع الآخر 1305 هـ \ 1887م وقّع مجلس مخصوص قرار إنشاء "ولاية بيروت" وضمت الألوية التالية: بيروت، عكا، البلقاء، طرابلس الشام، واللاذقية. وبعد يومين من إتخاذ القرار، أصدر السلطان إرادته السنيّة في 8 ربيع الأول 1305هـ، بتعيين "علي باشا" والياً على بيروت<sup>4</sup>.

ينبع إنشاء ولاية بيروت من عدّة إعتبرات: إزدياد أهميّة بيروت وتعاضم النفوذ الأجنبي فيها، للوقوف في وجه النفوذ الأجنبي والتقليل من شأنه وأسبابه، وإتساع ولاية سورية، وإتخاذ ولايتها مدينة دمشق مركزاً لهم، الأمر الذي يجعل بيروت دون أهميتها.

1 ) B.O.A: I.DH, 1063/83417.

2 ) Ibid:

3 ) B.O.A: I.DH, 1063/83417.

4 ) سالنامه ولاية بيروت لعام 1317هـ، دفعة أولى، ص: 26. وسالنامه ولاية بيروت لعام 1318هـ، دفعة ثانية، ص: 65.

## تعاضم دور بيروت الاقتصادي:

كان التجار الفرنسيون خلال الحكم العثماني، قد جعلوا من مدينة صيدا مركزاً تجارياً هاماً، على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. وقد شملت دائرة نشاطهم سورية وفلسطين. وبهم ارتبطت تجارة مدن: دمشق، بيروت، صور، عكا، الرامة، غزة ويافا<sup>5</sup>. وقد شكّل التجار الفرنسيون عماد حركته، حيث بلغ عدد بيوتهم التجارية أربعة وثلاثين بيتاً. منها سبعة عشر بيتاً في صيدا، ثلاثة بيوت في الرامة، ثلاثة عشر بيتاً في عكا، وبيتاً واحداً في يافا، وإلى جانب هذه البيوت، فقد وجد عدد كبير من الإرساليات الكاثوليكية المتمركزة في مدينة صيدا<sup>6</sup>. وكان هذا المركز قد تحول بالنسبة للفرنسيين في أواخر القرن السابع عشر إلى واحد من مراكزهم الخمسة الأساسية الكبرى في شرق المتوسط المصنّفة في المرتبة الأولى. وبعد الخلاف الذي وقع بين الأمير يوسف الشهابي (1770-1789م)، أمير جبل لبنان وأحمد باشا الجزائر (1775-1804م) والي صيدا، كان الفرنسيون أحد أطرافه<sup>7</sup>. والتضييق الذي كان يتعرّض له التجار من قبل الولاة بسبب الإمتيازات الأجنبية، وإحتكارهم المواد التجارية وخلافاتهم مع تجار صيدا. كل ذلك أدى إلى طرد التجار الفرنسيين من صيدا وعكا. وهكذا أخذ دورهما يتراجع كمركز للتجارة الدولية<sup>8</sup>.

عمل التجار الفرنسيون على نقل مركز تجارتهم، من صيدا إلى بيروت، وقد جاء هذا الانتقال، بعد أن إقتنعوا باستحالة عودة الوضع كما كان إلى صيدا. وبدأ الفرنسيون يعملون على تركيز تجارتهم في ميناء بيروت تمهيداً لفضه على السلطنة العثمانية، وعلى مسؤوليهم في الوقت المناسب. فاعتمدوا ميناءها بشكل غير شرعي يهربون منه وإليه بضائعهم. وأخذت أكثرية

---

5 ) Adel Ismail: "Documents diplomatiques et consulaires relatives à l'histoire du liban et du pays de proche-orient du XVIIème à nos jours", Beyrouth 1978-1995, Tome 1, Lettre no. 82, P:271.

6 ) Ibid: Tome 1, Lettre no. 87, PP:293-294.

7 ) Ibid: Tome 4, Lettre no. 9, PP:48-50.

8 ) Ibid: Tome 4, Lettre no. 11, PP:53-54.



السفن الفرنسية المتجهة إلى سوريا ترسو في هذا الميناء. وقد حاول الجزائر أن يمنع هذا التوجّه غير أن محاولته باءت بالفشل<sup>9</sup>.

أخذ التحول التجاري يشق طريقه إلى بيروت، واستطاع التجار الفرنسيين في فترة قصيرة، أن يحققوا نتائج هامة، وباتت تجارة بيروت أهم من تلك التي في صيدا وعكا لسببين: الأول: أن التجارة في صيدا وعكا بقيت في يد الباشا، فهو الذي يبيع ويشترى، في حين أن التاجر في بيروت، قد استطاع أن يتخلص من هذا الاحتكار، وأن يتعامل مع من يشاء. الثاني: أن تجار بيروت كانوا الأقوى، لأنهم أغنياء قادرين على التحمّل أكثر من الذين بقوا في صيدا وعكا<sup>10</sup>.

وفي الوقت نفسه قدّم "Martin - مارتن" القنصل الفرنسي في صيدا إقتراحاً إلى المسؤولين الفرنسيين بضرورة نقل مركز القنصلية من صيدا إلى بيروت لأن الفائدة ستكون أعم وأكبر. إن تزويد بيروت بمركز قنصل فرنسي، وقبله بمركز قنصل إنكليزي، وسردينية التي أرسلت إلى الشرق الأوسط عمالاً وقناصل لأول مرة، قد ثبتت قنصلها، الذي شملت صلاحياته كل الشاطئ السوري في بيروت، وتوسكاته، ذات التجارة الواسعة في بحار المتوسط، قد أرسلت قنصلاً إلى هذه المدينة، وأرسلت كل القوى الدولية قناصل لها إلى بيروت. كل ذلك أعطاهم زخماً دولياً مهماً. وفي عام 1827م، كان يوجد فيها أربعة وثلاثون بيتاً تجارياً، من كبار بيوتات التجار الدوليين والمحليين. وقد توزّع هؤلاء التجار على الشكل التالي: خمسة تجار من المسلمين، خمسة عشر تاجراً من المسيحيين، ستة تجار من الفرنسيين، أربعة تجار من النمساويين، تاجران من الإنكليز، تاجر روسي وتاجر سرديني. وبين هذا العدد كان يوجد خمسة عشر تاجراً من ذوي التجارة الواسعة منهم خمسة تجار مسيحيين، اثنتان فرنسيان، اثنتان نمساويين وواحد روسي<sup>11</sup>. قنصل يتبع القناصل يتم بشكل مدروس على هذا الساحل، فالتجار في المدن الساحلية باتوا يعقدون إجتماعات فيما بينهم

9) محمد كرد علي: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1403هـ/1983م، الجزء الثالث، ص:9.

10) Adel Ismail: op.lit, tome 3, Lettre no. 44, PP:134-136.

11) Adel Ismail: Tome 1, Lettre no. 48, PP:184-200.

للتشاور والاتفاق والتنسيق والتنفيذ، ويرفضون ويقترحون. وجعلت بيروت وحلب أولى المحطات لبريد القناصل بين مدن الساحل.

### الوضع الزراعي:

أخضعت السلطنة العثمانية الأراضي الزراعية لعدّة أشكال من الضرائب. ولذلك اضطرت إلى إجراء إحصاءات لقطع الأراضي المزروعة ومساحتها وأماكن توزيعها على الدوائر الإدارية التابعة لها. وقد بلغ عدد القطع الزراعية في ولاية بيروت عام 1298هـ 601248 قطعة، بلغت مساحتها 7603339 دونماً، وتوزعت على قرى سناجق الولاية كما يلي: سنجق طرابلس الشام 155042 قطعة ومساحتها 775732 دونماً تملكها 335 قرية، سنجق طرابلس الشام 155042 قطعة ومساحتها 1406575 دونماً تملكها 932 قرية، سنجق البلقاء 125813 قطعة مساحتها 1735968 دونماً تملكها 253 قرية<sup>12</sup>.  
أهم المنتجات الزراعية:

شكّلت الزراعة والعمل الزراعي، مورداً أساسياً لسكان ولاية بيروت بمختلف طبقاتهم الاجتماعية، فكانت مورد الفلاح المنتج، والتاجر السمسار، والخزينة. فقد اقتسم هؤلاء الحاصل الزراعي الناتج عن جهد واحد، هو جهد الفلاح بوسائله البدائية.

صحيح أن السلطنة عملت على تشجيع الزراعة وتنويع محاصيلها، فأصدرت في 26 رجب 1287هـ تعليمات، من أجل تشجيع زراعة القطن، فأعفت الآلات المستوردة من الرسم الجمركي، وأصدرت في 29 ذي الحجة 1278هـ نظام إعفاء غراس الزيتون المزروعة حديثاً من الأثمار لمدة ثلاث سنوات إعتباراً من بدء الإنتاج، ويتألف هذا النظام من عشر مواد. وأصدرت تعليمات تختص بوظائف مديري الزراعة في 17 شعبان 1280هـ، وقد تضمنت هذه التعليمات كيفية تعيين مديري الزراعة، وحددت لهم مهامهم ودورهم<sup>13</sup>. وفي محرّم 1279م، أصدرت "نظام إعفاء غراس التوت المزروعة حديثاً من العشر لمدة ثلاث سنوات، وهو يتألف من ثمان مواد. غير أن هذا الإعفاء كان مشروطاً بغاية زراعة هذه الغراس وشروط زراعتها<sup>14</sup>. وأسست 12 ( سالنامه ولاية سورية لعام 1298هـ، دفعة 13، ص:256. 13 ( الدستور العثماني: ترجمة نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مجلدين، المطبعة الأدبية، بيروت، 1301هـ، .....، ص:381-387. 14 ( المرجع نفسه، ص:385-386.

البنك الزراعي، مركزه في المناطق الزراعية على أساس النسبة التي تؤديها من الأعرار<sup>15</sup>، غير أن هذه الإجراءات جاءت عملياً لصالح كبار الملاكين الذين يتمتعون بالنفوذ، فهم بالإضافة إلى الملكيات الشاسعة التي في حوزتهم يعرفون كيف يتدبرون أمورهم.

### مديرية الزراعة:

عين مدير شعبة الزراعة في الولاية والسناجق والأقضية والنواحي من أهل الولاية، فعين في سنجق بيروت: رئيس المجلس منح الصلح بك، عضو مصطفى عاصم أفندي، كاتب علي فوزي أفندي<sup>16</sup>. وتمّ ذلك بانتخاب من المجالس المحليّة في بادئ الأمر. وطلب منهم الإشراف على المناطق المعيّنين لأجلها، والعمل على تشجيع الأهالي وترغيبهم في زراعة جميع الأنواع، وكانوا لا يتقاضون رواتب لقاء خدماتهم. ويبدو أن حث الفلاح على زراعة المحاصيل مثل القطن والأرز وقصب السكر، كانت تتطلبها إتجاهات التطور الاقتصادي نحو الصناعة آنذاك. وبصدور قانون الولايات عام 1864م ارتبط مأمور الزراعة والتجارة بالوالي على أن يتم

تعيينه من قبل الدولة بانتخاب نظارة التجارة والزراعة<sup>17</sup>. وتشكّلت الشعبة الزراعية في الولاية من إدارة مركزية على رأسها مأمور يساعده معاون وكاتب، ويبدو أن الغرض من تشكيل هذه الشعبة الزراعية كان من أجل ترغيب الأهالي على زراعة المنتجات التي يكثر عليها الطلب، وبذلك ترتبط الرغبة بحاجة السوق، والدليل على ذلك أن الغرف الزراعية حين تشكّلت في مراكز الأقضية كانت هي نفسها الغرف التجارية. وهكذا باتت الغرفتان غرفة واحدة. مثال على ذلك غرفة تجارة وزراعة بيروت:

رئيس أمين نجيب أفندي

مشاور ثاني أنطوان طرازي أفندي

مشاور أول نجيب سرسق

أعضاء عبد القادر نعماني

الحاج نجيب بيهم

مصباح غندور

سعيد موسى

15 ( سعيد حمادة: النظام النقدي والصرافي في سورية، بيروت، 1935م، ص:31.

\* ( سنشير فقط إلى أعضاء مجلس إدارة سنجق بيروت في البحث.

16 ( سالنامه ولاية بيروت: 1311-1312هـ، ص:136.

17 ( الدستور: مرجع سابق، ص:381-383.

جرجي نقاش

محمد حناوي

حبيب دوماني

ألياهو دانا

رفيق إلياس

كاتب توفيق أفندي

مباشر رشيد آغا<sup>18</sup>.

كما أقدمت الحكومة العثمانية على تأسيس "بنك الزراعة العثماني" في إستنبول، وكان قد سبق تأسيس البنك "صناديق زراعية" في الولايات عام 1875م. تأسس البنك الزراعي من أجل إعطاء القروض للمزارعين على أن تستوفى في مهلة أقصاها عشر سنوات كحد أقصى. أما معاملة الاستقراض فكانت طويلة ومعقدة. فالقروض مضمونة بالأرض، وتعطي على مقدار نصف قيمتها المخمنة من قبل لجنة البنك، والتخمين يميل إلى تخفيض قيمة الملكية العقارية تخفيضاً كبيراً، وإلى فرض شروط البنك في استعمال الأموال، فهي إما لشراء أدوات للعمل أو لتحسين مؤقت في الأرض، وليس لشراء أراضٍ<sup>19</sup>.

1- الحبوب: وكانت من أهم المحاصيل أن من حيث الكميّة المنتجة البالغة 4433919

هكتوليتراً، أو من حيث قيمتها البالغة 51402120 قرشاً، وهو مبلغ هام إذا ما قيس بقيمة منتجات الولاية الزراعية. فالقمح كان يزرع في مختلف أنحاء الولاية، وقدر معدّل إنتاجه السنوي 2434256 هكتوليتراً قدرت قيمتها بـ 33445815 فرنكاً، وبلغت كميّة الشعير 1203100 هكتوليتراً، قدر ثمنها 10390675 فرنكاً في كل أنحاء الولاية. أما الذرة فقد بلغ إنتاجها 1289234 هكتوليتراً قدرت قيمتها بـ 3887340 فرنكاً. وقد احتل سنجق اللاذقية الدرجة الأولى وتلاه سنجق طرابلس، وانفرد سنجق اللاذقية بإنتاج القطن: إذ بلغ إنتاج الولاية السنوي من القطن حوالي 200000 هكتوليتراً وقيمتها بـ 200000 فرنكاً. قدر ثمنها بـ 5025498 كيلو غراماً، قدر ثمنها بـ 633480 فرنكاً. وقد احتل الحمص المرتبة الأولى بين القطن وتلاه الفول ثم العدس.

18 سالنامه ولاية بيروت لعام 1311-1312هـ، ص: 142.

19 سعيد حماده: مرجع سابق، ص: 31-32.

3- محاصيل نباتات المشروبات والعقاقير: يأتي "عرق السوس" في طليعة هذه النباتات. وكان منتشراً بكثرة في الأراضي السورية، والفلاح يجمعه بناء على كثرة الطلب عليه من الخارج. هذا "العرق" كان يجمع من مختلف سناجق الولاية. وقدر إنتاجه بـ 5202966 كيلو غراماً بلغ ثمنها 1057334 فرنكاً. وكان سنجق اللاذقية في طليعة سناجق الولاية التي تصدّر هذه المادة.

4- محاصيل الخضار والثمار: جرى إنتاج الخضار والثمار في مختلف أنحاء الولاية. فقد بلغت كمية الخضار حوالي 748438 كيلو غراماً بلغ ثمنها 156000 فرنكاً. أما الثمار فقد بلغت كميتها حوالي 5394966 كيلو غراماً قدرت بـ 1198477 فرنكاً. وزرع البصل في مختلف أنحاء الولاية وقدر إنتاجه بـ 8267016 كيلو غراماً بلغ ثمنها 242928 فرنكاً. واحتل سنجق طرابلس المرتبة الأولى بين سناجق الولاية بإنتاج البصل<sup>20</sup>.

5- محاصيل السمسّم والحريّر والتبغ: كان السمسّم يُنتج في مختلف أرجاء الولاية وبلغ إنتاجه 3417421 كيلو غراماً، قدر ثمنها بـ 1059242 فرنكاً<sup>21</sup>. أمّا بالنسبة للحريّر فقد جرى تربية دودته في مختلف أنحاء الولاية وقدر عدد أشجار التوت بحوالي 9170000 شجرة، وقدر الانتاج بـ 675000 كيلو غراماً بلغ ثمنها حوالي 6217540 فرنكاً. وقدشجعت الدولة الأهالي على زراعة التوت وتربية دودة الحريّر، وفي إطار ذلك، قررت الدولة رفع الرسوم الجمركية عن إستيراد دودة الحريّر<sup>22</sup>. أمّا التبغ فكان ينتج في مختلف أنحاء الولاية وبلغ إنتاجه 766801 كيلو غراماً قدر ثمنها بـ 529090

فرنكاً<sup>23</sup> مديروشكّلت الدولة هيئة إدارية لشركة التبغ وهم:

محاسب	دانيل أفندي
مفتش	أنطوان أفندي
كاتب	سامي بك <sup>24</sup> .

20 ) Vilot Cuinet: "Syrie Liban et Palestine", Paris 1896, PP:25-54-95-123-180-182.

21 ) Ibid: P:25.

22 ) B.O.A: I.DUIT, 77/70.

23 ) Vilot Cuinet: op.cit, P:30.

24 ) سالنامه ولاية بيروت 1311 - 1312 هـ، ص: 329.

6- محاصيل الليمون: عرفت الولاية زراعة شجرة الليمون بأنواعها ومذاقاتها المختلفة، وازدهرت في سنجق طرابلس وبيروت وخاصة بجوار صيدا وطرابلس، وشكلت بالنسبة لصيدا مورداً أساسياً وقدرت كمية الليمون الحلو بـ 18092673 كيلو غراماً بلغ ثمنها 1753671 فرنكاً، وكمية الليمون الحامض بـ 8606822 كيلو غراماً قدر ثمنها بـ 1053478 فرنكاً. وكمية الاترنج (الزفير) بـ 69997 كيلو غراماً قدر ثمنها بـ 21210 فرنكاً<sup>25</sup>.

### أهم الصناعات والحرف في الولاية:

لم تعرف الولاية الصناعات الكبيرة، ما عرفته هو الصناعات القديمة القائمة على المنتجات الزراعية. وهي صناعات بسيطة كان يتطلع أصحابها إلى تطويرها رغم الظروف الكثيرة التي كانت تحد من نشاطها. وقد ساهمت على الرغم من بساطتها في سد الحاجات الأساسية للسكان. ومن أهم هذه الصناعات:

أ- صناعة الطحين - الخبز: كان الخبز والزيت والبصل من المواد الغذائية الأساسية لمعظم سكان الولاية. وكانت هذه المواد تأتي على رأس قائمة المؤن التي يحضرها السكان لتمضية فصل الشتاء. ولذلك كان الطحين الذي يدخل في صناعة الخبز، والبرغل المجروش من المواد التي تخزن منها كل عائلة كمية تكفيها طيلة ذلك الفصل.

وفي إحصاء قامت به السلطنة لعدد المطاحن في سناجق الولاية عام 1298هـ/1880م دلّ على أنها كانت تحوي 425 مطحنة، وأن سنجق طرابلس الشام قد احتل المرتبة الأولى، فقد حوى منها 181 مطحنة، واحتل سنجق اللاذقية المرتبة الثانية إذ حوى 141 مطحنة، وسنجق بيروت المرتبة الثالثة إذ حوى 61 مطحنة، أما سنجق عكا فقد حوى على 42 مطحنة<sup>26</sup>.

وفي إحصاء آخر أجرته السلطنة عام 1319هـ/1901م، تبين فيه أن عدد مطاحن الولاية هو 283 مطحنة منها: 117 في سنجق بيروت، و44 في سنجق عكا، و122 في سنجق اللاذقية. ولم يشر هذا الإحصاء إلى وجود مطاحن في سنجقي

---

25 ) Vilot Cuinet: op.cit, PP:80-87-90-115-137-164-168-176.

26 ) سالنامه ولاية سورية: لعام 1298هـ، دفعة 13، صفحات متعددة.

طرابلس الشام والبقاء. فهل يعقل أن تكون كل المطاحن فيهما قد توقفت عن العمل؟ ربما شمل هذا الإحصاء المطاحن التي يدفع أصحابها الضرائب وبالتالي جرى تعدادها بين المطاحن العامرة، في حين أهملت الأخرى لأن أصحابها إستطاعوا أن يتملصوا من دفعها وبالتالي سقطت من التعداد<sup>27</sup>.

ب- **الصيد:** قسمت السلطنة العثمانية الصيد إلى نوعين: مائي وبرّي. الأول يتناول صيد المنتجات المائية كالسمك والاسفنج والمرجان واللؤلؤ. وبهنا منها إثنان كانا رائجين في الولاية:

#### أولاً: الصيد المائي:

أ- **صيد السمك:** وهو بحري ونهري. وقد شكّل مجال عمل لعدد من السكان المحترفين. وأنواع الأسماك المتعددة التي كانت تصطاد لم تكن تختلف عن تلك التي كانت رائجة في حوض المتوسط.

ب- **صيد الاسفنج:** في ثغور الولاية، كان مهنة إحترفها الكثيرين من الناس، لأنها كانت تدر عليهم ما يسدّون به حاجاتهم. أما مواضع الاسفنج فهي تمتد من مياه "اللاذقية" في الشمال إلى مياه "جبيل" في جبل لبنان جنوباً. ومنها خمسة مراكز للصيد هي: اللاذقية، أرواد، طرطوس، وأسكله، وطرابلس<sup>28</sup>.

#### ثانياً: الصيد البري:

طال الحيوانات التي تسرح على أرض الولاية وغاباتها، كما طال طيورها. وقد أكّد قانون الصيد على مكافأة كل صياد يقتل سباعاً أو نمرأً أو ضبعاً أو ذئباً أو دباً أو خنزير برّي وغيرهما من هذه الوحوش المفترسة التي تعينها الولاية سواء كان ذلك في زمن إجازة الصيد أو في وقت منعه فيكون له ما قنص<sup>29</sup>.

أ- **إستخراج الملح:** لقد اشتهر ساحل الولاية بوجود المالح الكثيرة على شواطئها. لكن ما لبث أصحابها أن تركوها، خاصّة بعد الإجراءات التي اتخذتها إدارة

27 ( سالنامه ولاية سورية لعام 1319هـ، ص:243-263.

28 ( مجموعة القوانين: أصدرها يوسف صادر، ترجمة عارف أفندي رمضان، الجزء الخامس، ص:333-334.

29 ( مجموعة القوانين: مرجع سابق: المادة 41، ص:342.

الديون العمومية، وما إن أشرف القرن التاسع عشر على الانتهاء حتى أقفرت هذه الممالح. ففي الجزر القريبة من أسكله طرابلس كان يوجد عدد من هذه

الممالح قدر إنتاجها السنوي بين 20000 - 25000 كيلو غراماً.

ب- صناعة الفحم: لم يكن هناك غابات بالمعنى الحقيقي في ولاية بيروت. فالجبال

أكثرها كانت مغطاة بأشجار الصنوبر وغيرها من الأشجار المخروطية، لكن إلى جانبها وجدت جنائن الليمون على إختلاف أنواعه، وإلى جانب هذا وجدت أنواع من أشجار السنديان والدلب والتوت. وقد عمد الأهالي إلى إستخراج

ج- صناعة الزيت: كانت صناعة الزيت من الصناعات الشائعة في الولاية نظراً للإنتشار الواسع الذي كانت تتمتع به شجرة الزيتون. والزيت المنتج كان يذهب بإتجاهين: إتجاه

للإستهلاك المحلي في الطعام وصناعة الصابون، وإتجاه للتصدير. كانت الكميات التي تصدّر منه تعادل الكميات المستهلكة محلياً، إذا كان الموسم جيداً. وأحياناً كان الإستهلاك المحلي لا يترك إلا كميات قليلة جداً للتصدير. ففي عام 1906م على سبيل المثال بلغت الصادرات من الزيت 160 طناً<sup>30</sup>.

د- صناعة الصابون: ارتبطت صناعة الصابون بإنتاج الزيت. والصابون كان يصنع في

أرياف الولاية التي تنتج الزيت من أجل الاستعمال المنزلي. أما المركزان اللذان نالا شهرة بصناعة الصابون فهما: طرابلس الشام ونابلس. فصابونهما كان يصدّر إلى مصر واستنبول والأناضول وبلاد العجم والعراق<sup>32</sup>. ففي أوائل القرن التاسع عشر كان يوجد في طرابلس خمس مصابن.

هـ- صناعة الخيوط والمنسوجات: وهي صناعة قديمة العهد في مدن الولاية. ومما يؤكد

ذلك أن مدينة طرابلس الشام كانت قبل الحملات الصليبية تحوي مقدار 4000 مصنعاً لنسج الحرير. وقد انخفض هذا العدد إلى 200 قبيل الحرب العالمية الأولى<sup>33</sup>.

---

30 ) Adel Ismail: Tome V, Lettre no. 52, P:179.

31 ) Vitral Cuinet: op.cit, P:178.

32 ) رفيق وبهجت التميمي: ولاية بيروت، دار لحد خاطر، بيروت، 1979م، القسم الجنوبي، ص:98، والقسم الشمالي، ص:185.

33 ) رفيق وبهجت التميمي: مرجع سابق، القسم الشمالي، ص:185.



و- **صناعة الملين**: كانت تتم بقطف العنب الناضج وعصره، وغلي عصيره على النار في قدر كبير، وبإضافة كمية من الطحين، فيتحول المزيج بعدها إلى عجينة رخوة، ثم تسكب على شراشف ويشمس لمدة عشرة أيام<sup>34</sup>.

ز- **صناعة التين المجفف**: زرعت شجرة التين إلى جانب شجرة الكرمة في مختلف أنحاء الولاية، من أجل استهلاك ثمارها طازجة. وتمر صناعة التين المجفف بعدد من الخطوات، تبدأ بقطف التين الطازج وتشريحه ووضع في الشمس مدة تتراوح ما بين العشرة أيام والأسبوعين<sup>35</sup>.

ح- **صناعة الأدوات الزراعية الخشبية**: إنتشرت صناعة الطوب لسقف البيوت، والعربات التي تجرها الحيوانات، وصناديق الفواكه والثمار، والأدوات الزراعية الخشبية الخاصة بالفلاح<sup>36</sup>.

ط- **دبغ الجلود وصناعة الأحذية**: أشارت المصادر التي إطلعنا عليها، إلى أن المدابغ كانت عاملاً من العوامل المميّنة للثروة الحرجية في الولاية، لأن قشور الأشجار كانت تدخل في دبغ الجلود بكميات كبيرة مما تسبب ببياس الأشجار التي انتزعت قشور جنوعها، وهذا يدل على كثرة وجود المدابغ<sup>37</sup>. وأشارت هذه المصادر أيضاً، إلى أن طرابلس الشام التي كان يوجد فيها عدد من المدابغ قد نجحت فيها بشكل معقول دباعة جلود

ي- **لمعالجة الأثاث والتحف الخشبية**: تمثلت صناعة الأثاث في الولاية بالمقاعد الخشبية والخزائن وصناديق الثياب والأسرة والطاولات والكراسي. أمّا صناعة التحف فقد تمثلت بالحفر على الخشب وتطعيمه بالعاج. لقد انتشرت هذه المصنوعات في المدن الهامة. ففي سنج عكا اشتهرت مدن: عكا، حيفا، طبريا، صفد والناصرية بصناعة التحف الخشبية المطعمة بالعاج، وصناديق الثياب والطاولات من خشب السرو والزيتون، فهذه الصناعات كانت مرغوبة وذات قيمة. واشتهرت بيروت بصناعة الأثاث، وقد وجد فيها

---

34 ) Vilot Cuinet: op.cit, P:67.

35 ) Ibid: P:64.

36 ) سالنامه ولاية بيروت لعام 1918م، دفعة ثانية، ص:96 و 183.

37 ) Vital Cuinet: op.cit, P123.

عام 1896م حوالي 190 نجاراً، بينهم النجار والحفار وصانع عربات الخيل لنقل الركاب<sup>38</sup>.

ك- **صناعات متفرقة:** بالإضافة إلى الصناعات التي أشرنا إليها، فقد وجدت في الولاية صناعات أخرى، إقتصرت وجودها على هذه المدينة دون غيرها. ففي بيروت وجدت مصابغ للكرتون والكبريت والزجاج وعربات الخيل والسروج والتلج والأصبغة. وفي طرابلس صنع الثلج والعصير منذ العام 1901م، واستمرت في إنتاجها حتى الحرب العالمية الأولى. وفي مدينة صيدا كانت تصنع السفن الشراعية الكبيرة التي تتراوح حمولتها ما بين 20-140 طناً، والسفن الشراعية الصغيرة<sup>39</sup>.

### الحركة التجارية في ولاية بيروت

شكّلت مدن الساحل الشرقي للمتوسط منذ القديم محطات تجارية بين الداخل السوري وبلاد ما وراء البحار. فالتجار من جنسيات مختلفة كانوا يؤمنون مُدَّنه حاملين إليها منتجات بلادهم، وما تنتجه مستعمراتهم، وتعود سفنهم محملة بمصنوعات هذه البلاد وبموادها الخام إلى مختلف أنحاء العالم.

ما تغير من هذا الواقع ما بين 1887-1914، هو إزدياد أهمية مدينة بيروت مركز الولاية ودور مرافئها نتيجة الضغط الأوروبي التي كانت تعمل على جعل هذا المرفأ مركزاً للحركة التجارية الدولية على الساحل الشرقي للمتوسط. ففي هذه المدينة تمركز التجار المستوردون، وبذلت شركة المرفأ ما في وسعها من أجل حصر حركة الاستيراد والتصدير في مرفأ بيروت، ليكون الميناء الأول على هذا الساحل. ومن أجل ذلك جعلته المخزن العام لعدد كبير من سلع المستعمرات الاستراتيجية كالسكر والأرز ومشتقات البترول وغيرها من صناعات الأقمشة الهندية الضرورية. وحددت رسوم رسو السفن وإنزال وتخزين البضائع. وشملت الدائرة التجارية لهذا المرفأ منطقتين: الأولى يستورد لها التجار مباشرة وتشتمل على مدينة بيروت نفسها، جبل لبنان، دمشق وتوابعها، والمنطقة الثانية إمتدت على الساحل من "غزة" جنوباً إلى الاسكندرية في الشمال بما فيها "طرطوس"، "مرسين" و"أضنة" وتوابعهما، على أن المنطقتين الأخرين كانتا

38 ) Ibid: PP:48, 65.

39 ) رفيق وبهجت: مرجع سابق، القسم الثاني، ص:190.

تتبعان "ولاية كرمان". ففي هذه المنطقة أيضاً حصر تجار بيروت بأنفسهم حق الاستيراد لتجارها<sup>40</sup>.

وإزاء إزدياد أهمية مرفأ بيروت عمدت الدولة العثمانية إلى توسيع الميناء بحيث يستوعب السفن الكبيرة، حيث أعطى الامتياز إلى السيد "إستوفلس" بتاريخ 20 حزيران 1863م<sup>41</sup>.

### أولاً: صادرات الولاية:

إرتكزت صادرات الولاية على عدد من المحاصيل والمنتجات الزراعية: كالحبوب والخضار والثمار، والمصنوعات الزراعية: كالزيت والصابون وخيوط الحرير، وعلى المنتجات الحيوانية أكانت حية أم مذبوحة: كالصوف والسمن والجلود والعظام.

هذه المنتجات والمحاصيل كانت عرضة لتقلبات الظروف الطبيعية، لذلك كانت كمياتها وقيمتها محكومة بهذه الظروف. وبما أن كل سنجق من سناجق الولاية كانت له مرافئه التي تتم فيها عملية تصدير منتجاته الخاصة به، نرى أن نتوقف عند صادرات كل سنجق وفق المرافىء المهمة فيه.

### 1- صادرات مرفأ بيروت:

أ- الحرير: كان الحرير المادة الأساسية التي تصدّر من مرفأ بيروت، وقد صدرت بأشكال مختلفة منها الشرائق الخام<sup>42</sup>.

ب- الصوف: احتل الصوف من بين المنتجات الحيوانية المرتبة الأولى بعد الحيوانات الحية، في صادرات مرفأ بيروت. وكان يرد إليه من دمشق في الداخل السوري، ومن زحلة في وسط سهل البقاع<sup>43</sup>.

40 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome X, Bruxelles 1895, rapport no. 19, PP:349-350.

41 ) B.O.A: A.DVN.MKL, 5/13, 26M 1283.

42 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome 122, Bruxelles 1903, P:104.

43 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no. 52, PP:200-202.

ج- عرق السوس: كان يصدر بكميات كبيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا. فعصيره كان يستخدم في صنع عدة أنواع من البيرة، ويدخل في تصنيع التبغ الممتاز<sup>44</sup>.

بالإضافة إلى هذه المواد كانت الولاية تصدر: القمح، الشعير، الذرة، الليمون، القطن، النحاس، ماء الزهر والليمون، الاسفنج، الفول اليابس، التين المجفف، الثمار الطازجة، الزيت (زيت الزيتون)، الخضار الطازجة، البصل، الجلود، الصابون، والحيوانات الحية<sup>45</sup>.

## 2- صادرات مرفأ طرابلس:

هذا المرفأ ليس مرفأ سنجق طرابلس وحده، بل هو مرفأ تصدير منتجات السهل الواسع الخصب المعروف بـ"وادي العاص" الذي يمتد في الداخل من شمال وادي البقاع إلى مدينتي حمص وحماه وجوارهما. فهو يرتبط بهاتين المدينتين اللتان تشكلان سوقاً أساسياً له، بواسطة طريق معبدة، وإليه يقصد الباعة والتجار من طرابلس.

أ- الحبوب: بلغت قيمة صادراتها 8300000 فرنكاً من مجموع صادرات المرفأ البالغة 18598807 فرنكاً، ومن الحبوب التي تصدر منه: القمح وهو من نوع الصلب المرغوب في فرنسا، إنكلترا، إيطاليا، مصر، السلطنة العثمانية، جبل طارق ومالطة.

ب- الشعير: كانت أفضل أنواعه تلك التي تأتي من جهات حماه، ومن أفضلها في صناعة مادة التخمير، التي تدخل في صناعة الجعة. وهذا النوع من الشعير كان يصدر إلى شمال أوروبا، وخاصة إلى إنكلترا وفرنسا والنمسا.

ج- الذرة: وهي حسب لونها نوعان "ذرة صفراء"، وبلغ ما يصدر منها سنوياً بحوالي 2377388 كيلو غراماً، و"الذرة البهراء" كانت تصدر إلى فرنسا وبلغ وزن المصدّر منها 125000 كيلو غراماً<sup>46</sup>.

د- الحيوانات الحية: شكّلت الحيوانات الحية ومنتجاتها جزءاً هاماً من صادرات المرفأ يزيد على النصف. ويأتي في مقدّمة الحيوانات الحية: الأبقار والماعز والأغنام ذات "الالية"

44 ) Ibid: Tome VI, Lettre no. 48, P:142.

45 ) Vilot Cuinet: op.cit, P:67.

46 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no. 52, PP:186-191.

التي تأتي بأعداد كبيرة من العراق. هذه الحيوانات كانت تصدّر إلى مصر وتركيا وإلى أنحاء مختلفة، وجاء الصوف في مقدّمة المنتجات الحيوانية، وشكّلت الكمية المصدّرة منه هذا المرفأ ثلث الكمية المصدّرة من بيروت وهي مشابهة لها في التوضيب

والأسعار المصدّرة لها<sup>47</sup>.  
هـ- **المنتجات الزراعية:** ومن المنتجات الزراعية المهمّة التي كانت تصدّر من مرفأ طرابلس: الليمون الحلو والحامض بأنواعه المختلفة. وقد صدر أيضاً عن طريق هذا المرفأ كميات من عرق السوس، الذي كان يوجد بكثرة من جهات حمص وحماه<sup>48</sup>.

بالإضافة إلى هذه المواد التي أشرنا إليها، كانت تصدّر من هذا المرفأ أيضاً كميات من البرغل والبسكويت إلى مصر واليونان والجزر التركية، والتوابل إلى فرنسا، والحنظل إلى فرنسا وإنكلترا وإيطاليا، والكمون إلى فرنسا وإنكلترا والنمسا، وماء الزهر والليمون إلى تركيا، وبيوت سلاحف البحر إلى إنكلترا وفرنسا والنمسا، ودقيق القمح إلى فرنسا وتركيا، والتين المجفف إلى فرنسا وتركيا والنمسا، والثمار الطازجة إلى اليونان وقبرص وأزمير واستنبول، والفاصولياء إلى فرنسا وإيطاليا، وزيت الزيتون إلى فرنسا وإنكلترا، والأقمشة من حمص وحماة إلى استنبول  
**3- صادرات مرفأ اللاذقية:**  
وأزمير ومصر وأحاء أخرى<sup>49</sup>.

ارتبطت صادرات هذا المرفأ بوفرة المحاصيل الزراعية لسنّجق اللاذقية، وأوضاعه الأمنية التي كان إضطرابها يؤثّر سلباً على النشاطات الزراعية وعلى حركة الصادرات. ومن صادرات هذا المرفأ:

أ- **التبغ:** الذي نال شهرة دولية، فهو أفضل أنواع التبغ في شرق المتوسط، وأجوده المنتج في "جبل العلويين" بالقرب من اللاذقية. بحيث تقدّر الكمية المصدّرة عام 1896م بـ 100000 كليون غراماً، إرتفعت إلى 200000 ألف كيلو عام 1888م<sup>50</sup>.

ب- **الحبوب:** وتأثرت صادرات الحبوب بجودة المواسم ووفرة المحاصيل. فمنذ مطلع تسعينيات القرن التاسع عشر، لم تعد المواسم تعطي أكثر من مرتين من كمية البذار،

47 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome 122, Bruxelles 1903, P:106-108.

48 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no. 52, PP:193-196.

49 ) Vilot Cuinet: op.cit, P:130

50 ) رفيق بهجت: مرجع سابق، القسم الشمالي، ص:285.

وقدر ما يصدر من الحبوب من مرفأ اللاذقية بحوالي 1220000 كيلو غراماً بلغ ثمنها 1586000 فرنكاً.

ج- **القطاني:** ويأتي في مقدّمها الحمّص، فقد بلغت الكمية المصدّرة من هذا المرفأ 225000 إلى 250000 كيلوة، تساوي ما بين 6500 إلى 7000 طناً.

د- **القطن:** وكان يصدّر خاماً على شكل بالات تراوح عددها ما بين 100-200 باله.

هـ- **الصوف:** وكان يصدّر بنفس الشروط والأشكال التي كانت تصدّر منها الأصواف من بيروت وطرابلس، وقدرت كمية الصوف المصدّرة من هذا الميناء سنوياً بحوالي 500000 كيلو غراماً بلغ ثمنها 475000 فرنكاً<sup>51</sup>.

و- **الحرير:** في أواخر القرن التاسع عشر، جرى غرس أعداد كبيرة من شجر التوت، وأصبح الإنتاج وفيراً، حتّى أصبحت الكميّة المصدّرة سنوياً بمئة ألف كيلو غراماً.

ز- **زيت الزيتون والصابون:** إرتبطت كمياتها بجودة ووفرة محصول الزيتون. فقد بلغ معدّل ما يصدّر من الزيت سنوياً عن طريق هذا المرفأ بحوالي 220000 كيلو غراماً بلغ ثمنها 352809 فرنكاً. أمّا الصابون فقد بلغ معدّله من 500000 كيلو غراماً بلغ ثمنها 265000 فرنكاً.

بالإضافة إلى هذه المنتجات كان يصدّر عن طريق هذا المرفأ منتجات زراعية كثيرة كالثمار الطازجة، والليمون بأنواعه المختلفة إلى اليونان وقبرص وأزمير وأستنبول. وعرق السوس إلى أمريكا وفرنسا وأنحاء مختلفة. والحنظل إلى فرنسا وإنكلترا وإيطاليا. والزبيب والتين المجفف إلى فرنسا والنمسا وتركيا.

#### 4- صادرات مرفأ حيفا:

تعتمد صادرات مرفأ حيفا بشكل أساسي على المنتجات الزراعية لسهل حوران، وخاصة الحبوب<sup>52</sup>:

أ- **القمح الصلب:** وهو من منتجات حوران، وقد بلغ معدّل الكمية المصدّرة منه سنوياً بحوالي 8000 طناً.

51 ) Vilot Cuinet: op.cit, P:133.

52 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no. 74, P:326.

ب- الذرة البيضاء: وقدر المصدر منها سنوياً ما بين 2000 و2500 طناً.

ج- السمسم: وتقدر كميته المصدر سنوياً ما بين 2300 إلى 3000 طناً. وبلغت قيمة الصادرات لهذا المرفأ عام 1892م من مختلف المنتجات والمواد حوالي 1886242 فرنكاً.

#### 5- صادرات مرفأ عكا:

يقع هذا المرفأ شمال خليج عكا وعلى مقربة منه من جنوب هذا الخليج يقع ميناء حيفا، وهذا الأخير كان أكثر منه أمناً للسفن، لكن أهميته تنبع من كونه ميناء لتصدير الحبوب التي كانت ترد إليه تاريخياً من "حوران" محملة على الدواب<sup>53</sup>.  
ثانياً: واردات الولاية:

خلال الأعوام الخمسة والعشرين التي سبقت عام 1893م، كانت بيروت قد أصبحت العنبر الفعلي لسورية كلها، إبتداءً من حلب في الشمال إلى حيفا في الجنوب. فكل هذه المنطقة باتت تأتي إليها لتتمون منها وتتبضع. ويمكن القول بأنها قد أصبحت بنك الولاية، وأشار القنصل البلجيكي العام في بيروت في رسالته إلى وزير خارجيته بتاريخ 26 نيسان 1892م، إلى أن الواردات إلى سورية عبر مرفأ بيروت، قد اتخذت في السنوات الأخيرة إتساعاً كبيراً، وهي يومياً تحقق تقدماً<sup>54</sup>.

(1) بذور دود الحرير: وجميع البذور كانت ترد من فرنسا. وشجعت الدولة العثمانية الأهالي

على إستيراد الحرير من سائر الدول ورفعت الرسوم الجمركية على هذه المادة<sup>55</sup>.

(2) الجلود المدبوغة: وقد جرى إستيرادها من أجل صناعة الأحذية والسروج<sup>56</sup>.

(3) مطاط الأحذية: وهي مادة تجارية مهمّة، كان يرد منها إلى بيروت صنفان من

مصدرين هما إنكلترا وسويسرا.

---

53 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no. 74, P:328.

54 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome LXXVII, Bruxelles 1892, P:188.

55 ) B.O.A: I.DUIT, 77/70.

56 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome LXXVII, Bruxelles 1892, P:199.

- (4) **الحبال:** كانت تجارتها حتى عام 1891م ما تزال محدودة لكن منذ عام 1892م بدأت تتوسع على حساب الصناعة المحليّة<sup>57</sup>.
- (5) **الفولاذ:** كانت بيروت تستورد منه سنوياً 2500 صندوق، وزن الواحد منه 70 كيلو غراماً، وهي من مصادر متعددة وهي: النمسا وبلجيكا وألمانيا.
- (6) **ألواح التوتياء:** بلغت حاجة بيروت ودمشق من هذه المادة حوالي خمسمائة برميل، وزن الواحد منه 250 كيلو غراماً<sup>58</sup>.
- (7) **القصدير:** كانت إنكلترا تحتكر هذا المعدن، وقد أرسلت منه عام 1890 إلى بيروت حوالي 30 طناً.
- (8) **المنسوجات والخيوط:** لقد شكّلت المنسوجات الأجنبية رقماً كبيراً من مجمل رقم الواردات إلى سورية عبر بيروت.
- (9) **المنسوجات القطنية:** كانت إنكلترا الممّون الأكبر منها إلى سورية ويليها سويسرا. أمّا القوى الأخرى فكانت لا تورد إليها إلا بعض الأنواع القليلة الأهميّة بالنسبة لكميّة الواردات العامّة<sup>59</sup>.
- (10) **الأجواخ والأقمشة الصوفية:** حول هذه المواد أشار القنصل البلجيكي العام في بيروت، إن النمسا كانت تحتل الموقع المهيمن على تجارتها في الأسواق السورية آنذاك<sup>60</sup>.
- (11) **الملابس الجاهزة:** وقد تحولت مع الزمن إلى مادة هامّة نظراً إلى الميل المتزايد باستمرار للسكان المحليين لإرتداء الملابس الأوروبية.
- (12) **الزجاجيات، الصينيات والخزفيات:** كان تصريف هذه المواد يزداد يوماً بعد يوم في منطقة الشرق الأوسط.
- (13) **الأخشاب والمفروشات:** كانت تجارتها تزداد أهميّة يوماً بعد يوم، خاصة وأن حركة بناء المساكن الحديثة والعمران كانت في تقدّم مستمر.

57 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome LXXVII, Bruxelles 1892, P:198, 199 – 209.

58 ) Ibid: Tome XCII, Bruxelles, 1896, P:369.

59 ) Ibid: P:300-305.

60 ) Ibid: Tome LXXVII, Bruxelles, 1883, P:188.



14) مواد البناء: وهي كثيرة: فمنها الإسمنت الذي كان يرد من مرسيليا، وكانت كمياته تزداد يوماً بعد يوم بإزدياد حركة البناء والعمران. وقد مر ما ورد إلى بيروت في عام 1890 ما بين 1000 و1200 برميل. وكان يرد أيضاً الكلس المصقّى، الجفصين<sup>61</sup>. أما الرخام فكان يرد من إيطاليا وبلجيكا.

15) الأرز: شكل الأرز قاعدة الغذاء عند الشرقيين، لهذا يعتبر من أهم مواد المستعمرات الواردة إلى بيروت التي شكّلت السوق الأساسية للتأمين ليس فقط للمدن الداخلية، بل ولكل الساحل.

16) البن: في عام 1882 عملت بريطانيا على إحتكار تزويد سورية بالبن عن طريق بيروت<sup>62</sup>.

17) السكر: شكّلت عملية إستيراد السكر إلى سورية عبر بيروت، أحد العناصر الهامة في التجارة مع الخارج، إن من حيث قيمتها الكلية التي تراوحت ما بين مليون وثمان مائة ومليون فرنكاً، أو من حيث الكمية التي تستهلكها والتي كانت تقدر بخمسة آلاف طناً.

18) البهار: وهو من النوع الأسود، وكان يرد إلى بيروت بشكل مباشر من سنغافورة.

19) الفلفل: وكان يرد من لندن ومرسيليا، وقدّر الاستهلاك السنوي منه عام 1891م حوالي 2000 كيس، وزن الكيس 75 كيلو غراماً<sup>63</sup>.

20) المسامير الدقيقة: وقدّر استهلاك سورية منها بحوالي 50000 كيلو غراماً تستهلك منها بيروت ودمشق وهدهما 300000 كيلو غراماً، وكانت فرنسا تحتكر توريد هذه المادة.

21) الأقفال العادية: وكانت ترد من فرنسا.

22) ماكينات الخياطة: كانت وارداتها تزداد سنة بعد سنة فقد بلغ وزن ما استورد منها عام 1901م حوالي 92850 كيلوجرام مقابل 58150 كيلوجرام عام 1900م.

23) الدراجات: وقد دخلت إلى بيروت لأول مرة عام 1901م بكمية بلغت 40 دراجة.

24) الكبريت: كانت تأتي من اوربا وتحولت بيروت إلى مركز أساسي لتجارة هذه المادة<sup>64</sup>.

---

61 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome XCII, Bruxelles 1896, P:399.

62 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no. 46, PP:150, 151.

63 ) Adel Ismail: op.cit, Tome VI, Lettre no.52, PP:264, 269.

64 ) Recueil Consulaire de Belgique: Tome 118, Bruxelles 1902, P:130.

25) البترول: دخل بيروت من أجل الاستخدام العادي في منتصف ثمانينات القرن التاسع عشر. وكان يرد إليها من مصدرين الأول أمريكي والثاني روسي. وفي عام 1887م تمكن الروس من إحتكار البترول. ومنذ مطلع عام 1888م توقف كلياً دخول النفط الأمريكي إلى بيروت.<sup>65</sup>

26) الحلى والمصاغ: وقدرت قيمة ما كان يرد منهم سنويا إلى بيروت من سويسرا وألمانيا ما بين 30035 هذا فرنكا

### طرق المواصلات وحركة النقل في ولاية بيروت

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية ترى ضرورة تزويد السلطنة بشبكة من طرق المواصلات التي تصل المناطق الساحلية بمناطق الداخل أمرا حيويا بالنسبة لتجارتها فهي تساعد في تصريف منتجاتها وبضائعها عبر هذا الداخل من جهة وعلى امتصاص ما يوجد في هذا الداخل من مواد خام. وقبل أن يصدر قانون الولايات العثماني لم يكن في سوريا غير طريق واحد للعربات هو طريق بيروت دمشق ومن خلال هذا الطريق أدركت السلطنة أهمية المواصلات الحديثة في تقوية الحكم المركزي الذي تطمح إليه ولمست أهمية ما يوفره لها من إمكانيات في تحريك قواتها الأمنية.

لقد دفعها تنفيذ هذا الطريق ووضعه موضع التنفيذ عام 1863 إلى منح المزيد من التعهدات بالتزامات الطرق وإلى تسهيل مهمات الملتزمين هذا الكلام تؤكد مسألتان:

الأولى: هي أن نظام إدارة الولايات الذي صدر عام 1864م، أكد على وجود نظارة للنافعة في استنبول، تشرف على تعيين مدير تابع لها في كل ولاية يكون من مهمته الكشف على الطرق والمعابر لشقها وإصلاحها، ويكون بمعيته عدد من المهندسين. وأناط هذا النظام بمديري النواحي والمخاتير، جمع العملة المكلفة بإصلاح الطرق العمومية، ونصّ على أن فتح وإنشاء الطرق وتعميرها على الدوام هي مهمة الإدارات المحلية في الولاية.

الثانية: هي إنه بالإستناد إلى هذا النظام عقد والي سوريا عدّة اجتماعات لمجلس إدارة الولاية للتداول في إجراءات المصلحة العامة وفي السبل الآيلة إلى تنفيذها، وإقرارها إلى حكومة السلطنة وكانت المقررات التي اتخذت تتعلق ببناء الطرق والجسور والطرق المعبدة وغيرها وبعد أنشاء

65 ) Recueil Consulaire de Belgique: op.cit, PP:305-307.

نظارة الطرق العمومية في السلطنة تم إنشاء إدارة الطرق في الولايات وكانت إدارة للطرق والمعابر في الولاية على الشكل التالي:

الرئيس: والي الولاية

أعضاء محمد بيهم أفندي

أعضاء مفتش الزراعة

أعضاء ناظر النفوس

أعضاء مهندس الولاية

أعضاء نخلة تويني

كاتب عمر وصفي أفندي<sup>66</sup>

وأنشئت في مركز كل سنجق دائرة فرعيه وهي أيضا دائرة فنية بالإضافة إلى هذه الدائرة الفرعية تشكلت في مركز كل سنجق لجنة طرق ومعابر هذه اللجنة كانت في مركز الولاية برئاسة الوالي<sup>67</sup>.

وفي سنجق طرابلس الشام كانت برئاسة المتصرف وضمت في صفوفها عضو في مجلس إدارة السنجق، ورئيس البلدية، ومأمور النفوس، وكاتب شعبة بنك الزراعة، ومهندس النافعة، وكاتب<sup>68</sup>.

وفي سنجق نابلس، كانت برئاسة المتصرف، وضمت في صفوفها رئيس البلدية، ورئيس غرفة التجارة، ومأمور بنك الزراعة، ومأمور النفوس، ومساعد مهندس، وكاتب<sup>69</sup>. وفي سنجق اللاذقية كانت برئاسة المتصرف، وعضوية مهندس، ومأمور البنك الزراعي، ومأمور النفوس، وثلاثة أعضاء آخرين، وكاتب<sup>70</sup>.

---

66 ( سالنامه ولاية بيروت لعام 1311-1312هـ، ص:136.  
67 ( سالنامه ولاية بيروت لعام 1318هـ، دفعة الثانية، ص:77.  
68 ( سالنامه ولاية بيروت لعام 1319هـ، دفعة 1، ص:143.  
69 ( سالنامه ولاية بيروت لعام 1318هـ، دفعة 2، ص:213.  
70 ( نفس المصدر: ص:245.

وفي سنجق عكا، كانت برئاسة المتصرف، وعضوية أحد أعضاء مجلس إدارة السنجق، ورئيس البلدية، ومأمور النفوس، ومأمور بنك الزراعة، ومهندس نافعة، وكاتب<sup>71</sup>.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، وحتى بداية الحرب العالمية الأولى، كانت مواصلات الولاية قد تطورت بشكل أن مدنها باتت ترتبط بعضها ببعض، وبمصرفية جبل لبنان، ومصرفية القدس، وبولايتي سوريا وحلب بشبكة من طرق العربات وبعض الخطوط الحديدية التي تربط مرافئ الولاية بالداخل السوري. هذا بالإضافة الى عدد من محطات البرق والهاتف، حيث قسمت مواصلات الولاية إلى قسمين: المواصلات الداخلية والمواصلات الخارجية.  
**المواصلات الداخلية:**

تتمثل هذه المواصلات بطرق العربات المعبدة والخطوط الحديدية و بالبرق والهاتف  
والبريد الداخلي:

1- **طرق العربات:** من هذه الطرق ما بني عن طريق الالتزام والاستثمار، ومنها ما بني

عن طريق السخرة كانت تتولى كل قرية بناء الطريق في خراجها ومن هذه الطرق:

أ- **طريق بيروت - دمشق:** حصل السيد "ووبرتوني" وهو من أفراد التابعة الفرنسية، على إمتياز هذه الطريق المعبدة بين مدينتي بيروت ودمشق بتاريخ ٢ حزيران 1857م<sup>72</sup>. شقت الطريق بعرض ستة أمتار حسب ما ورد في المادة الثانية من العقد، واكتمل الطريق عام 1863م.

وفي مطلع عام 1862م وضع القسم المنجز من الطريق وطوله 70 كيلومترا في تجربة استثمارية وقدر ما تحقق من أرباح بحوالي 500,000 فرنك، وعندما وضع هذا الطريق في الاستثمار الفعلي عام 1863م شهدت دمشق أول عربة محمله بالبضائع من بيروت.

ب- **طريق طرابلس - حمص - حماه:** كان إنبثاق المشروع الرامي إلى ربط مدينة طرابلس بمدينة حمص مع امتداده إلى مدينة حماه<sup>73</sup> ولويد جهود الوالي مدحت باشا المكثفة

71 ( نفس المصدر: ص:279.

72 ( سالنامه ولاية بيروت لسنة 1311-1312هـ، ص:254.

73 ( جريدة ثمرات الفنون: العدد 222، 9 ربيع الثاني 1296هـ \ 24 كانون الأول 1879، ص:4.

بغرض تنشيط الحركة التجارية الداخلية من ناحية وفتح مناطق ولاية سورية في وجه التجارة العالمية من ناحية أخرى.

على أية حال فإن لهذا الطريق - وهو طريق مركبات اعتيادية<sup>74</sup> - أهمية مميزة نظراً لكونه معدّ لتشغيل العربات عليه في وقت حرمت فيه طرق ولاية سوريا من هذه الميزة بإستثناء جادة بيروت التي أقامتها شركة فرنسية. ونتيجة الجهود المبذولة تم تنفيذ المشروع في بضعة أشهر<sup>75</sup>، بعد أن كانت أعماله قد ابتدأت بتاريخ 17 آذار 1879م. إلا أنه بقي ناقصاً نظراً للحاجة إلى مد الجسور<sup>76</sup>.

ومنحت الشركة، ليس فقط حق إحتكار نقل الركاب والبضائع على هذا الطريق، بل وأيضاً حق استيفاء رسم على قوافل الحيوانات.

ج- **طرق سنجق بيروت**: لعل من أهم الطرقات المستحدثة في سنجق بيروت أو التي تم إصلاحها:

- الشارع الجديد الممتد من باب إدريس شرقاً، بطول ٩٠٠ متر، وعرض 20 ذراعاً، والذي جرى إفتتاحه عام 1311هـ \ 1894م<sup>77</sup>.
- الشارعان الممتدان من محلة الرمل (الصنائع حالياً) بإتجاه الغرب حتى رأس بيروت، اللذان بدأ العمل بهما في شهر ربيع الأول 1312هـ \ 1894م<sup>78</sup>.
- الشارع الذي وصل طرفي شارع الرمل - رأس بيروت، وافتتح رسمياً بتاريخ 19رمضان 1312هـ \ 1895م<sup>79</sup>.

---

( 74 ) جريدة البشير: عدد 445، 21 آذار 1879، ص:4.

( 75 ) علي حيدر مدحت: مدحت باشا - مرآت حيدر، جلد 1، هلال مطبعة سي، استنبول، 1325هـ، ص:211.

( 76 ) جريدة لسان الحال: العدد 143، ربيع الثاني 1295هـ \ 12 و 24 آذار 1879م، ص:3.

( 77 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 980، 16 ذي القعدة 1311هـ \ 9 و 21 أيار 1894، ص:1.

( 78 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 978، 2 ذي القعدة 1311هـ \ 25 نيسان و 7 أيار 1894م، ص:1.

( 79 ) المصدر نفسه: العدد 1001، 22 ربيع الثاني 1312هـ \ 10 و 20 تشرين الأول 1894م،

ص:2.

- الشارع الممتد من باب إدريس إلى دار الحكومة، إنتهى القسم الأول منه في شهر جمادى الثاني 1313هـ \ تشرين الثاني 1895م، فيما بدأ العمل بقسمه الآخر في شهر شوال 1313هـ \ آذار 1896م<sup>80</sup>.
- الشارع الممتد من بيت السيد "موت" إلى محلة الزيدانية في المصيطبة، وتم افتتاحه في شهر ذي القعدة 1316هـ \ آذار 1899م<sup>81</sup>.

- الطريق الممتد من جوار جامع المصيطبة إلى طريق صيدا، مروراً بجرج الصنوبر، ومقام الإمام الاوزاعي، وبرج البراجنة، لإختصار الطريق بين بيروت

وصيدا حوالي الساعتين<sup>82</sup>.  
**2- الخطوط الحديدية:** إن الحصول على "فرمانات" تمديد واستثمار الخطوط الحديدية قد

رافقه صراع بارد من أجلها بين الفعاليات الدولية لأن السلطة لم تضع دراستها الخاصة

لهذه الخطوط ولم تحدد أولويات للربط بين المدن بواسطة هذه الخطوط.

أ- **خط بيروت - دمشق:** لقد ارتبط بناء وتمديد هذا الخط بالخطة الفرنسية العاملة

على ربط منتجات الداخل السوري وخيراته بمرافئ بيروت. ومن هذا المنطلق،

عارض المسؤولون الفرنسيون تمديد أي خط حديدي من سوريا لا يأخذ بعين

الاعتبار هذه الخطة وقد تم إعطاء امتياز الخطة إلى أحد المهندسين الفرنسيين وهو

عقد مؤلف من 23 مادة<sup>83</sup>.  
 ترجع فكرة إنشاء سكة حديد تربط بين بيروت - دمشق إلى عزتلو بشارة أفندي

مهندس من ولاية سورية قدّم مقترحاً إلى الحكومة العثمانية بيّن فيه أهمية ولاية

بيروت ومدينة دمشق، ووجوب إنشاء سكة حديد تربط بينهما، ثم أوضح أن مساحة

السكة لا تتجاوز طولها 147 كلم<sup>84</sup>.  
 ب- **خط طرابلس الشام - حمص:** إرتبطت فكرة إنشاء خط حديدي ينطلق من

طرابلس الشام بإتجاه الداخل السوري على الدوام بإنشاء مرفأ هذه المدينة يكون

مخرجاً لمنتجات الداخل إلى البحر، ومدخلاً للبضائع الواردة عبر البحار إلى

الداخل. صدرت الإرادة السنوية بإعطاء الإمتياز لهذا الخط الحديدي بين طرابلس

( 80 ) المصدر نفسه: العدد 1072، 16 شَوَال 1313هـ \ 18 و 30 آذار 1896، ص:2.

( 81 ) جريدة لسان الحال: العدد 3065، 1 ذي القعدة 1316هـ \ 13 شباط و 1 آذار 1899م، ص:1

( 82 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 1346، 25 جمادى الآخر 1319هـ \ 27 آب و 9 أيلول 1901م، ص:4.

83 ) B.O.A: A.DVN.MKL, 1/3, Z5 Za 1273.

( 84 ) عبد الكريم غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر 1840-1876م، القاهرة، 1969م، ص:31.

وحمص إلى شركة خط دمشق-حمّاه، وبدأ العمل في إنجازه في 16 آذار 1910م،  
وجرى تدشينه في 19 أيار 1911م، ووضع للاستثمار الفعلي في أول حزيران  
1911م ويبلغ طول الخط 102 كلم<sup>85</sup>.

ت- **تراموي بيروت**: قامت نظارة التجارة والنافعة بتقديم مشروع ربط موانئ بيروت  
وصيدا وطرابلس بخط مترو، وقد تم الموافقة على المشروع من قبل السلطان، وتم  
إعطاء الإمتياز الى السيد عبد الأحد خضرا<sup>86</sup>، وقد تم الإتفاق بين الدولة العثمانية  
والسيد خضرا على بنود الاتفاق، حيث يبدأ المشروع من جبل لبنان ومدينة بيروت  
ثم يصل إلى منطقة جبيل بطول 40 كيلومتراً<sup>87</sup>. ومدة الإمتياز 40 سنة.  
وقد حدد العقد سعر التنقلات، حيث طلبت الحكومة من المتعهد عدم زيادة التعرفة طيلة  
مدة الامتياز، وطلب إعفاء الأطفال الذين لم يتجاوز أعمارهم ثلاث سنوات من التذاكر.

وكان للمترو عدة مواقف: بيروت، الدورة، نهر الموت، الفوار، انطلياس، ضبية، نهر  
الكلب، عينطورا، سريا (صربا)، جونية، معاملتين<sup>88</sup>.

وقد تشكل مجلس الإدارة من السادة:

-رئيس بارون روبرت دي ترود.

-وكيل المدير مسيو بارددين.

-معاون المدير مسيو أ. كوز.

-مفتش مسيو ستيفانين<sup>89</sup>.

---

85 ) محمد عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، دار المعارف،  
مصر، ص:280.

86 ) B.O.A: I.MTZ.CL, 4/Z10.

87 ) Ibid.

88 ) سالنامة ولاية بيروت لعام 1326هـ، ص:211

89 ) سالنامة ولاية بيروت لعام 1318هـ، دفعة ثانية، ص:120.

٤- تراموي طرابلس الشام: إمتد الخط بطول 3500 متراً تقريباً، من الميناء الى البلدة التي اتصل بها عبر نقطتين:

- الأولى: عند مدخلها (تل الرمل)

- الثانية: عند باب التبانة (ساحة الحبوب).

وعلى الرغم من أن مجرى التخطيط قد نال استحسان الوالي مدحت باشا في ظل تصريحه، في وقت سابق، بعدم انتظام وبتفريق مسالك وأسواق طرابلس. إلا أنه وكما يبدو لم يدرس دراسة مستفيضة تخوله تطويق نتائجه السلبية فيما يتعلق بدهس عرباته العديد من الناس، عبر دخولها طرق الميناء، وعلى مقربة من المنازل والمستودعات<sup>90</sup>. وقد تألف مجلس إدارة الشركة من رئيس وستة أعضاء:

-الرئيس عبد القادر بك.

-عضو عبد الحي أفندي.

-عضو محمد علي أفندي.

-عضو عبدالقادر أفندي.

-عضو قيصر بك نوفل.

-عضو جرجس نقاش أفندي.

-عضو قيصر بك نحاس<sup>91</sup>.

٥- التراموي الكهربائي في قلب بيروت: كانت عملية النقل بين أحياء مدينة بيروت تتم بواسطة "شركة للعربات". هذه الشركات كانت تقوم بواسطة عربات تجرها الحيوانات، وتأمين نقل

---

90 ( جريدة لسان الحال: العدد 658، 20 جمادي الأولى 1301هـ \ 5 و 17 آذار 1884م، ص:2.  
91 ) سالنامه ولاية بيروت لعام 1318هـ، دفعة ثانية، ص:181-182.



الركاب والبضائع. وبموجب فرمان سلطاني تم منح إمتياز تأسيس شركتان ببيروت الى السيد سليم أفندي الذي تعهد بإنشاء خط مترو كهربائي وتزويد مدينة بيروت وقد تم الاتفاق بين السيد نجيب ملح أفندي والسيد "بيلتروست" رئيس مجلس إدارة شركة المترو والكهرباء السيد "فيكتور" والمهندس شارل طوني إيزا والسيد سليم رعد على تأسيس مترو يشتغل بالقوة الإلكترونية و تطبيق القوة الكهربائية في الصناعة في مدينة بيروت وتزويد المدينة بالقوة الكهربائية التي تعتمد على القوة المائية<sup>92</sup>.

٦- تنوير مدينة بيروت: تم منح إمتياز تنوير مدينة بيروت للفرنسي السيد "الكسندري شيرارون" لمدة 40 عاماً حيث يتعهد صاحب الامتياز بتزويد الطرقات والأحياء والمكاتب والشوارع والأزقة طبقاً لما تنص عليه الاتفاقية<sup>93</sup>.

أنيرت بيروت ليلاً بالقناديل والمصابيح التي كانت موزعة داخل المدينة بمعدل 600 قنديل، زيد عددها إلى 915 قنديلاً عام 1892م<sup>94</sup>، وإلى 975 قنديلاً عام 1898م<sup>95</sup>.

تأسيس شركة نادي وكازينو بيروت: تم في بيروت تأسيس شركة نادي وكازينو من قبل مجموعة من الأهالي مدة الشراكة بين الأهالي والدولة العثمانية 40 سنة<sup>96</sup>.

### الخاتمة

أرسى قرار تحويل مدينة بيروت إلى مركز ولاية تحمل اسمها عام 1987 ميلادي وتنظيم أعمال بناء مرفئها أفضليتها السياسية والاقتصادية على مدن الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وأصبحت المدن التي إرتبطت بها من الدرجة الثانية والثالثة بعد أن كانت هذه المدن من الدرجة الأولى.

وفي المجال الصناعي فقد ارتبطت الصناعات الحرفية بإنتاج ما هو ضروري للاستخدام اليومي في العمل والمسكن والمأكل والملبس وهي الحاجات التي لا تحتل الحاجة إليها التأجيل

---

92 ) B.O.A: A.DVN, MKL, 46/4.

93 ) B.O.A: A.DVN, MKL, 38/12.

94 ) جريدة ثمرات الفنون: العدد 880، 14 رمضان 1309هـ \ 30 آذار 11 نيسان 1892م، ص:2.

95 ) جريدة لسان الحال: العدد 2891، 29 ربيع الأول 1316هـ \ 17 تموز و 5 آب 1898م.

96 ) B.O.A: A.DVN.MKL, 62/22, 6B 1335.

من أجل التفتيش عن الأفضل والاحسن. وقد اعتمدت هذه الصناعات الحرفية على ما هو متوفر محلياً من المواد الأولية.

لقد إتسمت هذه الصناعات الحرفية في الولاية بدائيتها وبساطتها وسرعة انتشارها. في أول الأمر كان المنتج منها يستهلك محلياً، ويلقى الإقبال عليه أياً كان مستوى الجودة فيه نتيجة الحاجة إليها وعدم توفر البديل. ونتيجة ما وفرته المواصلات من صلات بين مرفئ الولاية وأريافها أخذت هذه الصناعات الحرفية تتعرض للمنافسة من المنتجات التي حملها التجار الأجانب من بلداتهم.

في المجال التجاري تمكنت شركة المرفأ بيروت أن تركز في هذا المرفأ حركة تجارية ناشطة مع مرفئ الولاية الأخرى وامتصافية جبل لبنان والداخل السوري. ونجحت في جعله المركز التجاري الأول على الساحل الشرقي للبحر المتوسط من خلال تخصيصه دون غيره من المرفأ بعدد من سلع الواردات.

على صعيد المواصلات وحركات النقل، أدى العجز المالي للسلطنة، الذي أخذ يتفاقم بعد حرب القرم، إلى حد جعلها غير قادرة على تمويل عدد من المشاريع، حيث لجأت إلى تلزيم عدد من المشاريع لفترة محددة من قبل مستثمرين، ثم عودة هذه الملكية إلى الدولة.

الملاحق

## بيروت تجارت و زراعت او طهسي

رئيس امين برير افندي	
مشاور اول نجيب سرمسق افندي	مشاور ثاني انطون طرازي افندي
الحاج نجيب بيهم افندي	عبد القادر نعماني افندي
سعيد موسى افندي	مصباح غندور افندي
جرجي تقاش افندي	محمد حاوي افندي
جيب دوماني افندي	اليهو دانا افندي
باش كاتبي توفيق افندي	
رفيقي الياس افندي	مباشر رشيد اغا



### مرکز جسته خانه سي

مدبري مصطفي افندي	كاتبي خليل افندي
-------------------	------------------

### نسا خسته خانه سي اداره سي

طبيبي حبيبه مفتشي نظام الدين بك
» خسته خانه عسكري اطبا سندن بيكاشي محمود افندي
مدبري شاملي محي الدين افندي
وكيل خرج محمد اغا
ابروجه ايكي نفر قادين خدمه سي واردر
خسته خانه او جيووز سكر سنه سي حزراننده كشاد ايدلشدر شمديكي حالده بكرمي
بش يتاغي حاويدر امراض نسا به عائد عمليات جراحيه اجرا سي چون اقتضا ايدن
الات و ادوات جراحيه ني جامعدر



هيئة الإشراف على غرفة التجارة والزراعة في ولاية بيروت

بيروت ديون عمومية نظارتك اوج سنه لك وارداتي

	سنه ٣٢٠	سنه ٣٢١	سنه ١٣٢٢
	پاره غروشن	پاره غروشن	پاره غروشن
بيروت نظارتى	٣٤٨٧٠٠٠	٣٩٩٩٠٠٠	٤٠٦٠٠٠٠
طرابلس شام مديريتى	٢٠٠٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠	٢٣٥٠٠٠٠
طرابلس مأموريتى	٣١٥٠٠٠٠	٣٤٩٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠
• صيدا	٩٦٤٠٠٠٠	١١٣٨٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠٠
• لاذقيه مركزى	٦٠٠٠٠٠٠	٦٢٥٠٠٠٠	٦٥٠٠٠٠٠
• مرقب	٢٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠
حيفا مديريتى	١١٠٠٠٠٠٠	١١١٩٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠٠
عكا مأموريتى	١٢٠٠٠٠٠٠	١٢٢٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠
• طبريا	٤٨٠٠٠٠٠	٤٩٢٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠٠
• صفا	٧٤٠٠٠٠٠٠	٧٤٧٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠٠٠
• نابلس	٨٠٠٠٠٠٠	٨٣٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠٠
	١١٢١٦٠٠٠٠	١٢٣٢٢٠٠٠٠	١٢٩٠٠٠٠٠٠



ديون بيروت لوزارة العمومية على الواردات لمدة 3 سنوات

بيروت رسومات نظارة بيروت ١٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ حاصلات

( ٣٣٠ )

بيروت رسومات نظارة بيروت	براهين	اخراجات	ادخلات	بيروت
١٥٣٨٩٦ ٣٠	٦٦١٥ ١٣	٧٤١٥٤٩ ١٠	٢٣٦٢٦٩٨٩ ٣٠	٢٣٦٥٣٩١٠ ٣٠
١١٦٣٠١ ٣٠	١٨٨٣٩ ٣٠	١٥٨٨٣٩ ١٠	٨٧٧٥٥٠ ١٠	١٦٢٧٧٦٣ ١٠
٣٦٧٧٤ ٠	٢٢٢٩ ١٠	٧٥١٦١ ١٥	١٣٦٤٤٠ ٣٠	٣٠٥٠٣١ ١٥
٣٤٧٥٧ ٣٠	٣٣٠٩ ٠	١٣٦٤٨ ١٠	٣١١٥٦٠ ٠	٣٢٦٥٦٤ ١٠
١٣٠٩٣ ١٠	٦٣٢ ٠	٤٣٠٩٤ ٣٠	٤١٠٠٣ ١٠	١٣٢٦٣٩ ٣٠
٧٥٤٤٣ ٣٠	٦٨٠١ ٠	٤٣٣٩٩ ١٠	٣٦٣٩٧٤ ٠	٤٢٣٠٤٤ ١٠
١٤٠٣٨١ ١٠	٣٢٧١٣ ٣٠	٢٠٨٥٩٣ ٣٠	٣٦٠٩٠٤٠ ٣٢	٣٨٥٣٣٤٧ ٠٣
٥١٩٤٤٨ ١٠	٤٧٠٠٧ ٤٤	١٧٨٣١٠٧ ٦٥	٣٠٨٧٥٥٨٠ ٣٢	٣٢٥٥٦٤٥ ١٩

حاصلات السنوات الثلاث لنظارة الرسومات من ولاية بيروت

لازمی حسابی	لازمی حسابی	لازمی حسابی	مکاتب حسابی	بیروت حسابی	مکون	نوع واردات
۱۱۰۰۶۶۰	۱۶۱۹۷۵۷	۱۵۳۱۹۸۸	۱۷۳۲۱۷۱	۳۸۱۸۸۳	۹۸۱۷۷۸۱	املاک ویرگوسی
۳۹۲۷۹	۸۰۰۸۷	۷۱۲۵۷	۱۰۷۶۱۸	۵۵۳۳۸	۸۵۵۵۹۹	•
۳۸۲۶۶	۱۱۵۰۲۵۰	۷۳۳۳۳	۷۰۲۳۵۰	۱۸۶۳۷۹۵	۲۱۷۲۳۶۱	بذل عسکری
۵۹۸۶۶۱	۲۲۷۲۶۶	۲۵۸۵۳۳	۵۲۸۲۱۱	۲۶۶۵۱۰	۲۲۶۱۲۶۶	انعام رسمی
•	•	•	۳۰۰	۷۲۵	۱۰۰۵	چهار
۳۲۷۲۰۰۰	۲۲۵۹۶۷۱	۳۹۳۰۰۰۰	۳۲۱۳۰۰۰	۳۳۰۷۰۰۰	۱۲۹۸۳۶۷۱	مقتوماً املاک قتال اعشار بدل
•	۲۵۰۰	۷۸۷۰۰	۱۰۰۰۰	•	۲۳۳۰۰	املاک آواره اولاد اعشار حاصلات
۱۰۷۱۰	۳۳۷۵۸	۳۵۵	۳۸۸۳	۷۲۵۳۲	۱۱۳۰۴۰	املاک امیریه مسجدها و باغچه و مسجدها
۳۸۲۳۷	۵۱۰۰۰	۵۱۸۷۷	۸۹۰۰۰	۶۹۹۷۰۰	۹۲۹۸۷۲	ویرگوسی شخصی
۳۲۱۵۵	۱۳۵۱۳۶	۲۱۸۰۵	۱۳۵۲۱۵	۲۷۶۵۵۵	۸۰۶۵۷۶	رسوم و متون
۲۵۰۰۰	۲۰۰	•	۳۶۰۰۰	۵۲۰۰۰	۱۲۷۰۰۰	اورمان حاصلات و کراکات و بولاند سوری
۵۰۰۰	۱۶۰۰	•	۱۳۰۰	۳۰۰۰۰	۳۷۹۰۰	مکان حاصلات
۱۰۰۸۰۰۰	۱۷۸۰۰۰	۱۲۵۰۰۰	۱۱۵۰۰۰	۱۵۵۰۰۰	۶۸۱۰۰۰	املاک و باغچه خردلی
۳۰۰۰۰	۲۵۰۰۰	۵۲۰۰۰	۲۷۵۰۰	۲۲۳۰۰۰	۲۱۸۵۰۰	مکان خردلی
۷۲۵۰۰	۸۵۰۰۰	۷۵۲۰۰	۸۵۳۰۰	۱۷۵۰۰۰	۲۹۳۰۰۰	حاصلات متفرقه
۵۷۲۵۵۳۶	۱۰۶۶۲۹۵	۶۲۳۸۵۵۷	۱۸۳۷۳۰۱	۱۰۹۰۳۰۹۰	۳۵۹۷۰۲۷۹	مکون

الواردات التخمينية لولاية بيروت لمدة سنة واحدة

## الفهرس

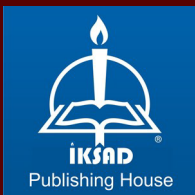
رقم الصفحة	العنوان
1	- المقدمة .....
5	- المبحث الأول: "الوثائق التاريخية ومدى مصداقيتها" .....
43	- المبحث الثاني: "التعليم العثماني في بلاد الشام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني" .....
107	- المبحث الثالث: "التعليم العثماني في بلاد الشام ودوره في الحفاظ على الهوية" .....
135	- المبحث الرابع: "دور البعثات التبشيرية في إيقاظ القومية العربية" .....
159	- البحث الخامس: "النشاطات العلمية في القدس العثمانية" .....
201	- المبحث السادس: "التاريخ الإقتصادي لولاية بيروت 1887-1918م" .....
237	- الفهرس .....











ISBN: 978-625-7139-35-9